دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

العدد الخامس – السنة الرابعة عشرة – ربيع الاول 1391 – ماي 1971

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الرابعة عشرة
ربيع الأول 1391
مـــاي 1971

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فـأكثـــر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفــون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

ذكرى المولد النبوي الشريف

منذ بضعة اسابيع ، احتفل المسلمون فى جميع بقاع الارض ، بعيد المولد النبوي الشريف .

وقد تميزت احتفالات هذا العيد ، بالمملكة المغربية بصورة خاصة بمظهرين بارزين :

اولها : هو الحفل الديني الكبير ، الذى اقامه وترأسه بمدينة فاس ، مولانا صاحب الجلالة امير المومنين الحسن الثاني نصره الله وأيده .

وثانيهما : هو الخطاب المولوي السامي ، الذى القاه جلالته فى وفود المهنئين، من الوزراء ، وسفراء الدول الاسلامية ، والنواب ، والعلماء ، وغير هؤلاء وأولئك من الشخصيات السامية ، ومن ممثلي الهيآت والطوائف ، والذي نقلته امواج الاذاعة وقنوات التلفزة ، وقد ركز فيه جلالته ، كما هو معلوم على « الامانة » كخلق اسلامي وانساني رفيع ، وكمغزى من المغازي الاساسية ، التى يمكن استخلاصها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن احتفال المسلمين فى كل سنة بذكرى مولده الشريف .

وكيف لا يكون الامر كذلك، والرسول (ص) كان مثالا حيا مجسما للامانة ، حتى كان يلقب فى قومه ، وقبل بعثته بلقب «الامين» .

— * —

وتميزت ايام هذا العيد أيضا ، الى جانب ما ذكر ، بما قامت به وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية ــ وفقا للتوجيهات السديدة لمولانا صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ــ من احياء حفلات دينية فى المساجد الكبرى بجميع ربوع المملكة ، ابتداء من غرة شهر ربيع الاول الى فجر يوم عيد المولد السعيد .

وقد عبات الوزارة لاحياء هذه الحفلات، كثيرا من المقرئيـن والمادحيـن ، وعددا كبيرا من السادة العلماء ، عهدت اليهم الوزارة بالقـاء دروس فى السيـرة النبوية الشريفة ، طيـلة المـدة المذكـورة ، تبصرة للنـاس ، وتذكيـرا لهـم بأبعاد عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحثا لهم على الاقتداء به فى اخلاقه الكريمة وشمائله السامية .

وعمدت الوزارة الى الاعلان عن هذه الحفلات بواسطة الاذاعات الجهوية ، فأتاحت بذلك لجماهير المؤمنين ، أن يحضروها ، ويستمتعوا بها ، ويستفيـدوا مما يلقي خلالها من دروس فى السيرة النبوية .

— ❊ —

والواقع أن المسلمين جميعا ، وفى جميع بقاع الارض ، لم يكونوا فى يوم من الايام ، اشد حاجة مما هم اليوم ، الى الرجوع الى سيرة نبينا الكريم ، سيدنا محمد (ص) ، يقرأونها ويتدارسونها فى آناة وتمهل وطول امعان للنظر ، ويستلهمونها ما تزخر به من العبر والعظـات الكبيرة ، ويستمدون من دلالتهـا ومغازيها التى لا حد لها ، ما يستعينون به على مواجهة شؤونهم وقضاياهم ومشاكلهم ، سواء كانت هذه الشؤون والقضايا والمشاكل ، ذات طابع محلي صرف ، وكانت تهم المجتمع الاسلامي كله ، او كانت تتصل بعوامل خارجية عنه .

واذا ذكرنا العوامل الخارجية ، فانه يأتـي على رأسها وفى المقدمـة منهـا بطبيعة الحال ، الاستعمار بصفة عامة ، والصهيونية بصفة خاصة ، باعتبارهـا أخبث وابشع أنواع الاستعمار ، وباعتبار أنها تقيم كيانها ، وتحاول أن توسع من مداه باستمرار ، وبجميع الوسائل الممكنة ، على حساب الاسلام والمسلمين .

ويكفي ان نذكر فى هذا المجال ، احتلال القدس الشريف ، واحراق المسجد الاقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين .

ويكفي ان نذكر أيضا ، أن حلم الصهيونية الاكبر ، هو أن تخلق لنفسها دولة تمتد من النيل الى الفرات !!!

اننا كمسلمين ، مأمورون بالجنوح الى السلم ، ان جنـح اليهـا اعداؤنـا وخصـومنـا ،

بل اننا مأمورون الا نحمل عداء لاحد ، والا نجادل أهل الكتاب الا بالتـي هـي أحســن ،

ولكن كل ذلك شيء ، والاستعمار شيء آخر .

وقضيتنا مع الصهيونية ، مهما تعددت مظاهرها وتلونت ، فانها لا تخرج عن كونها اولا واخيرا ، قضية استعمارية من جهة ، ومقاومـة استعمـار من جهـة اخـرى .

وأي استعمار هذا الذى يتمثل فى الصهيونية ؟

انه استعمار ابادة وتقتيل وتهجير ، وعناد لا حد له ولا مزيد عليه .

— ❊ —

ونعود الى ما كنا بصدده ، وهو استخلاص العبر والعظات من ذكرى المولد النبوي الشريف ، ومن احتفالنا به فى كل سنة .

لقد خاطب الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم ، نبيـه محمـدا (ص) ، فى معرض الثناء عليه ، بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) .

فما أحرانا اليوم، ونحن نحتفل بعيد المولد النبوي الكريم ، ان نتمثل هـذه الآية الكريمة ، وان نحاول ما وسعنا ذلك ، أن نقتدي به (ص) فى خلقه الكريم ، فى الحرب والسلم، وفى السر والعلانية، وفى تنظيم العلاقات التى تربط بعضنا ببعض ، سواء كانت هذه العلاقات عائلية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيـر ذلـك .

وما أحرانا ان نحاول باستمرار، ان نكون على مثاله (ص) فى صدقه وأمانته، وفى صفاء ضميره واخلاصه نيته لربه ، وفى صبره على المكاره ، وفى لين جانبه وتواضعه لجميع الناس ، وفى غير ذلك من الصفات النبيلة والاخلاق الكريمة ، التى استحق بها أن يخاطبه الله تبارك وتعالى بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) .

— ✻ —

اننا لسنا هنا بصدد تعداد مكارم الرسول ، فان ذلك لا يتسع له مثل هذا المجال ، ولا تسعه الا المجلدات الضخمة ،

وكتب السيرة بحمد الله كثيرة متوافرة، فى القديم والحديث، فما علينا الا أن نعود اليها لننعم بقراءتها من جديد ، ولنتيح لانفسنا لذة الانتشاء بأجوائها العطرة ، وحقولها المزهرة الفسيحة ، وآفاقها المترامية الاطراف .

ثم علينا بعد ذلك ان نتمثل قول الله تبارك وتعالى ، فى خطابه لنا جميعـــا وبدون استثناء :

(لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) .

فنعمت الاسوة ، ونعم المثل الاعلى ، ونعمة الاخلاق العظيمة ، التى استحقت أن ينوه بها الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم .

دعوة الحق

رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية في الدولة الإسلامية

للأستاذ عبد الله كنون

ان من تراجع الانسانية في هذا العصر الذي يزعمون انه عصر تقدم ، ان الحق اصبح فيه غريبا وان اهله محتاجون الى اقامة الف دليل ودليل عليه ، ومع ذلك فان قولهم لا يقبل وغمط الحق هو القاعدة المحكمة عند الملا من الناس الذين يدعون ما يدعون من العلم والحضارة ، والذين بيدهم القوة والتصرف في مصاير الشعوب .

فالانسانية ان كانت تقدمت من الناحية المادية فصعدت الى القمر ، وملكت زمام الطاقة الذرية ، فانها انما تسعى من وراء ذلك الى التسلط والقهر والجبروت ، وبذلك تكون قد تراجعت الى شر مما كانت عليه في عهود الجاهلية الاولى ، والحكم بشريعة الغاب كما يقولون .

ولقد آمن الناس بالقوة حتى صارت عندهم هي غاية المدنية ، وحبذا لو كانت هذه القوة تستعمل في كف الظالم عن ظلمه ومنع العدوان ، وحماية الحق وصاحبه من الضيم والخذلان ، ولكنها انما تتخذ لاذلال المستضعفين ، والسيطرة على الشعوب المتخلفة واستغلال ثرواتها الطبيعية والساتها الفقير للزيادة في غنى الدول القوية وترفها ، وتمكنها من بسط نفوذها على العالم ، والتحكم في ارادة الافراد والجماعات .

وهكذا نجد الانسانية رهينة في يد الاقوياء واصحاب المطامع التي لا تقف عند حد ، وصانعي ادوات الحرب والقتال ، ومصممي وسائل غزو الفضاء للاطباق على ساكني الارض ، والحكم عليهم وعليها بالموت والخراب .

ان هذه السياسة هي ميزة الدول الكبرى المتحكمة في مصير العالم ، والتي جعلت منظمة الامم المتحدة تحت وصايتها ، وخولت لنفسها حق الاعتراض على كل قرار لا يوافق اهواءها المختلفة ، وعطلت سير البشرية نحو التفاهم والتآخي وما يسمونه بالتعايش السلمي الذي هو اساس التقدم والازدهار .

فكيف اذن يتبجحون بمبادىء الحرية والمساواة والحكم الديمقراطي او الاشتراكي ، والعدالة الاجتماعية ، والاخوة البشرية ، وما تعاني منهم الانسانية من عذاب مستمر ، وخوف ورعب وقلق ، اصبح هو طابع العصر ، وقدره المحتوم ، لا ينقذ منه الا انغماس مجتمع هذه الدول نفسها ، وشبابها الصاعد في بؤرة اللهو والفساد والاستهتار ، وتعاطي المخدرات ، والعقاقير الخطيرة التي اما أن تغيب الانسان عن التفكير في المستقبل المظلم ، واما ان تقضي على حياته نهائيا .

فالحقيقة والواقع المؤسف ان انظمة الحكم التي تخضع لها الامم والشعوب في العصر الحاضر ، لا تقيم ميزان العدل ، ولا تخطط لسعادة المجتمع ، وان زعمت انها شعبية ديمقراطية ، تستمد سلطتها من المواطنين الذين تحكمهم ، فهي تستخدم هذه السلطة في تدعيم

نفوذ الاحزاب التي تحكم باسمها وتطبيق برامجها السياسية ، وهي كثيرا ما تخالف رغائب الاكثرية من الذين لا ينضوون تحت راية الحزب الحاكم في البلاد ذات الحزب الوحيد ، وفي البلاد المتعددة الاحزاب على السواء، لان الاحزاب الاخرى لها برامج مخالفة، وبقية المواطنين الاحرار لا يرضون عن برامج هؤلاء ولا اولئك فالكلمة الفصل في حكومات اكثر الدول القائمة انها نقضت العقد الاجتماعي المبرم بينها وبين شعوبها ، حسبما تقضي به نظرية الحكم الديمقراطي ، المبني على رعاية مصالح الافراد والجماعات ، والحفاظ على حريتها ، حتى لا تقع فريسة ذوي المطامع والاغراض ، ولا تساق سوق الانعام الى المعارك والحروب التي ليس لها منها نفع ولا فائدة .

وان مما يحز في نفوس المسلمين وعلمائهم بالخصوص ، ان تصطنع اكثر شعوب الاسلام تلك الانظمة وتستبدلها بنظام الحكم الاسلامي ، اغترارا بما تقوم لها من دعاية واسعة النطاق وما يمليه بعض القادة والمثقفين المعجبين بالحياة الغربية ، من مواقف وسلوك لادماج الشرق في الغرب والانحراف بالجماهير الاسلامية ولا سيما الجيل الطالع عن جادة الدين الحنيف او التدين بالمرة ، كما هو حال غالب الدول المتمدنة بزعمهم ، في الاخذ بمبدا اللائيكية وفصل الدين عن الدولة .

ولا شك في ان ما تعانيه الشعوب الاسلامية من تمزق وانفصام ، وعدم استقامة امورها على نهج لا حيد عن اليقظة والتحرر والسيادة ، انما هو نتيجة هذا التقليد الاعمى ، والتبعية المفروضة عليها من لدن الزعماء والحكام الذين ملأ قلوبهم الايمان بالاجانب والمذاهب المستوردة من الخارج ، فتبنوها من غير تفكير في عدم ملاءمتها لشعوبهم ، والتفكك الذي احدثته في صفوف الامة ، ونزع الثقة من قادتها ، والهوة التي تتسع يوما بعد يوم بين الشعوب والحكومات التي صارت غريبة ان لم نقل اجنبية عن هذه الشعوب. فانك لو حكمت شعبا غربيا مسيحيا كايطاليا مثلا بقانون فرنسا وهي شعب غربي مسيحي كذلك وفي مستوى ايطاليا اجتماعيا واقتصاديا لكنت تظلمه وتحمله من الامر نكرا ، فكيف بالشعوب الاسلامية وهي شرقية وعلى دين غير دين هؤلاء المقلدين ، وفي مستوى اجتماعي واقتصادي دون مستواهم .

وهذا بقطع النظر عن قيمة نظام الحكم الاسلامي الذي هو اقرب الى نفوسهم وادعى لاطمئنانهم واضمن لالتفافهم حول حكامهم ، واستجابتهم عن ايمان وعقيدة للدفاع عن حوزتهم وحماية بيضتهم ، اذا دعوا لذلك واستنفروا اليه .

اما بالنظر لهذا النظام وقيمته التي تعلو على القيم، فاننا لا بد ان ندخل في صميم الموضوع ، وهو الدولة الاسلامية التي تطبقه وصفتها الانسانية ، حتى يتبين لنا اننا لا نبخس انفسنا فقط ، بتنكرنا لتراثنا وخصائصنا الذاتية ، بل اننا مع ذلك نحرم غيرنا من العطاء الثري الذي افاضه الاسلام على العالم ، وبخاصة من تجربة الحكم الذي في امكانه ان يقضي على ما يتخبط فيه البشر من ظلم وظلام . وصدق من قال : ان الاسلام محجوب بالمسلمين .

واول ما نذكر من صفات هذه الدولة ، انها خلافة عن انبياء الله ورسله ، الذين هدوا من الضلال واحيوا الضمائر الميتة ، وبشروا بالسعادة الابدية ، فما في الدنيا من خير ، بقية خير ، انما هو اثارة من دعوتهم ، وصبابة من فيضهم ، وتسميتها بالخلافة اشارة الى ما فيها من معنى النيابة ، وانها ليست حكما بالاصالة ، وذلك لجعلها دائما في مقام النائب الذي لا يصح له التصرف بغير نظر المنوب عنه ، ثم هي نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الشرع ، وليست نيابة عن الله كما قد يتوهم ، فخلافة الله في الارض انما تكون للانبياء والرسل ، كما قال تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق) (1) واما غيرهم فهم خلفاء بالنيابة على ما ذكرنا ، وهكذا كان الصحابة يسمون ابا بكر وعمر وباقي الخلفاء الراشدين وينادونهم يا خليفة رسول الله .

والخلافة بهذا المعنى تنفي كل صلة بالتيوقراطية او ما يسمى بالحق الالهي ، في الحكم ، فقد قال اول خليفة في الاسلام باثر مبايعته : « ايها الناس . قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاعينوني ، وان اسأت فقوموني (2) وما الى في الشرع من الحض على الطاعة وعدم منازعة الامر اهله ، انما هو لضمان حياة الاستقرار والامن التي لا تتقدم الشعوب وتزدهر الا في ظلالهما . وليس ذلك لان الخليفة معصوم من الخطا او انه يستمد سلطته من الله عز وجل ، فتجب طاعته على كل حال .

---

1) سورة ص . الآية : 36 .

2) البداية والنهاية لابن كثير ج 6 ، ص : 301 والكامل لابن الاثير ج 2 ، ص : 160 .

ان هذه الفكرة ليست من شرع الاسلام في شيء، والكتاب الذين كانوا يهاجمون الخلافة العثمانية في أول هذا القرن ، قصد اسقاطها ويشنعون عليها بهذه التهمة، لم يكونوا في الحقيقة الا مرددين لما يتقوله الاجانب على دولة الاسلام افكا وبهتانا ، وما يلصقونه بخلفاء المسلمين من اوصاف وسير اكثر ما عرفت عن ملوك الغرب واباطرته بل وبابواته ؛ فقد كان ملك فرنسا لويس الرابع عشر يقول : انا الدولة . وقبله كان ملك الفرنجة شارل الاول يقول : انا ملك بأمر الله ، وكان البابا جريكوار السابع يقول انا بابا وامبراطور (3) هذا في حين كانت القاب الخلفاء تومى الى التواضع والخضوع مثل المستعين بالله ، والمتوكل على الله ، وما أوهم منها خلاف ذلك ، فليس بمراد على الاطلاق كالمقتدر بالله والحاكم بأمر الله ، لانها تعني المدلول العقائدي الذي ينفي كل حول وطول عن العبد الا بارادة الله وقدرته ؛ هذا في اللقب الاول . واما الثاني فان المتعلق يعني شرع الله ودينه ، فالمراد الحاكم بما امر الله به ، لا بما يأمر به هو ويشرعه من تلقاء نفسه . وعلى هذا فان اولئك الذين يصفون الخلافة الاسلامية بما يسلكها في نظام الحكم التيوقراطي من الاجانب هم ممن يصدق عليهم المثل العربي « رمتني بدائها وانسلت » .

واذا ثبت ان الخلافة هي نيابة عن الرسل ، فغني عن البيان انها فيما تأتي وما تذر ، انما تقصد الى مصلحة البشر عموما ، وما هو خير لهم بالذات . فهي تترجم مقاصد الرسالة الالهية التي جاء بها الرسول ، من القول الى الفعل ، وتنسج على منوالها فيما جد من الاحوال . وقد كانت غاية هذه الرسالة هي ما اشارت له الآية الكريمة التي تقول «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين»(4)

فماذا تريد الانسانية اكثر من هذا ، وليس من غاية بعده .

ولما كان الاجمال الذي في هذا الكلام يحتاج الى تفصيل ، وخصوصا بالنسبة الى الذين لا يؤمنون بالرسالات او بالرسالة الخاتمة ، التي تمثلها الخلافة ، فانا ننتقل الى الصفة الثانية من صفات الدولة الاسلامية التي تجسم انسانيتها بكيفية ملموسة ، وهذه الصفة هي شرعيتها اي حكمها بالشرع الذي جاء به الرسول من عند الله عز وجل ، فطب علل الانسانية ورفع عنها الحيف الذي كانت ترزح تحته طوال قرون عديدة ، وهياها لما اراد لها الله منذ البدء ، من الاستقامة على مثلى الطريقة ، والفوز بسعادة الدارين ؛ لكن الحديث في هذه الناحية طويل جدا ، لانه حديث عن طبيعة شرع الاسلام وخصائصه واهدافه ، وهو موضوع واسع لا يمكن لبحث قصير مثل هذا ان يستوعبه ؛ فلنقتصر على ما لا بد منه من المقاصد التي تبرز بوضوح الجانب الانساني لنظام الحكم في الاسلام.

ولنقدم كلمة عن هذا النظام والشروط التي يجب ان تتوفر في الشخص القائم عليه ، اي الخليفة الذي يحكم بمقتضاه ، لتمييزه عن بقية انظمة الحكم ، ولا سيما التي تخلب عقول البعض منا .

فهو نظام مستمد من الكتاب والسنة اللذين هما دستوره الخالد ، وقانونه السماوي غير المغيى بنهاية الاغاية درء المفاسد وجلب المصالح ، وهيمنة الفضائل على المجتمع ، واتاحة فرص العيش الكريم لكل المواطنين الذين سماهم رعايا ، وسمى المتولي القائم بامرهم راعيا ، أخذا من الرعي والحفظ والاهتمام كما قال الرسول (ص) في حديثه الصحيح : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته (5) والقائم بأعباء الحكم في هذا النظام هو الخليفة الذي تنتخبه الامة عن طواعية واختيار ، متوخية فيه توفر شروط العلم والدين والسياسة والشجاعة والعفة والحلم ، مع التزام مشاورة أهل الراي والتدبير ، كما قال الله تعالى لنبيه (ص) « وشاورهم في الامر » (6) وقال متحدثا عما هو الشأن بين المسلمين : « وأمرهم شورى بينهم » (7) .

والشورى في الاسلام ، هي شورى اهل الحل والعقد ممن لهم خبرة بالشئون السياسية والحربية والاجتماعية والاقتصادية ، مع الايمان والنزاهة والدين والاخلاص ، وان كانوا اقلية ، لان الناس واحد منهم كالف والف كاف ، فالاكثرية العددية هنا معوضة بالاكثرية النوعية ، وهي خير منها بكثير ، لاسيما مع ما علم من تهالك الناس على طلب الحكم والشورى ، واستكثارهم بشراء الاصوات ومغالبة اهل العلم

3) حياة الشرق لمحمد لطفي جمعة ص : 22 .
4) سورة الانبياء الآية : 107 .
5) متفق عليه .
6) سورة آل عمران الآية : 159 .
7) سورة الشورى الآية : 38 .

والنزاهة والاخلاص بالاغلبية المصنوعة ، وقد نهـى شرع الاسلام عن تولية من كان من هذا القبيل ، ففي الحديث : « انا والله لا نولي على هذا العمل احدا سأله، ولا احدا حرص عليه » (8)

ولا تغل الشورى يد الحاكم في الاسلام ، كما في النظام الديمقراطي ، فتجرده من كل نفوذ ، وتجعله غير مسئول عن شيء ، من سياسة الدولة ، بل الامر على العكس ، اذ الحاكم هو اول المسئولين في شرع الاسلام كما عبر عن ذلك الحديث آنف الذكر . فما يقال في النظام الموسوم بالديمقراطي من أن الملك يملك ولا يحكم ، ومثله الرئيس ، هو اثارة من الجاهلية وعهد عبادة الاصنام ، والا فماذا يستحق هذا الرمز ما يعامل به من تجلة واكبار . وعلى ماذا ياخذ ما يجعل له ولافراد اسرته من مخصصات كبيرة في ميزانية الدولة . ان شرع الاسلام الذي جاء بتحطيم الاصنام الحجرية ، لا يقر ان يقام على رأس دولته صنم بشري لا نفع له ولا ضر ، الا انه يجبى من بعيد ، ويشار له بالسلام كشيء مقـدس ...

ولا يخفى ما في هذين المبداين الاساسيين ، مبدا جعل الشورى في اهلها المستحقين لها،ومبدامسئولية رئيس الدولة ، من توخي مصلحة الجمهور والاخفاء في النصح للامة ، والحيلولة دون سيطرة اهل المطامع والوصوليين الذين تعاني الانسانية منهم الويلات .

ولعل اعظم مظهر من مظاهر انسانيـة الدولـة الاسلامية ، هو ما درجت عليه من عدم اعتبار الفوارق الجنسية واللونية ، والدينية بله المذهبية ، بين البشر، كما يقضي بذلك شرع الاسلام فكانت البلاد الخاضعة لها مفتوحة الابواب في وجه الجميع ، من بيض وسود، ونصارى ويهود ، وغيرهم من كل ذي سحنة ونحلـة يتعاونون على ما فيه خيرهم ، ويعملون في بناء تلـك الحضارة السامقة التي ما يزال العالم يتفيأ ظلالها حتى الان ، فلتقارن ذلك بما عليه اعظـم دول الحضـارة الغربية التي تتبجح بأنها تقدس الحرية والمسـاواة والاخاء من مجافاة لهذه المبادىء ، وتنكر لها ، واعتداد بنظرية الجنس السامي ، حتى ان البيض فيها يقتلون السود ويصطادونهم كما يصطادون الحيوانات العجماء. وفي احسن الاحوال يعاملونهم معاملـة المنبوذيـن ويعزلونهم عن مجتمعاتهم وانديتهم ومدارسهـم ، ولا يقبلون أن يتزوج احدهم بامراة منهم واذا وقع وتجاوز احد السود ، بل ، احد الملونين حدا من هذه الحدود ، تعرض هو وقبيله لاشد انواع العنف واقسى وسائـل البطش ، وكانت تلك هي فرصة القمع والتنكيل بالملونين من قبل رجال الامن ، واصدار الاحكام الجائرة عليهم من طرف رجال القضاء .

فاين هذا من قانون الدولة الاسلامية ، الـذي اهدر كل الفوارق بين بني الانسان ، ولم يعتبر لاحد قيمة الا تقوى الله اي خوفه والوقوف عند اوامـره ونواهيه ، مما يحيى ضميره ويجعله مثـال العـدل والاستقامة كما قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (9) ، وشدد النبي (ص) على هذا المعنى فصرح بمضمون الآية الكريمة في قوله : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لاحمر على اسود الا بتقوى الله » (10) .

اين تاتي دولة الحضارة المزعومة التي يباد فيها المواطنون لا لجرم ، الا لمجرد انهم ملونون ، من دولة الاسلام التي احتضنت الابيض والاسـود والاحمـر والاصفر ، واليهودي والنصراني والصابىء ، وسائـر الملل والنحل والاجناس ، وكفلت لهم حرياتهم العامة ، وحمت كنائسهم وبيعهم ومعابدهم ، وفوضت لهم في حكم انفسهم بشرائعهم الخاصة في الاحوال الشخصية، وفتحت لهم ابواب المعاملات التجارية والماليـة على مصاريعها ، حتى تمولوا وتاثلوا الاصـول والعقـار ، وسمحت لهم بالتوظيف في مصالح الدولة ، وارسلت منهم السفراء والرسل الى البلاد الاجنبية وضربـت اروع الامثال في التعايش السلمي فعلا لا قولا ، كمـا يتبجح به المتبجحون اليوم ! .

اية سبة وعار ، لحضارة الصواريخ والاقمـار ، اخزى والعن من هذا الميز العنصري الذي يحتقـر الانسان ويعامله باشنع المعاملة ، لكونه لا يتمتع بجلد ابيض ، ولان لونه ليس على لون السيد الغربي القادم من اوروبا ، حتى صار ذلك شعارا لبعض دولها المنتزية في القارة الافريقية ، مسخرة الاهالي المساكين ، على مراى ومسمع من دول العالم ، ومنظمة الامم المتحدة ، التي لا تستطيع ان تحرك ساكنا في هـذا الشـان .

---

8) اخرجه مسلم عن ابي موسى الاشعري .
9) سورة الحجـرات ، الآيـة : 13 .
10) البيهقـي عـن جابـر .

لخضوعها وانقيادها للدول الكبرى التي تقول بلسان حالها : لم آمر بها ولم تسؤني . . . !

فلنقابل هذا بما اعلى الاسلام لبلال من قدر ، وهو عبد حبشي ، وبالموقف الرائع الذي وقفه الخليفة الثاني من ابن عمرو بن العاص والي مصر ، الذي ضرب احد الاقباط ، فاستقدمه الخليفة هو ووالده من مصر الى المدينة ، لما شكا له القبطي ، وامره بان يقتص منه ، وقال له كلمته السائرة : « منذ كم تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » . (11) ويقول الخليفة الثاني ايضا وهو يجود بنفسه : « لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لعهدت له بالخلافه » . (12) ويقول النبي (ص) لابي ذر لما عير رجلا بقوله يا ابن السوداء : « اعيرته بامه ! انك امرؤ فيك جاهلية » (13) فجعل تنقص الناس بسبب لونهم من خصال الجاهلية ، وهي تجافي الانسانية . . . والامثلة كثيرة ، فلا نطيل بها ، ونظن انه لا مجال للمقارنة ولا للمقابلة في هذا الباب ، بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول . لنعدل عن ذلك ، ولننظر في انعكاسات هذه الظاهرة على التشريع الاسلامي ، مقتصرين على مسالتين فقط ، مما فيه التوجيه الانساني على الصعيد الدولي بوجه خاص .

(المسالة الاولى) حكم الرقيق في الاسلام . ولا نحتاج الى التذكير بما كان عليه الامر في الدول السابقة من معاملة وحشية للرقيق ، وحرمان من جميع الحقوق ، ووسائل الاسترقاق التي تنسحب احيانا حتى على المواطنين فيصبحون ارقاء ، وتواطيء جميع الامم والشعوب على ذلك ، في الشرق والغرب ، والقديم والحديث حتى ان ارسطو قسم النوع الانساني الى احرار وعبيد ، ودائرة المعارف الفرنسية للقرن التاسع عشر ، ذكرت من محاسن الرق انه يهذب اخلاق الناس ، وهي النظرية التي بنى عليها استعمار الامم والشعوب الضعيفة من طرف الدول الاوروبية بحجة تمدينها وترقيتها . ان التعرض لهذه التفاصيل يطول امره (14) ومرادنا انما هو التمثيل للتشريع الانساني الذي وضعه الاسلام لمسالة الرق ، والذي ادى الى الغائه بالمرة لما تحقق الهدف المقصود من ذلك التشريع .

فاولا : الغى الاسلام جميع انواع الاسترقاق التي كان معمولا بها من قبل كالاسترقاق عن طريق القرصنة والاختطاف ، وقانون (السرف) اي رقيق الارض الفلاحية ، وتجريد الشخص من حريته بحكم القانون ، وما الى ذلك ، ولم يبق الا الاسترقاق عن طريق الحرب اي الاسر الذي كانت تلجيء اليه الضروره .

ومجرد الغاء الاسترقاق في باب واحد من هذه الابواب يعد اصلاحا عظيما لم يسبق اليه اي تشريع آخر قبل الاسلام في قضية الرق . فكيف بالغائه في جميع هذه الابواب . ومن ثم يجب الاعتراف بان الاسلام هو اول من وضع الحجر الاساسي في قانون الغاء الرق في العالم كله ، وقبل اربعة عشر قرنا من عهدنا هذا حين لم يكن هناك مفكر ولا مشرع يخطر في باله ان يتناول قضية الرق بنقد او تجريح .

ولم يبق الاسلام على رقيق الحرب لا قراره له واعترافه بمشروعيته، كلا. وانما اعتبره اجراء موقتا ريثما ترتفع معنويات الامم والشعوب ، وتحيا ضمائر المسئولين في الدول التي كانت تحاربه ، وتاسر من رجاله ونسائه واطفاله العدد العديد الذي يصبح رقيقا يعامل اشنع معاملة ، وتتداوله الايدي بالملكية المتعسفة، التي لا تشفق ولا ترحم ، فبالضرورة لا بد ان يحتفظ المسلمون معاملة لعدوهم بالمثل ، باسراهم الحربيين في الظروف الملجئة ويسترقوهم كما استرق العدو اسراهم .

وقولنا في الظروف الملجئة اشارة الى ما في تشريع الاسلام من تسامح في هذه القضية ، حين لا تكون هناك مثل هذه الظروف ، فقد اباح هذا التشريع للمسؤول في دولة الخلافة اي الدولة الاسلامية ان يقبل الفداء من هؤلاء الاسرى ، وان يسرحهم حتى بدون فداء ، وهذه بادرة عظيمة الاثر في مقاومة الرق ، وتقدير المدى البعيد لانسانية الدولة الاسلامية الذي قطعته منذ اليوم الاول لتاسيسها ، فقد جاء في القرءان الكريم تاصيلا لهذه النظرية قوله تعالى : (حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها) (15) وهي نظرية اكتسبت صفة القانونية ، فصارت تطبق في كثير من الحالات العادية

---

(11) حسن المحاضرة للسيوطي ج 2 ، ص 1 .

(12) الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الاصابة ج 2 ص : 71 . وتاريخ الكامل لابن الاثير ج 3 ، ص : 32 .

(13) البخاري ومسلم عن ابي ذر .

(14) انظر بحثنا موقف الاسلام من الرق في كتاب مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الثاني .

(15) سورة محمد ، الآية .

لصالح الرقيق وقد اطلق فقهاء الاسلام فيها قاعدة معللة بأنها هي رغبة صاحب الشرع ، وذلك بقولهم : « الشارع متشوف للحرية » .

والى جانب هذه التدابير المدهشة للقضاء على الرق ، نظم الاسلام حملات واسعة النطاق للعمل على تحرير الارقاء ، وجعل هذا العمل من صميم الشعائر الدينية التي يمارسها المسلم تقربا الى الله عز وجل ، وذلك كالكفارات التي يكون عتق العبيد مجزيا فيها ، ومال الزكاة الذي يرصد جزء منه لتحرير الرقاب ، وقد حرر بالفعل من هذا السبيل في العالم الاسلامي ، ملايين الارقاء ، والنبي نفسه بلغ عدد ما حرره من خاصة مماليكه تسعة وثلاثين اذ كان لا يدخل في ملكه رقيق الا ويحرره . وهو عليه السلام كان قدوة الصحابة وسائر المسلمين ، فاذا قدرنا الارقاء المحررين في دولة الاسلام بالملايين فانا غير مبالغين في ذلك ، هذا مع تحريم الاسلام التحريم البات لكل معاملة غير انسانية للرقيق ، فأحرى ضربه وتسخيره واهانته ، بل لقد ذهب الى ابعد من ذلك فطالب مالكي الرقيق فيما يرغب فيه ، بمساواته بانفسهم في المأكل والملبس ، وعدم ارهاقه بالعمل وتحميله ما لا يطيق ، فقد روى أن النبي (ص) راى ابا مسعود الانصاري يضرب مملوكا له ، فأتاه وهو يقول كالمهدد له : اعلم ابا مسعود . اعلم ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه . فلما التفت وراى النبي عليه السلام رمى بالسوط من يده ، وقال هو حر يا رسول الله ، فقال النبي : اما لو لم تفعل للفحتك النار (16) . وجاء في حديث ابي ذر المتقدم ان النبي قال له : اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فان كلفتوهم فاعينوهم ، فانهم لحم ودم مثلكم .

ومات النبي (ص) وهو يوصي بالنساء والرقيق ، فكأنه علم ان تشريع الاسلام بهذا الشان في سموه ونبله ، ما يزال بعيدا عن مدارك الناس واخلاقهم ، فاخذ الضمانات الكافية على اتباعه ليكونوا قدوة حسنة في معاملة من سماهم باخوانهم من الرقيق ، حتى تبلغ الانسانية رشدها ، فتجعل حدا لهذه المأساة البشرية وكذلك كان .

(المسألة الثانية) وضع ميزان العدل بين جميع الطوائف والعناصر من غير اعتبار لون او نزعة ايا كانت ومن غير تأثر بصلة قرابة او حالة عداوة وما الى ذلك ، فدولة الاسلام تحمل رسالة نبيه ، وهي رسالة موجهة الى الانسانية جمعاء كما قال تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) . (17) غاية الامر ان المسلمين يسمون أمة الاجابة وغيرهم يسمون أمة الدعوة ، فالجميع امته واذن فدولة الاسلام دولة الجميع ، ولذلك فهي لا تفرق في تطبيق العدالة بين الناس ، سواء كانوا من اشياعها ام لا ، فضلا عن ان تفرق بين فريق وفريق من الخاضعين لسلطانها . بل انها في بعض الحالات الخاصة ، تخفف من عبء الواجبات عن رعاياها من اتباع الملل الاخرى ، وذلك كما في عدم تجنيدهم للقتال بجيوشها ، ارعاء عليهم من تكليفهم بالحرب في سبيل عقيدة غير عقيدتهم ، اذ كانت حروب الاسلام انما هي حماية لدعوتهم ، وقد اعفتهم كذلك من الدفاع عن كيان الوطن نظرا لما اعطتهم من ذمة وعهد ، لحماية انفسهم واموالهم ومعتقداتهم ، فهي ترى ان اخراجهم للقتال يتنافى ما اعطتهم من ذلك ، ونأتي بالدليل العملي على هذا من كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، قال : « وحدثني ابو حفص الدمشقي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على اهل حمص ما كانوا اخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فانتم على امركم ، فقال اهل حمص : لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد ، فاغلقوا الابواب وحرسوها . وكذلك فعل اهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا : ان ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه ، والا فانا على امرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة واظهر المسلمين ، فتحوا مدنهم ، واخرجوا المقلسين فلعبوا وادوا الخراج » (18) . ففي هذه الواقعة لم يكتف الحاكم المسلم بعدم تكليف غير المسلمين بالقتال ، وهو قتال مشروع للذود عن حوزة الوطن ، بل رد اليهم الخراج الذي كان قد تقاضاه منهم ، واصر هؤلاء على الوقوف بجانب المسلمين ،

---

16) مسلم عن ابي مسعود نفسه .
17) سورة سبأ الاية : 28 .
18) فتوح البلدان للبلاذري ، ص : 143 .

فاغلقوا ابواب مدنهم ، ودفاعا مدنيا حيث لم يكلفوا بالدفاع العسكري وذلك لرغبتهم في البقاء تحت ظل الحكم الاسلامي الذي امنهم وعدل بينهم ، وانصفهم حتى من نفسه وهو شيء لم يكونوا يحلمون به في عهد استيلاء الروم عليهم ، وبه دخل اهل الاقطار المفتوحة من الشام والعراق ومصر وغيرها في دين الله افواجا كما هو معلوم .

وهذا مثال آخر من العدل الاسلامي بين الطوائف الدينية ولو كانت ممن يكيد للمسلمين وهو مما رواه الامام مالك في الموطا عن سليمان بن يسار ان رسول الله (ص) كان يبعث عبد الله ابن رواحة الى خيبر ، فيخرص بينه وبين يهود خيبر . قال : فجمعوا له حليا من حلي نسائهم ، فقالوا له : هذا لك . وخفف عنا وتجاوز في القسم ، فقال عبد الله بن رواحة : يا معشر اليهود ، والله انكم لمن ابغض خلق الله الي ، وما ذالك بحاملي على ان احيف عليكم . فاما ما عرضتم من الرشوة فانها سحت ، وانا لا ناكلها ، فقالوا بهذا قامت السموات والارض (19) .

ان عبد الله بن رواحة في سلوكه هذا ، انما كان يعبر عمليا الاية الكريمة التي تقول (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى) (20) واذا بلغ الجمهور من الاعوان والمتصرفين في نظام حكم ، هذا المبلغ من التشبع بمبدا العدالة والحرص على تطبيقها حتى بين الخصوم ، فاقل ما يقال فيه انه نظام حكم مثالي من حيث الاخذ بجميع الاعتبارات الانسانية التي كثيرا من يتجاوزها خاصة الناس ، فكيف بغيرهم . وهذا هو نظام الحكم في الاسلام الذي جاء بالتي هي اقوم ، ولم يقم لاتباع (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) (21) كما تقول لليهود ملتهم ، بل حذرهم من ان تميل بهم العداوة عن اقامة ميزان العدل ، وشدد كتابه العزيز على ذلك في غير ما آية منه ، حتى فرض المسلمون للطوائف المساكنة معهم ، ان يقيموا لهم محاكم خاصة بهم ، وتقرر في الفقه الاسلامي اننا لا نحكم بينهم بشريعتنا الا اذا ترافعوا الينا ورضوا بحكمنا . وتلك غاية في التحري والانصاف ، لم يصل اليها نظام حكم قديم او حديث ، فهذه انظمة الحكم المعاصرة التي يزعم اصحابها انها المثل الاعلى في الديمقراطية والتحرر ، كلها تخضع الطوائف الدينية التابعة لها بدعوى الوحدة الوطنية ، لقانون حكم واحد وان خالف تشريعهم الخاص كما هو الحال بالنسبة لمسلمي الاتحاد السوفياتي وغيرهم .

والعدل مع الاجانب اهون منه مع الاقارب وذوي الحيثيات فان المحاباة والمجاملة كثيرا ما تعصفان بالحق والواجب ، وتقع العدالة في محنة لا مخلص منها ، ولكن ذلك في غير شرع الاسلام ودولته القائمة بالقسط ، فقد قال الخليفة الاول في اول خطبة له بعد بيعته (الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه) (22) ولا اقوى ممن يمت الى الحاكم بصلة قرابة او يدل عليه بجاه رفيع ، الا ان الاسلام جعل هذه القوة هي عين الضعف ، واصدر امره الصارم الى الحاكم باجراء العدالة مجراها من غير التفات الى اي اعتبار آخر ، وذلك كما جاء في القرءان الكريم « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (23) وكما ورد في الحديث الشريف (ان قريشا اهمهم امر المراة المخزومية التي سرقت على عهد رسول الله (ص) فقالوا من يكلمه فيها . ومن يجترىء عليه الا اسامة بن زيد حبه وابن حبه ، فكلمه اسامة فقال (ص) : أتشفع في حد من حدود الله . ثم قام فاختطب فقال : ايها الناس . انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، الحديث (24) .

ولنستمع الى واقعة حال تجسد هذا الاجراء بمنتهى النزاهة . ففي الموطا عن زيد بن اسلم عن ابيه انه قال خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش الى العراق ، فلما قفلا مرا على ابي موسى الاشعري ، وهو امير البصرة ، فرحب بهما وسهل ، ثم قال لو اقدر على امر انفعكما

---

(19) الموطا ، كتاب المساقاة .
(20) سورة المائدة الآية 8
(21) سورة آل عمران الاية 73
(22) البداية والنهاية ج 6 ص 301 والكامل ج 2 ص 160 .
(23) سورة الانعام الآية 152
(24) البخاري ومسلم عن عائشة .

به لفعلت ، ثم قال : بلى . ها هنا مال من مال الله ، اريد ان ابعث به الى امير المؤمنين ، فاسلفكماه، فتبتاعا به متاعا من متاع العراق ، ثم تبيعانه بالمدينة ، فتؤديان راس المال الى امير المؤمنين ، ويكون الربح لكما فقالا وددنا ذلك ، ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب ان يأخذ منهما المال . فلما قدما باعا فاربحا . فلما دفعا ذلك الى عمر . قال اكل الجيش اسلفه مثل ما اسلفكماه ؟. قالا : لا . فقال عمر بن الخطاب : ابنا امير المؤمنين ، فاسلفكما . اديا المال وربحه . فاما عبد الله فسكت ، واما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا امير المؤمنين هذا ، لو نقص المال او هلك لضمناه ، فقال عمر : ادياه ، فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله . فقال رجل من جلساء عمر : يا امير المؤمنين لو جعلته قراضا فقال عمر : قد جعلته قراضا . فاخذ عمر راس المال ونصف ربحه ، واخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب نصف ربح المال (25) .

ولا نحتاج الى التعليق على هذا الخبر فان مغزاه اوضح من ان ينبه عليه ، ولكن ربطا للكلام بعضه ببعض نشير الى ان هاتين المسألتين اللتين جعلناهما مرآة لانعكاس ظاهرة التوجيه الانساني للدولة في التشريع الاسلامي ، وهما مسألة الرقيق والعدل الشامل ، انما تبرزان الجانب العام من هذا التوجيه ، ولذلك اخترناهما والا ففي دقائق التشريع الاسلامي وجزئيات قانونه الكثير الطيب من هذه المسائل . وحسبنا ان نذكر منها مسألة تخفيف الحدود عن الرقيق الى حد تشطيرها وما في ذلك من نزعة انسانية ، مبنية على مبدأ الرفق به ، وتقدير ظروف المسؤولية المحدودة التي يعيش فيها ، لاسيما اذا ذكرنا ان جميع القوانين في الدول غير الاسلامية كانت تقسو عليه وتضاعف له العقوبة ، وربما عاقبته بالموت على اتفه المخالفات .

وهنالك باب واسع يشتمل على مسائل عديدة كلها ذات طابع انساني رائع ، وهو باب الحرب في الاسلام ونخص الكلام فيه ونقدمه على انه مظهر آخر من مظاهر انسانية الدولة الاسلامية ، وان كان من العجيب ان يرتبط امر الحرب بمعاني الانسانية، ولكنه كذلك في الاسلام كما سنرى .

فالحرب اول ما شرعت في الاسلام انما شرعت للدفاع عن النفس ، لا عدوانا على الغير ، او حبا في التوسع وما الى ذلك من اسبابها المعروفة . والحجة قائمة من القرآن وهي قوله تعالى « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » .

ثم بعد ذلك رخص فيها لحماية العقيدة ونشر الدعوة ودفع الظلم ، وهو ما تدل عليه بقية الآية « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض ، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » (26) فهي اذن حرب تلجيء اليها الضرورة ، او حرب مقدسة ترمي الى نصرة الحق واعلاء كلمة الله . ومن ثم كان اسمها في الاسلام الجهاد لا الحرب، لان ممارسها يبذل جهده في سبيل الله .

ثم هي مع ذلك حرب رحيمة يمنع فيها ان يقتل صبي او امراة او شيخ او راهب ، وان يقطع شجر او يحرق زرع ، وان يمثل بقتيل او يجهز على جريح، حتى لقد قال الدكتور جوستاف لوبون ، وهو يتحدث عن حرب الفتوح الاسلامية ، كلمته المشهورة : « لم يعرف العالم فاتحا اعدل ولا ارحم من العرب » (27)

وهذه وصية ابي بكر الصديق لجيشه الذي انفذه الى الشام : « لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا اطفالا ولا شيخا كبيرا ولا امراة ، ولا تعقروا نخلا ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا انفسهم في الصوامع ، (يعني الرهبان) فدعوهم وما فرغوا انفسهم له » (28) .

فلنذكر بازائها ما جاء في التوراة بهذا الصدد : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها للصلح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها،

(25) الموطـأ: كتاب القراض

(26) سورة الحج الآية 39 ، 40

(27) حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون ، ترجمة الاستاذ عادل زعيتر ص 720 .

(28) الموطا كتاب الجهاد واتمام الوفاء للخضري ص 22 .

واذا دفعها الرب الاهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك ، وتاكل كل غنيمة أعدائك التى اعطاك الرب الاهك» (29)

ثم لنذكر هذه الحروب الجهنمية العصرية التى تشن على الابرياء والضعفاء وتقتل النساء والاطفال تقتيلا وتهدم البيوت والعمارات الشاهقة على من فيها هدما ، وتحرق الناس تحريقا بقنابل النابالم ، بل تمسح المدن الكبيرة من فوق الارض مسحا بالقنابل الذرية ، فتذهب بعشرات الالوف من الارواح البشرية فى لمحة عين .

والتساءل بعد ذلك : اين هي الانسانية فى الحرب التى وصفتها التوراة ، وفى الحروب التى تباشرها الدول الكبرى فى العصر الحاضر ، بقطع النظر عن دوافعها وغاياتها .

افلا يحق لنا ان نصف حرب الاسلام ، وهي حرب على كل حال ، بالمقابلة مع ما ذكر بأنها حرب رحيمة .

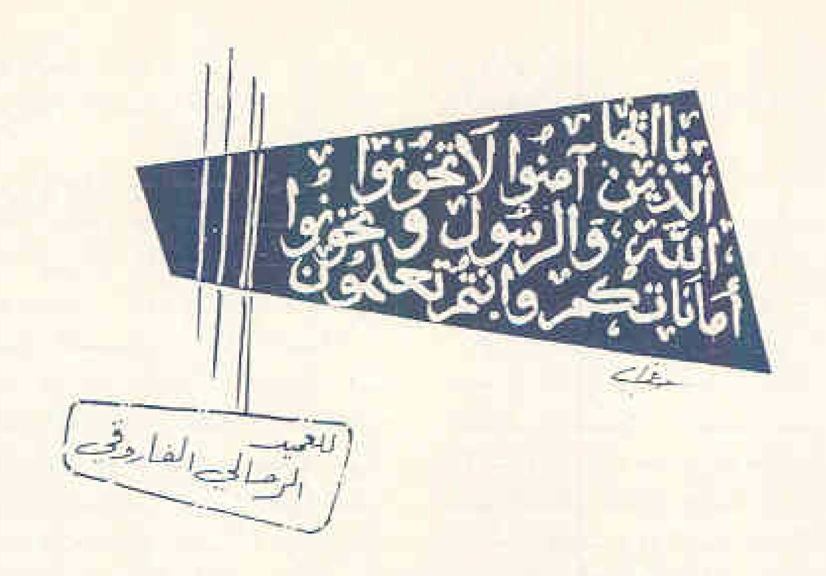
وشيء آخر نستطيع أن نؤكده بالاستناد الى الحديث الشريف (لا يعذب بالنار الا خالقها) وهو أن الحرب بالنار فى جميع اشكالها محرمة فى الاسلام، ولولا ان العدو يحاربنا بها لم يجز لنا ان نحارب بها ، وبذلك تكون قد نادينا بتحريم الحرب غير الانسانية التى تستعمل وسائل الابادة والتخريب ، ومن ضمنها الاسلحة الذرية والغازات السامة والجراثيم الفتاكة ، قبل ان توجد وقبل ان يضطر مرتكبو كبرها الى التنادي بذلك ، من اجل ما يرهبون من نتائجها ويتخوفون من عواقبها . تماما كما كان موقفنا من الرق ، حتى اهتدت الانسانية الى الصواب ، فحرمته فى اواخر القرن الماضي .

واما قبل ومع وبعد ، فاننا نسجل ظاهرة عجيبة فى تاريخ الاسلام الطويل ، وهي ان المسلمين كانوا دائما يشترون السلاح من الافرنج ، ولا يصنعون منه حتى كفايتهم ، وما يزالون يشترونه منهم الى الآن . وقضية ذلك ان دينهم دين السلام ، فروحهم السلمية ، برغم كونهم مهددين من الاجانب على الدوام والاستمرار ، لا تسمح لهم بصنع ادوات الفتك والتدمير . ان رسالة المسلمين رسالة عطف ورفق واحسان ، لا رسالة قتل وسحق ومحق ، وهي مظهر الخطاب الالهي للرسول الكريم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) . فهم لا يستطيعون ان يحيدوا عنها ولا أن يتنكروا لها . وقد اشربوها فى قلوبهم ، وجرت مجرى الدم فى عروقهم ، فاذا تحدث متحدث عنهم فأول ما يصفهم به انهم دعاة سلام . واما دولتهم فان اقل ما يقال فيها انها دولة انسانية .

عبد الله كنون

(29) سفر التثنية الاصحاح ، 2





ايها المسلمون فى كل مكان السلام عليكم ورحمة الله ــ وبعد فقد كان نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم يتخول الناس بالموعظة ، ويتعهدهم بها مرة بعد مرة ؛ ويتجنب الاكثار الذى يوجب الملال ويورث الكلال ، وذلك ان الغاية من الوعظ والارشاد ــ هو أن يقع موقعه ، وينفع صاحبه ، ولا يكون ذلك الا اذا روعيت مقتضيات الظروف ، وتطلعات النفوس .

وهذا الشهر العظيم الذى اقبل بنفحاته ، واطل ببركاته ، مناسبة للتحدث اليكم والتحادث معكم ــ لعلنا نجدد ايماننا ، ونهيىء نفوسنا فتصطلح على الخير والبر والتقوى ، ولعلنا نحاول بعد ذلك ان نميز فى اعمالنا بين الخير والشر ، ونفرق فى احكامنا بين الحق والباطل ــ ونعود الى الله بقلوبنا، فيما كان من اغلاطنا واخطائنا ، فان البشرية من شأنها ان تصيب وتخطيء وان تحسن وتسيء ــ وليست العبرة فى الحياة بمجرد التخطيط والتنسيق ، وانما العبرة ان يصحبك الاخلاص والتوفيق ، فلابد من الاعتداد بأسباب النجاة والفلاح وذلك صدق الايمان بالله والتوحيد ، والتشبث بالعمل الصالح المفيد ، ولابد من اعتماد ابواب الحياة والنجاح ، وذلك تحضير الاموال ، وتقدير الاعمال ، وتحقيق خبرة الرجال .

ثم ان الانسان الذى سماه الاقدمون بالعالم الاصغر ، قد رفعه الله على غيره بما وهبه من العقل والتدبير ، والرأي والتفكير .

واجمع العلماء والحكماء ان جميع الامور محتاجة الى العقل ، وان العقل محتاج الى الرياضة والتجربة ، وان من طرق العقل الحميدة ، المروءة ومكارم الاخلاق ، فان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا ، واكثرهم بالله تعلقا ، ومن طرقه كذلك القناعة والرضى بقسمة الله فان الطمع قد يحول بين الحق واهله ، ويجعل التملق خلقا لصاحبه .

ومن طرقه ايضا العفة والطهارة ، فان ركوب الشهوات النفسية ، من شأنه ان ينشر العفونة والرعونة فى الاوساط الشعبية ــ وقد قال وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ــ لنضلة الانصاري مبعوث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما فى حرب القادسية ، وقد ظهر له من جبل كان قد التجأ اليه نضلة واصحابه ــ اقرؤوا عمر عني السلام وقولوا له : اذا ظهرت هذه الخصال فى امة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وانتسبوا الى غير مناسبهم وانتموا الى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم ، وترك الامر بالمعروف فلم يومر به ، وترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه ، وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنيا ، وكان المطر قيظا ، والولد غيظا ، وطولوا المنارات ، وفضضوا المصاحف ، وزخرفوا المساجد ، واظهروا الرشا ، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا ، وقطعت الارحام ، ومنعت الاحكام ، وأكلوا الربا ، وحاز الغنى عزا والفقير ذلا ، وخرج الرجل من بيته فقام

اليه من هو خير منه فسلم عليه ، وركبت الفروج السروج ـ اذا ظهرت هذه الخصال فالهرب الهرب.

ايها المسلمون فى كل مكان ـ أعلموا ان اصل الفتن والمحن والمنازعات ، هو انعدام الثقة بين الاخوة والاخوات ، ورواج الغش والنفاق فى المجتمعات، وان سبب وجود القلق والكساد ، هو انحراف الناس وانتشار الفساد ، وان اختلاف الصفوف فى الصلاة ، هو علة اختلال الصفوف فى الحياة ، ومن اجل هذا كله باءت بالفشل الوساطات والمؤتمرات ، التى عالجت وحدة الصف وعملت على ازالة الحزازات ، وان وصفت بجو الصراحة والتفاهم فى البلاغات ، فالاختلاف قائم ، والتفرق لازم ، واذا كان المظهر يعجبك ، فان المخبر يفزعك ، واذا كانت القلوب مغشوشة ، فان الصفوف غير مرصوصة ، ومن لم خطبت الخطوب وطوحت الطوائح بين من تجمعهم وحدة اللغة وقرابة العقيدة.

روى الامام البيهقي فى الشعب عن مالك بن دينار قال : مثل اهل هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فوقع فى فخه ، فقال : مالي اراك مغيبا فى التراب ، قال : للتواضع .. قال : فمم حنيت ؟.. قال : من طول العبادة !.. قال : فما هذه الحبة ؟.. قال : اعددتها للصائمين !.. فلما امسى تناول الحبة فوقع الفخ فى عنقه فخنقه فقال العصفور: ان كان العباد يخنقون خنقك فلا خير فيهم ، وهذا قيل فى زمان مضى وانقضى ، فكيف بزمان اقل ما يقال فيه (عد عما ترى)

فجددوا ايها المسلمون ايمانكم بالله ، واقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة ، وطهروا مجتمعكم من الاوساخ والادناس ، واعملوا فيما بينكم من صدق واخلاص ، وانصروا الحق ينصركم الله ، وانكروا الباطل واتقوا الله ، واجمعو أمركم ، ووحدوا صفكم ، فان العدو رابض ، وان الشر كامن ، ولا تنافقوا فى دينكم ودنياكم ، ولا تخونوا امانة الله واماناتكم ، ولا تشمتوا بكم اعداءكم ، ولا تتخذوا من الكافرين وليا ، ولا من المومنين عدوا ، ولا تنابزوا بالالقاب ، ولا تتبادلوا السباب ، ولا ترجعوا كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ـ فان ذلك قضاء على اخوتكم ووحدتكم وشقاء لوطنكم وامتكم ، وشماتة لكثير من اعدائكم « وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

ايها المسلمون :

الا فاتقوا الله فى انفسكم وفى دينكم وفى حياتكم ـ واتركوا الشعارات التى تفرق بينكم ، والتى لا تمت الى الاسلام بصلة ، وانما هي من كيد الاعداء ووحي الاهواء ـ وانظروا كيف كانت حياتنا تطبع بطابع اسلامي شريف ، ـ وكيف اصبحت اليوم تتفرق وتتمزق ، فمنا من ينعت بالتقدمية والاشتراكية ، ومنا من يوصف بالرجعية والجمودية، بينما الاسلام يدعونا جميعا الى تصفيف الصفوف وتاليف القلوب وهو ثورة ضد الظلم والردة والفساد، ودعوة الى التقدم والعدل والسداد ، ولكنه حبب الينا ان نشتغل بالقشور ونتشبع بالشكليات ، ونشتط فى القول ، ونبعد فى السير ، حتى وقعنا فى غمرات شديدة ، وعثرنا عثرات بعيدة ، وامواج الاعداء تهددنا ، واهواء النفوس تدفعنا ، ولو قال قائل ان هذا غلو فى القول وفرط فى الامر لقلنا له ـ لم يكن الاسلام فى اصله ومبدئه ، يعتمد على عدو من اعدائه ، ولم يكن الاسلام فى عزته وشرفه يستقل فى تدعيم الشعارات الكاذبة والتيارات الفاسدة .

وان اخوف ما يخاف المومن ـ ان يملي الله لنا بنعمه ، ويستدرجنا سبحانه بمننه ، حتى يأخذنا بحكم عدله ، وان اخذه اليم شديد ـ روى الامام احمد فى مسنده عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا رايت الله تعالى يعطي العبد الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء، حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .

ايها المسلمون مما هو معروف فى الشرائع ان هناك حياتين حياة اولى وهي حياة العمل وحياة اخرى وهي حياة الجزاء ـ وذلك قوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » فقوله تعالى : بما كنتم تعملون اشارة الى حياة العمل وهي حياة الدنيا . وقوله تعالى ادخلوا الجنة اشارة الى حياة الجزاء وهي حياة الآخرة .

ولا مراء ان الله سبحانه وتعالى لا يأمر الا بالعمل الصالح، ولا يتقبل الا الدين الواضح ، وانه سبحانه حرم الظلم على نفسه ، فلا يظلم احدا من عباده، وقد قال سبحانه فى كتابه « فمن يعمل

مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » كما قال : « الا لله الدين الخالص » وكما قال : « واعملوا صالحا ، اني بما تعملون بصير » .

وانه ليسير على المومن ان يمتثل امره ، وعسير عليه أن يجتنب نهيه ، فاجتناب النواهي اشد على النفس من امتثال الاوامر .

ايها المسلمون في كل مكان

لذلك كان من العزم والحزم أن يجاهد المرء نفسه حتى يتخلص من النواهي ، ومن سائر الدواهي ــ وذلك كالرشوة التى انتشرت وسيطرت فانها تطيح المجتمعات ، وتضيع الامانات وانها خراب الذمم ، وسقوط الهمم ، وانها مدعاة الى ابطال الحق واحقاق الباطل ــ وقديما قالوا : البراطيل تنصر الاباطيل ــ وكالم الخبائث التى شاعت فى النوادي ، وذاعت فى البوادي ، وتربى بها الصغير ، وتغذى بها الكبير ، وفتحت أبواب الجرائم والاغتيالات ، وسهلت انواع السرقة والاختلاسات ، جاء فى سنن ابن داود عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل حرم الخمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنها ، وحرم الخنزير وثمنه .

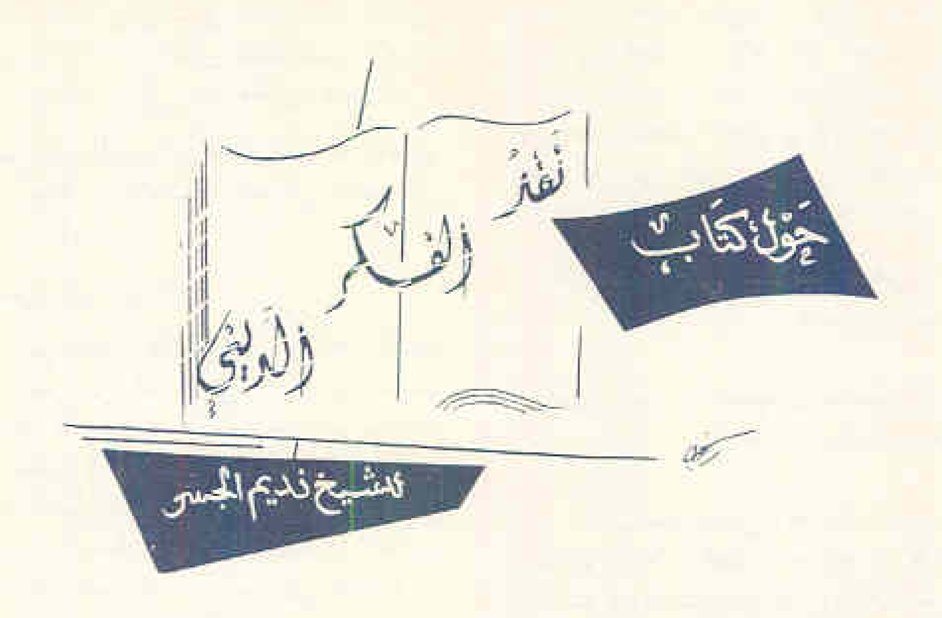
وجاء فى المستدرك للحاكم عن ابي امامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو ــ فيصبحون وقد مسخوا خنازير ــ وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا فيقولوا قد خسف الليلة بدار بني فلان وليرسلن عليكم حجارة كما ارسلت على قوم لوط ــ وليرسلن عليكم الريح العقيم ــ بشربهم الخمر واكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم ثم قال حديث صحيح الاسناد ولقد كان من مآثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه عزل عامله بميسان لما بلغه قوله :

اذا كنت ندماني فبالاكبر اسقني
ولا تسقني بالاصغر المتثلم

لعل امير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فقال عمر رضي الله عنه : وايم الله لقد ساءني ذلك ثم عزله ــ فلما قدم عليه سأله فقال ما كان من هذا شيء وما شربتها قط ، فقال عمر رضي الله عنه: اظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملا ابدا ــ ولا غرابة فى هذا فقد مات ولده رضي الله عنه فى حد الخمرة تحت السوط ، وهكذا كان الناس يحرصون على حماية الاخلاق المحمدية ، والاهداف الاسلامية ، ولا يفتحون بابا للفساد ، ولا يشجعون على الشر والعناد ، اللهم انا نسالك فعل الخيرات وترك المنكرات « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، انك انت الوهاب » لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب .

مراكش ــ الرحالي الفاروق



(رسالة مفتوحة على صفحات مجلة (دعوة الحق) ، من نديم الجسر الى الاستاذ عبد الواحد الناصر)

سيـدي الاخ الكريـــم

قرات ، في مجلة دعوة الحق القيمة ، مقالك عن كتاب « نقد الفكر الديني » للدكتور جلال العظم ، فرايت علما وفضلا وغيرة على دين الاسلام . واستوقفني منه قولك (ومن المؤسف حقا ان لا نجد اي رد يمكن ان نعتبره وجهة نظر اسلامية قطعية وشمولية تعبر عن الموقف الحقيقي للاتجاه الاسلامي الخالص من هذه القضايا الاساسية ، وتحدد بالتدقيق ، وبتعليل قاطع : الجواب الاسلامي الحاسم على كل المزاعم والاتهامات) . فبادرت الى توجيه هذا الكتاب المفتوح اليك على صفحات مجلة دعوة الحق مع نص المقال الذي كنت كتبته في مجلة (ملحق النهار) اللبنانية في 12 مارس سنة 1967 ، ردا على شبهات وشكوك كان اوردها الدكتور العظم في مقال سابق له ، عسى أن تكتمل لديك ، ولدى اخواننا اهل المغرب العربي ، صفحات الحوار الذي جرى ، حول هذا الكتاب ، عند اخوانهم اهل المشرق .

ولا بد ان يعتريك التعجب ، ويحملك على التساؤل عن أمرين :

1 – كيف اني وضعت ، في مطلع سنة 1967 ، الرد على شبهات وردت في كتاب (نقد الفكر الديني) الذي ظهر في أواخر سنة 1969 ؟

2 – لم امتنعت عن تجديد الرد وتوسيعه عند صدور كتاب نقد الفكر الديني وانا اول من تصدى للرد على شبهات العظم وشكوكه ؟

اما جوابي على التساؤل الاول فهو : ان كتاب نقد الفكر الديني ، الذي طبع ونشر ، لاول مرة ، في عام 1969 ليس بالكتاب الجديد المستقل ، بل هو ، كما ترى من اقسامه وفصوله ، (اضمامة) من مقالات ومحاضرات وردود شتى كان سبق للدكتور العظم ان نشرها متفرقة ، ثم راق له أن يجمعها كلها في كتاب واحد مع اضافات استطرادية .

واما عدم تجديد الرد بعد ظهور هذا الكتاب فله ، عندي ، سببان :

الاول – اني وجدت كل الشبهات والشكوك الهامة ، التي تستحق الرد ، بل يتوجب الرد عليها ، تكاد تكون محصورة في الفصل الاول من الكتاب تحت عنوان (الثقافة العلمية وبؤس الفكر الديني) . وهذه الشبهات الهامة قد وردت كلها في مقاله الاول الذي نشره في عام 1967 ورددنا عليه ردا شاملا يخص كل جزئية بذاتها ، ويصلح ايضا أن يكون نافعا لمعالجة كل شبهة تخطر على البال .

اما الفصول الاخرى من الكتاب وهي : (ماساة ابليس) و (معجزة ظهور العذراء) و (التزيف في الفكر المسيحي الغربي) و (مدخل الى التصور العلمي للكون وتطوره) : (فالابليسية) منها هي اتفه من أن تستحق الرد والمناقشة ، كما ان المعالجين القدماء لهذه (الابليسية) هم ، في جدلهم حولها ، اسخف من أن يعبا الاسلام بترهاتهم العقيمة . اما الفصول المسيحية فلا نتعرض لها لان لها ، من اهلها، من يرد عليها . ويبقى الفصل الاخير وهو علمي محضا ، وقد سبق لنا في ردنا ان اكدنا ان الحقائق العلمية القاطعة لا تتعارض مع دين الاسلام ابدا .

←

اما السبب الثاني لعدم تجديد الرد فهو : اني وجدت ان الدكتور العظم ليس ممن ينفع فيه تكرار الرد ، لا لانه غير قادر على ادراك الحق ، بل لانه ، على وفور علمه وذكائه ، عاجز عن التحلي بادب الحق ، وعارف باساليب التخلي عن (الامانة الفكرية العلمية) التي يكثر هو من ذكرها في كتابه .

تعرف ذلك اذا قرات ردي ، ثم قرات كتابه الذي نشره بعد الرد ، ورايت انه عند جدله مع كثير من اعلام الفكر اللبناني يذكر اقوالهم باسهاب . ولكن عندما وصل الدور الي في الصفحة : 37 اكتفى ، من ردي الطويل العريض ، بذكر جملة استطرادية قلتها عن شبهة عدم رؤية الملائكة والجن ، وترك غير ذلك من الردود الاساسية الجوهرية التي كتبتها عن الشبهات الاخرى الكثيرة ، فلم يذكرها لا تفصيلا ولا اجمالا ، بل تعمد هذا الترك في الصفحتين 39 و 40 من كتابه عندما تكلم عن خلق الاجنة وتكوينها ، فلم يذكر توضيحي لمعنى هذا الخلق من نطفة الى علقة الى مضغة ، الذي ورد ذكره في الآيات 12 و 13 و 14 من سورة (المؤمنين) ، مع ان المناسبة كانت تذكر به ، والضرورة كانت توجب ذكره والامانة العلمية في الجدل والمناظرة كانت تقضي بذكره ... فعلمت من كل هذا ان الرجل ، على علمه وذكائه ، ممن يصدق عليهم قول الله (فاستحبوا العمى على الهدى) .

وبعد فهذا تمهيد قدمته بين يدي مقالي الردي الاول الذي نرجو من مجلة دعوة الحق أن تنشره بحذافيره دفعا لفتنة هذا الكتاب التي استشرى خطرها من مشرق البلاد الاسلامية الى مغربها ، ولا سيما عند الشباب المثقف ، قياما بواجب الدفاع عن دين الاسلام ، وهو الواجب الاعظم الذي أنشئت هذه المجلة القيمة من قبل وزارة الاوقاف في المملكة المغربية الاسلامية ، من أجل القيام به .

نديم الجسر

واليكم مقال الرد :

قرات في «الملحق» الصادر في 19 شباط 1967 ، مقالك (الدكتور صادق جلال العظم استاذ الفلسفة في الجامعة الامريكية) الذي عنوانه : « ندوة الجامعة الاميركية اكبر برهان : ليس من فكر اسلامي معاصر حول الله والانسان » ، فرايت فيه اشياء من الصواب ، واشياوات من الخطا والتجاهل ، مع قليل من الخروج على رصانة العلم ، وكيس الذكاء ، وانصاف النقد ، وكرم الحوار ، وما وجدت لك ، في هذا ، عذرا ، وانت من العلم في منصب الاستاذية في احدى اكبر جامعات العالم ، ومن الذكاء في قمة الالمعية ، ومن سيادة الاصل في ذروة العبقرية ، فاردت ان ارد عليك ، ثم ادعوك الى حوار مشهود ، عسى ان يجد الحق الذي تتساءل عنه جوابه والخطا الذي وقعت فيه صوابه ، والتجني الذي تعمدته عتابه .

واقسم ، لو كان هذا الخروج علي وحدي ، لما وجدت باعثا للرد عليك ، لاني ارى نفسي اصغر واحقر من أن تأخذني غضبة العزة حتى انتصر لها . ولكن عندما يكون الخروج على الله ورسوله ، ويصل الى صريح التهكم والتسخر من القرآن ، يصبح الانتصار والانتصاف فرضا تهون في سبيله الارواح ، فكيف اذا كان هذا الانتصاف سهلا هينا ، معك ومع امثالك من الشباب العلماء ، الذين لا يمنعنا ما يصدر عنهم من شطط القول في الدين ، عن جهل ، او تفاصح ، او زهو بالعلم ، او تظاهر بالجرائية ، ان نعترف لهم باشراق البصيرة وصفاء السريرة ، وسلامة المنطق ، وبقية من الاخلاص تشدهم الى القرآن ، وتجعلهم في حرص وشوق الى التوفيق بينه وبين حقائق العلم وبداهة العقول . ولو وقف هؤلاء الشباب العلماء عند حدود السؤال والاستيضاح ، بلا تهكم ولا سخرية ، لكانوا اعوانا على اظهار الحق . فانه لولا الشك ما عرف اليقين ، ولولا الشكوى ما عرف المريض ، ولولا السؤال ما انتهض الجواب .

وساجعل الكلام معك على هذا الترتيب : ابدا بذكر صوابك ، ثم انتقل الى عتابك ، ثم انتهي الى الجد من الرد على شكك وارتيابك .

اما صوابك : فهو في ثلاثة : اولها ــ قولك عن الندوة التي دعت اليها وشهرت بها الجامعة الاميركية ، وشوقت الى ما سيكون فيها من الحوار الكريم بين المسيحية والاسلام ، وحملتنا ، بهذا التشويق على المشاركة بهذا الحوار ، على يأسنا من جدواه في هذا البلد البابلي العجيب ، لم تكن كما قلت ، ندوة بالمعنى الدقيق ، ولم يكن فيها حوار البتة ، بل اقول انه لم يكن فيها حضور ، ولا نظارة ، ولا مناظرون ولا محاورون من الجانب الذي دعت الجامعة ، باسمه ، الى الحوار . فصدق بذلك كلامك ، وصدق يأسي . . ولو انك ، حين لمتنا على اكتفائنا بالقول العام المركز ، دون المنتشر في الفروع والجزئيات ، التمست لنا عذرا مما تشكو منه من ضيق الوقت وحشكه بالخطباء ، وفقدان الحوار ، لجمعت الحق من فضائله ، واصبت الانصاف في مفاصله .

اما صوابك الثاني ، فهو في اسفك على انزلاق بعض المحاضرين فى طريق الدعاية لبعض القضايا القريبة جدا من السياسة والتهجم على قضايا لا تتفق مع أهوائهم ، وان كان هذا الصواب مشوبا بظلمك لي ، حين حشرتني الى زمرة هؤلاء الدعاة.

اما صوابك الثالث فهو فى بعض كلامك عن الصوفية ، وفى قولك لمن اعتبرها الحل النهائي والجذري لمشكلات الانسان المعاصر « أن كلامه هذا يخبيء وراءه سلوكا هروبيا ، هدفه الابتعاد عن مواجهة الحقائق والواقع ، عن طريق انطواء الانسان على ذاته » . فهذا ، منك ، قول فى منتهى الصحة والعمق والاخلاص . فانه ليس فى دين الاسلام صوفية بهذا المعنى (الهروبي الانطوائي) قط . بل هذه صوفية خيالية اتتنا رياحها المخدرة من الشرق القديم ، ومن النساك المترهبين ، فى فترة قلقنا الفكري و الاجتماعي والاخلاقي والوجداني، فراق لبعض المخاصين منا ان يصوغ ، على مثالها ، صوفية اسلامية ، كان منها الصافي النابع من معين النبوة ، وكان منها المعكر بزبد الطقوس الغريبة عن معدن الاسلام وجوهره . واذا كان فى الاسلام صوفية ، فانما هي صوفية النبي وكبار اصحابه ، فى عبادتهم ، وبعدهم عن الترف ، وجهادهم الدائم الدائب فى كل ما ينفعهم ، وينفع الناس : من سعي وعمل واكتساب وعلم وقوة ودفاع ونصح وارشاد وتعاون وتناصر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر واهتمام بأمر الجماعة ، واستنكار لكل ما يحمل معنى الانقطاع عن الدنيا ، او معنى التبتل او التعمق فى العبادة ، او المغالاة فى الزهد ، أو الانطواء على الذات ...

مسخ وتشويه وتهكم

اما عتابك فهو على هذه العبارة التى انقلها بحروفها : « ومن ناحية اخرى يمكننا القول ان بعض المحاضرين تطرقوا الى مواضيع معاصرة ، ولكن بصورة خارجة عن الموضوع ايضا ، لانهم لم يبينوا شيئا عن الله والانسان فى الفكر الاسلامي المعاصر ، ولانهم ذكروا هذه المواضيع ذكرا ، ولم يعالجوها معالجة فكرية . وعلى سبيل المثال نجد محاضرة الشيخ نديم الجسر ذكرت الحوار بين المسيحية والاسلام ، وشرحت للسامعين معنى «تمهيد وتوطئة» كما وردتا فى المحاضرة ، وذكرت بفتوحات العرب واهميتها ، واشارت الى ثروات العالم الاسلامي الكامنة ، والى خطورة موقعه الجغرافي، ولعنت الاستعمار والالحاد والماركسية ، واهتمت بقضية فلسطين الخ .. ولكنها لم تطرح أيا من المشكلات الفكرية والروحية الخطيرة التى يواجهها المسلم فى القرن العشرين . » اهـ . هذه عبارتك . فاسألك بشرف العلم اليس فى قولك هذا عن كلامي بعض المسخ والتشويه والتهكم ؟

اني لم اشرح كلمتي « تمهيد وتوطئة » للتفاصح فى الشرح اللغوي ، كما يوهم كلامك ، بل شرحتهما لا توصل الى جوهر التمهيد والتوطئة للسامعين بكلام يرضيهم ، ويخفف ما قد يكون عند بعضهم من اثر رواسب التاريخ .. فمالي اراك صورتني اتفيهق واستشوق ، حين ازج فقه اللغة فى الكلام عن الله ؟

ثم ، انا لم اذكر السامعين بفتوحات العرب لابين اهميتها ، ولا نوهت باهميتها . ولكن ذكرتها لاضعها فى ميزان المقارنة مع فتوحات الغربيين المستعمرين . فمالك نقلتني من رصانة البحث الى ديوان الحماسة ؟

ثم . انا لم اذكر ثروات العالم الاسلامي، وخطورة موقعه الجغرافي ، من باب (عرض العضلات) كما يشم من قولك . بل ذكرت هذا وغيره لاستوفي تمام الوصف لواقع العالم الاسلامي المعاصر ، فى اسباب قوته واسباب ضعفه . ولو تذكرت ان الموضوع الذى انا مكلف اياه من الرئيس كوركوود ، اسمه « الاسلام فى العالم المعاصر » لادركت أني كنت ، بالضرورة ، مطالبا بوصف حاضر العالم الاسلامي وواقعه من كل النواحي ، توصلا الى البحث عن سبب تخلفه . وما اظن ان هذا يعد خروجا على عنوان الموضوع .

ثم . انا لم العن الاستعمار ولا سببته قط ، لان أدب القرآن يمنعنا من السب . ولكن ذكرت الاستعمار فى صدد حديثي عن اسباب ضعف المسلمين . ومن اهم الاسباب استيلاء الاستعمار السابق على بلاد الاسلام ، وعداوته للمسلمين ، وابتزازه لثرواتهم ، وحرصه على استمرار الخلاف والفرقة بينهم . وهذا من صميم موضوع « الاسلام فى العالم المعاصر » . فمالك صورتني لعانا سبابا ، ازج الشتم فى حديث العلم ، واكتفي ، من مقاومة الاستعمار او محاربته بطول اللسان ، وطق الحنك ؟

ثم انا لم العن الالحاد بلفظ اللعن ، كما قولتني، وان كنت العنه بقلبي . لاني لست سبابا لكي لا اكون سبة ، ولا سيما اذا كنت أتكلم فى مجلس قد يكون

فيه كثير من الملحدين . فما بالسب واللعن يسترد الملحدون الى حظيرة الايمان ، بعدما قال القرآن : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » (سورة النمل الآية 125) .

وكذلك لم العن الماركسية بلفظ اللعن ، كما قولتني ، ولا العنها هكذا «بالجملة» . وان كنت « بالمفرق » ، انكر منها الالحاد . فالماركسية ، في اصلها ، مذهب اقتصادي اجتماعي فيه بعض الخطأ، وفيه بعض الصواب . ولا يزال خطأه وصوابه موضع البحث والجدل بين اهل الارض قاطبة . ولكن ماركس قد انساق ، من خلال بحثه الاقتصادي ، الى الالحاد بالدين المسيحي ، من غير تفكير بحقيقة الانجيل وجوهره ، حين اخذ الايمان بجريرة بعض رجال الكهنوت الذين اعتبرهم ، من ناحية بؤس الفقراء ، في صف الاقطاعيين ، ومن ناحية جمود التفكير وتجميده ، في صف العاملين على استمرار هذا البؤس من طريق حمل الناس ، باسم الدين ، على الصبر والتوكل والتواكل والخضوع والاستكانة والتذلل . وبهذه النظرة السطحية الضيقة اعتبر الدين كله « افيون الشعوب » والغى الايمان وانكر وجود الله .

فاذا كنت العن الالحاد بقلبي ، وانكره بلساني وقلمي ، واحاربه بالحكمة والموعظة الحسنة كما امرني ربي ، فاضع الكتب واطبعها واوزعها على الناس مجانا ، في سبيل الدعوة الى الايمان بالله ، فاني لست العن مذهب الماركسية الاقتصادية « جملة وتفصيلا » كما قولتني ، ولا غيره من المذاهب . ولكن اعرض وسطية الاسلام كحل وسط معتدل بين افراط الشيوعية وتفريط الراسمالية ... فمالي اراك اغضيت عن ذكر هذه الوسطية الاسلامية، وعن ذكر ركائز التفكير التي اوضحت انها تتلاقى وتتفق مع ركائز التفكير الغربي المعاصر ، على تقديس العقل وتقديس العلم . ثم اغضيت عن ذكر الوسطية في فهم معنى الحرية ، وعن غير ذلك من الامور التي عرضتها ، بقدر ما يسمح ضيق الوقت ، عرضا مركزا في سبيل التوصل الى حل صحيح لمشاكل الصراع القائم بين الالحاد والايمان ، والصراع بين الطبقات ، والانحلال الاخلاقي ، وجئت تقول عن محاضرتي « انها لم تطرح ايا من المشكلات الفكرية والروحية الخطيرة التي يواجهها المسلم في القرن العشرين » ؟

الا ان كنت فعلت كل هذا الاغضاء عن الجوهر، والمسخ والتشويه عن غير قصد ، فسامحك الله ، وان كنت قصدته وتعمدت التهكم ، فاني لا اقابلك عليه الا بالتبسم ... الست واياك من اهل القرآن الذي يقول « ادفع بالتي هي احسن السيئة » ويقول « ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم » .

والآن جاء دور الرد على تساؤلاتك :

وجـود اللـه

ارجح ان الجدل بيننا ، الآن، ليس عن وجود الله او عن عدم وجوده . فانك وانت استاذ الفلسفة، لابد ان تكون عند الحق من قول فرنسيس باكون « ان القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد الى الله » . والظاهر من كلامك انك مؤمن بان الله هو خالق الكون ومؤمن بالتالي ، وبالبداهة ، بان خالق الكون هو خالق النواميس ، وبانه خالق الحياة ، وخالق الذباب ، الذي قال عنه القرآن ، في سورة الحج « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، ان الله لقوي عزيز » قبل ان قال روجر باكون وتوماس اكويناس بقرون طويلة ، قوليهما المشهورين : « ما من عالم قد عرف ، حتى اليوم ، حقيقة ذبابة » .

وانما انت تستصعب تصور الذهن لهذا الاله ، على طريقة القرآن الذي يقول عنه « ليس كمثله شيء » . وتستشكل في خلق الله لآدم من تراب ، وتقطع كل علاقة لله في خلق الاجنة ، حتى تكاد تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات الى ما يكاد يكون الغاء لوجود الله ... وهذا ما يحيرني في امرك ... والا فقل لي : كيف توفق بين كونك مؤمنا بأن الله خالق الكون ، وخالق الحياة ، وخالق الانسان ، وخالق النواميس ، وكونك تغفل ، وانت العالم الالمعي ، عن تفسير آيات خلق آدم ، وخلق الجنين في بطن امه بانها قد تعني الخلق التطوري للخلية الانسانية بطريق النواميس التي خلقها الله ، مثلما قد تعني ، في الظاهر ، الخلق الدفعي المباشر ، مع ان كلا الخلقين داخل في قدرة الله ، وليس احدهما بادل على هذه القدرة والحكمة من الآخر ؟

ومهما يكن الامر ، فاننا لا نسوق الحديث اليك وحدك ، بل نسوقه الى من ورائك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبانه خالق الكون ، ويرددون فى صدورهم بعض الاسئلة التى طرحتها وامثالها . والحوار مع هؤلاء لا يدور ، اذن ، حول وجود الله . والا فتكون مصيبة ان نبدأ ابجدية الايمان من اولها ، ونسرد قصة الايمان التى ألفناها من بدايتها الى نهايتها ... وانما يدور الحوار على القرءان وما فيه من آيات متشابهات ، يبدو لك واهم ، فى الظاهر ، انها تتناقض مع العقل او مع العلم ، ويدور ايضا حول تفكير المسلمين فى العالم المعاصر ، وزعمك انه مقيد ومشدود الى الوراء شدا يمنعهم من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .

فعلينا ، اذن ، ان نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الاسلامي ، لنرى ان كانت تتعارض مع العقل ام تعتمد عليه ، وتتنافى مع العلم ، كما زعمت ، أم تؤيده ؟ وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك ، مهما كان نوعها وموضوعها ، حججه وبراهينه بدون تطويل ، ويصبح هذا الرد المركز الذى نضعه كالجعبة فيها السهام ، بل كخزانة الدواء فى البيت ، نجد فيها العلاج لكل شك وريب .

ركائز التفكير الاسلامي

وقبل ان نكشف عن ركائز التفكير الاسلامي نسارع الى بيان امور اربعة :

اولها — اني انا المسؤول عن صدق هذه الركائز ، وانا المطالب بالدليل على كل واحدة منها لانه لا يتسع المجال فى هذا الرد الصحافي ، وفى جريدة « النهار » ، التى ليست « مجلة الازهر » لبسط الادلة على ما نقول . ولو اردنا ان نفعل لاحتجنا الى مجلد ضخم او اكثر، ولن يستطيع عمرنا الذى اشرف على نهايته ، لمثل هذا العمل الضخم . ولعل الله يقيض له من يقوم به .

اما الامر الثاني ، الذى نسارع الى بيانه وتأكيده ، فهو ان التفكير الاسلامي نابع من اصول القرآن ومبادئه لا ينفك عنه ابدا .

والامر الثالث هو : ان ركائز التفكير الاسلامي تتلاقى تلاقيا تاما مع آخر ما انتهى اليه العقل والعلم والفلسفة من الحقائق القاطعة المتفق عليها .

والامر الرابع هو : انه لا تعارض مطلقا بين قولنا ان ركائز التفكير الاسلامي ترسو على أصول القرآن ومبادئه وقواعده ، وقولنا انها تتلاقى مع حقيقة التفكير العالمي المعاصر لان اصول القرآن تتسع لكل ما هو حق وخير ونافع ومفيد فى كل عصر وزمان ومكان ، ولان فهم أصول القرآن يزداد عمقا كلما ظهرت حقائق العلم القاطعة . وبهذا التوفيق يكون لنا فكر اسلامي معاصر جديد ينبع من القرآن القديم . ولا قيمة لرأي الجامدين والجاهلين .

فما هي ركائز التفكير الاسلامي القديم الجديد التى تتلاقى مع حقائق العقل والعلم القاطعة ؟

1 — القرآن والعقل

ان القرآن يجعل للعقل السلطان الاعلى فى ادراك كل معاني الحق والخير من اتفه الامور كاماطة الاذى عن الطريق، الى اعظمها وهو وجود الله وصفات كماله . وفى القرآن اكثر من 300 آية تدعو الى تحكيم العقل ، وتزري ازراء شديدا بالذين لا يحكمون عقولهم . وابلغ هذه الايات واوجعها قوله « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وكل ايمان لا يبنى على العقل لا يعد من الايمان الكامل . اما ايمان العجائز فانما هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج عن العاجزين .

والقرآن يكره الجمود على تقاليد الآباء والاجداد اذا كانت هذه التقاليد تناهض احكام العقل القاطعة ، ويهزأ بهؤلاء الجامدين ، ويسخر من الخرافات والاساطير، وليس فيه اسرار يحدث تصورها تناقضا عقليا فى الذهن ، وكل نص فى القرآن يحدث تصوره ، فى الظاهر ، تناقضا عقليا فى الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض .

فالاسلام ، اذن هو الدين السماوي الذى يجعل الجدل العقلي الصارم طريقا الى الوصول الى الحق .

هذه حقائق يقينية مقررة ، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة . ومن جهلها او انكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والاسلام .

2 — القرآن والحرية

ان حرية الانسان ، فى نظر القرآن ، هي امر طبيعي وضروري وبديهي . وان حرية الفرد مطلقة

الى آخر حدود الاطلاق ، ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق او بالخير .

وهذا المفهوم الجامع ، كما انه يشمل كل انواع الحريات ، من حرية التفكير وحرية العقيدة والقول والعمل والتملك والتصرف ، فانه يشمل، كذلك، كل أنواع الحق والخير ، بالنسبة الى الفرد ذاته ، وبالنسبة الى غيره من الناس ، وبالنسبة الى المجتمع. لا فرق فى ذلك كله ، بين ان يكون الفعل او القول مباحا بذاته للفرد ، او حقا من حقوقه المشروعة ، أو ضربا من القربات الى الله . فلو اسرف الفرد فى اكل الطيبات اسرافا مضرا بصحته انقلب المباح حراما ، ولو أسرف فى اساءة استعمال حقه وقف حقه ، ولو اسرف فى الزهد والتقشف والتبتل ، بل فى العبادة نفسها ، بل فى الصدقات والمبرات ، الى الحد الذى تصطدم، عنده، حريته بخير نفسه او زوجه او ولده او وارثه او المجتمع ، لانقلبت قرباته هذه كلها الى محرمات يمنعها القرآن .

3 ـ القرآن والعلم

ان القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة ، القوة نفسها التى للحقائق الرياضية القاطعة ، اي السلطان نفسه الذى للعقل . لان العلوم الطبيعية انما هي انكشاف للنواميس التى خلقها الله فى الكون ، فانكارها ، هو بالضرورة ، انكار للعقل الذى يدرك النواميس ، وانكار للذى خلق النواميس ، ومعارضة للقرآن الذى استدل فى آيات كثيرة ، بهذه النواميس على وجود الله وقدرته. وهذه الانكارات تؤلف بذاتها تناقضا عقليا صارخا بين الايمان والعقل .

وليس صحيحا قولك « ان العلم الذى حث على طلبه الاسلام هو فى جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء »، ولو كان الغزالي رضي الله عنه هو الذى يقول ذلك. بل الحث عام يشمل علم الدين الذى هو اعظم العلوم وانفعها للمجتمع ، ويشمل علم الطب وكل علم ينفع الناس والمجتمع. وليس ادل على ذلك من الآية 28 من سورة فاطر ، التى يخلع بها القرآن وصف الخشية الكاملة على علماء الطبيعة ، ويكاد يحصرها بهم حين يقول « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء » . فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه ، أم هم علماء الطبيعة العالمون باسرار النواميس فى الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الارض ؟ .

4 ـ القرآن ليس بموسوعة

ولكن القرآن ليس بموسوعة العلوم والفنون . ومافيه من الاشارات الى بعض النواميس الطبيعية انما هو للتدليل على وجود النظام المحكم ، ثم الاستدلال العقلي بهذا النظام على وجود الله . واما قول القرآن « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فليس معناه انه موسوعة لعلوم الاولين والآخرين ، كما يقول بعض البلهاء . بل معناه انه لم يترك اصلا من الاصول ولا مبدأ من المباديء التى يرتكز عليها الحق والخير الا ذكره وبينه .

5 ـ نهج القرآن فى الخطاب

ان اعجاز القرآن اللغوي لا يقوم على بلاغته المعروفة عند بلغاء العرب فحسب ، وانما يقوم على قدرة عجيبة فى التعبير عن الحق بشأن النواميس الطبيعية والاجتماعية ، التى لم تكن معروفة للعرب ، او معروفة للبشر ،ببيان يفهمه البدوي الساذج على قدره ، ويفهم اسراره المدهشة العالم او الفيلسوف على قدره . لانه ما كان لله العليم الحكيم ان يخاطب الناس بامور لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتسع لادراكها معارفهم .

فاذا قال لهم سبحانه « ان الله يمسك السماء ان تقع على الارض » سورة الحج الآية 65 ـ او قال لهم « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » اسراء 12 ـ او قال لهم « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » الزمر 5 ـ او قال لهم « والفلك تجري فى البحر بامره » الحج 65 ـ او قال لهم « وانزل لكم من السماء ماء » النمل 60 ـ او قال لهم « ارايتم النار التى تورون، انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون» الواقعة 71 ـ او قال لهم « الم نجعل له عينين » البلد 8 ـ او قال غير ذلك من مئات الآيات الدالة على قدرته المشيرة الى النواميس التى وضعها فى مخلوقاته ، فانه يقول لهم ما يفهمونه على ظاهره ، من غير ان يشوش افهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما

لا يفهمون عن اسرار نواميس الجاذبية ، والنور ، والبصريات ، ودوران الارض على نفسها امام الشمس ، وقانون ارخميدس ، او اسرار عملية المطر ، او اسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الاوكسجين ... ولكنه سبحانه يقول لمن سيأتي من العلماء الذين يطلعون على هذه الاسرار « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » . وقد جاء الوقت وانكشفت بعض الاسرار وتبين الحق ...

6 ـ قانــون العليــة

من ركائز التفكير العقلية في القرآن امر الفطرة ، ومن جملتها « قانون العلية » . ذلك ان في عقولنا قوانين فطرية وهي التي سماها كانط « قوانين العقل المنظمة»

ومن جملتها ، بل من اعظمها قانون العليـة ، الذي يتطلب بالبداهة ، لكل معلول علة ولكل مسبب سببا . هذا مقرر ، وليس لنا ان نشك فيه ، كما انه ليس لنا ان نتطلب عقولا وراء عقولنا التي فطرنا الله عليها « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها » روم 30 ـ وبهذه الفطرة من قانون العلية ندرك وجود الله . ومهما اختلف المتفلسفون في هذه الفطرة وكونها مكتسبة من تجارب الانسان الطويلة ، او كونها من خلق الله ، فان قانون العلية الذي اعتبره ديكارت صادقا وغير خادع ، واستدل به على الله ، وعلى صفات كماله ، هو على كل حال القانون العقلي الذي يتحكم في ادراكنا لكل ما في الوجود، وعليه يقوم العلم ، وعليه تقوم المعرفـة ، وعليه تقوم الحياة ، وعليه يقوم الايمان بالله .

7 ـ ميــزان التناقــض

ان النظر العقلي يدور في كل شيء من الماديات والمعنويات ، والمشاهدات والمغيبات ، حول احكام ثلاثة : الوجوب والامكان والاستحالة . هذا مفهوم عند ابسط الناس علما وفهما ، ولكن الذي يشتبه ويخفى على بعض ارقى المثقفين من الشباب ، احيانا، هو التفريق بين نوعين من المستحيل : المستحيـل العقلي وهو الذي يشكل تصور وجوده او تصـور عدم تناقضا عقليا في الذهن ، كقولنا الواحد ربع الاثنين لا نصف الاثنين ، او قولنا جزء الشيء اكبر من الشيء او قولنا جبل لبنان يدخل في الفنجان . اما المستحيل العادي فهو لا يحدث تناقضا عقليا في الذهن ، ولكننا بحكم العادة نظن انه مستحيل ، وما هو كذلك ولكننا تعودنا ان نراه مستبعدا كالمستحيل، ثم عرفتنا الايام انه ليس بمستحيل عقلي : مثـل الصعود الى السماء ، والتخاطب والتناظر من اقاصي الارض ، والوصول الى القمر . والميزان الظابط في تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه بل هـو كونه يحدث تناقضا عقليا ، كما يقول لايبنتز . فان احدثه نفيناه وان لم يحدثه توقفنا عن التكذيب . فلا يغفلن الشاب التثيف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل اذا هو تورط في جـدل مع نفســه حول الله والدين واخبار القــرآن .

8 ـ نطــاق العقــل

من ركائز التفكير الاسلامي الراسية على اصول القرآن ، التفريق ، في الادراك ، بين عالـم الغيـب وعالم الشهادة . وهذا نفسه ما عرفتـه الفلسفـة واوضحـه كانـط . فهنـالك نوعـان مـن الادراك للموجودات : ادراك لكنه الشــيء بذاتـه ، وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلق عن ادراك كنه ذاته . فالعقل البشري قد يستطيع ادراك كنه الشيء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادي المحسوس (عالم الشهادة) اما في عالم الغيب غير المحسوس فالعقل يستطيع ادراك وجود الشيء بالاستدلال ، ويستطيع ادراك بعض صفاته، من آثاره . ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هـذا مقرر لا يحتمل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كمالــه ، من آثــاره بدون ان نستطيع ادراك كنه ذاته .

9 ـ التصــور والتعقــل

ومن ركائز التفكير الاسلامي الذي ينبـع مـن اصول القرآن ان نفرق بين التعقل والتصور وهكذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة. فليـس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لاننا قد نعقل وجود الشيء بالدليل، ولكن لا نستطيع ان نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشيء الذي تعقلناه مبررا للقول بعدم وجوده . اترانا نستطيع ان نتصور ان صحيفة من ورقة السجاير الرقيـق الرقيـق ، اذا قطعت بالتضعيف 45 مرة ثم ركمت صعودا تدق بالقمر ؟

ولكننا بالحساب البسيط نتعقله . واذا القى الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون افلا نستدل به على وجود صانع، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التى منها انه عاقل وذكي وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجوده وتعقل بعض صفاته لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لاننا لم نشاهده ولم نحسه ، فلا ندري اهو من البشر أم من نوع الانسان الآلي ، ولكن هل يصح فى حكم العقل، ان ننكر وجوده لاننا لا نستطيع تصور كنه ذاته بعدما تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلي القاطع ؟

10 ـ غايــات الاشيــاء

ومن ركائز التفكير الاسلامي الراسية على اصول القرآن اننا محجوبون عن ادراك بدايــات الاشيــاء ونهاياتها . هذا مقرر ، هكذا خلقت عقولنا بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى فى عالم المادة الذى نعيش فيه ، كما يقول باسكال . فالصوت اذا افرط فى الشدة يصم اسماعنا ، او على الاصح لا نسمعه ، والنور اذا افرط فى الشدة يعشي ابصارنــا بــل يصعقنا كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا افرط ، كما يمنعنا البعد . هذا هكذا فى عالم الشهادة ، فكيف اذا كان الامر الذى نريد معرفــة اولياته وبداياته ونهاياته وغاياته فى عالم الغيب ؟

11 ـ الظــن والحــق

من ركائز التفكير الاسلامي « ان الظن لا يغني من الحق شيئًا » يونس 28 ـ وهذا هو نفسه منطق العقل فى اثبات الشيء ونفيه . هنالك فرق كبير ، عند القطع والجزم ، بين الاثبات والنفي . فنحـن نجزم بثبوت الشيء الذى يقوم الدليل العقلـي او العلمي القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا ان نجزم بنفـي الشـيء او الخبـر الـذى لم يقـم لدينـا الدليل علـى وجـوده الا اذا كـان تصـور وجـود هذا الشيء ، او هذا الخبر ، يشكل تناقضا عقليا فى الذهن ، كما يقول لايبنتز . اما اذا لم يكن الامر كذلك ، وكان الشيء او الخبر من النوع الممكـن ، فاننا نقف امامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل ، فلا نقطع بثبوته عقلا ولا نقطع بنفيه عقلا .

12 ـ نواميس الله لا تتخلـف

« ولن تجد لسـنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » فاطر 43 ـ وكذلـك يقول العلـم ان النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطـل ولا تتخلـف . ولكن الانسان يستطيع ان يوقف تأثير ناموس بناموس آخر . ولا يقال ، هنا ، أن الانسـان عطل فعل الله، او عطل خالق الله . ولكن يقال ان ناموس الله تعطل بناموس الله ، كما فى تأخير نمو الخلية الانسانية فى الجنين او افسـادها او تشويهها بالمواد الكيميائية او بالاشعة .

هذه اهم الركائز فى التفكير الاسلامي النابع من معين القرآن ، وهي تكاد تكون كالبديهيات فى منطق العلم ومنطق القرآن . وهي الكفيلة بالرد على كـل التـساؤلات والشكوك والصعوبات التى اثيرت ، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب التقيـف فى بعـض آيات القرآن ، حتى يفهمها او يكف عن تكذيبها على الاقل . ويكفي الشـاب التقيـف اذا كـان يسـأل للاستفهام حقا ، لا للجدل والمراء « بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » الحج 9 ـ ان يعرض شكه على هذه الركائز ، وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذى يرضـاه العقل السليم ، والمنطق القويم ، والقـرآن الكريــم .

فى الرد بايجاز على تســاؤلاتك

1 ـ اما تساؤلاتك حول موقف المسلم من الثقافة والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمي ، والثـورة الصناعية ، وكتاب داروِن فى اصل الانواع ومؤلف ماركس فى « راس المال » ، ونظرية اينشتايـن فى « النسبية » ، فانك تجد جوابه فى الركائز الثلاث الاولى التى اوضحنا فيها ان القرآن يقدس العقـل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات التى ذكرتها ، الا كموقـف كـل انسان ذي عقل سليم . يدركها ويفهمها ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على اساس مفهوم الحرية فى الاسـلام .

اما مذهب داروِن فقد بينا فى محاضرتنا ، وفى كتابنا «قصة الايمان» ، نقلا عن «الرسالة الحميدية» انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن.

واما نظرية اينشتاين فى النسبية فقد بينا فى « قصة الايمان » انها لا تتعـارض مع القـرآن فى

شيء ، لان القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم .

ب ــ واما تساؤلك حول خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب داروين . ومثله سؤالك عن المعجزات فانك تجد جوابه في الركائز (7 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11) : فالمعجزات التي قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في القرآن وحده ، ما هي في الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداهة العقل تحكم بأن الذي خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفي هذه القدرة هو الذي يشكل تناقضا عقليا .

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن ، فانك لتجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات ، لقد كان تصور الملائكة والجن ، لعمري ، اكثر صعوبة قبل اكتشاف نواميس الضوء ... اما اليوم بعد معرفة امواج الضوء وانواعها من المنظورة وغير المنظورة وسلالها الكثيرة التي يقع العالم المنظور في سلم واحد منها فقط ، فقد اصبح من قبيل التعنت والمراء ان نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة ان هذه الامور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ، ووجود الملائكة والجن انما يقع تصديقها او تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذي ذكرناه في الركيزة (7) وبما انها من النوع الممكن ، ولا يحدث تصور حدوثها او وجودها تناقضا عقليا في الذهن ، فلا مجال للجزم والقطع بتكذيبها .

خلــق الانســـان

ج ــ واما تساؤلك حول الآية الواردة في سورة « المؤمنون » التي تتعلق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة ، وقولك عنها ان ظاهرها يفيد الخلق الدفعي المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الاجنة وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحيرك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشر المتكرر للنطفة فالعلقة فالمضغة فالجنين في اطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع ان نتحكم في نمو الخلية ، ونستطيع تأخيره او تشويهها ، ونكون بالتالي كالمعطلين لعمل الله في الخلق ، فانك لتجد جوابه في الركيزة (12) وفي كلامنا عن خلق آدم ومذهب داروين ، وقولنا فيه : ان الخلق يمكن ان يكون بالطريق التدريجي التطوري ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون . واحسب ان علم الاجنة مما يؤيد هذا الخلق التطوري ويقدم عنه مثالا محسوسا . وان كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله ، وليس احدهما ادل على القدرة من الآخر .

واما تعجبك مما يعطيه ظاهر الآية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه في الركيزة (5) التي بينا فيها ان نهج القرآن في مخاطبة الناس انما يكون على قدر افهامهم ومعارفهم . وما كان لله العليم الحكيم ، الذي هو الخالق في الحقيقة على كل حال، ان يحير الناس ، في عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ونموها التطوري بقوة النواميس التي وضعها الله في الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ولا معنى الناموس ولا معنى التطور . وهذا ما قلنا عنه انه من اعجاز القرآن حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوي الامي على ظاهرها ، ويفهمها العالم الفيلسوف في اعماق اسرارها .

وآخر الاجوبة عن امر الخلية هذه تجده في الركيزة (12) التي قلنا فيها ان نواميس الله لا تتخلف، ولكن يمكن توقيف اثرها بتسليط ناموس على ناموس. نحن عندما نتحكم في نمو الخلية او افسادها او تشويهها لا يقال اننا عطلنا عملية الخلق التي يقوم بها الله بيده ، ولكن يقال ان احد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما اراد الله في الناموسين ان يتفاعلا وطبقا لما اراد الله للانسان من التصرف في استعمال النواميس والانتفاع بها ، وطبقا لما قدره الله في علمه الازلي من خلق الجنين او عدم خلقه . وهذا اظهر من ان يحتاج الى جدل .

« ليـس كمثلــه شــيء »

د ــ واما كلامك عن مخالفة الله لجميع الاشياء، وعن قول القرآن عن الله « ليس كمثله شيء » وقولك انت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم « كيف اؤمن بكائن يقال لي انه في الحقيقة لا يوصف؟ وهل يكون ذهني خاليا من كل معنى او تصور حينما اصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ الا يكون عندئذ ، وجود مثل هذا الاله او عدم وجوده سيين بالنسبة الـي »

فاني اسالك ، في جوابه : مالك يا دكتور ؟ انه ليبدو انك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود او تكاد تطلقها « الى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب » ... فاما ان تنكر وجود الله واما ان تقول بالتجسيد للاله واما ان تقول بوحدة الوجود ... وما أحسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ام اجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما اجمع عليه كل الفلاسفة الالهيون ؟

ام ترانا ، مع الدكتور العالم الاستاذ في الفلسفة ، نحتاج الى ان نبدأ الابجدية من أولها ، ونقول له المحدث محدث والله قديم ، والمحدث يفتقر الى محدث والله قائم بذاته ، والمحدث ممكن الوجود والله واجب الوجود ... والمحدث مركب والمركب محدود والله مطلق ... الى آخر الامثولة ..؟

اننا لا نحتاج الى ذلك معك ، ولكن ما العمل وقد تجرت السؤل على صفحات الجرائد ؟ انسكت ليقول الشباب الذين يقفون على عتبة الزيغ : انه حيرهم فلم يحيروا جوابا ؟

الا تذكر ما قلناه في الركيزة التاسعة عن الفرق بين التعقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره ...؟ ثم ، الا تذكر ما قلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا في المحسوسات ؟ ثم . من الذي زعم ان القرآن قال عن الله بانه لا يوصف ؟ أمثلك يقول هذا ، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه؟ ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن ألسنا نستطيع أن نعرفها من آثاره ؟ الم يعرفها ديكارت بعقله ، لما رجع عن شكه ، واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره اكثر صفات كماله ؟

الايمان العجائزي

هـ ـ واما قولك « انه يفترض في المسلم ان يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه» فغير صحيح. بل عكسه هو الصحيح . فليس في الاسلام ايمان قلبي روحاني يكتفي بالتخيل او الالهام او التلقين او التقليد ، بدون ان يعتمد على ادلة العقل اذا نضج العقل وبدأ التفكير ، اما الذى يسمونه ايمان العجائز فانه ليس بالايمان الكامل الذى يقف على رجليه اذا عصفت زوابع الشك وأعاصير الشبهات. ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلي ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من أهم واحكم مبادىء القرآن . بل أن هذا الايمان العجائزي ، الذى نحسبه قلبيا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا ينبع في الحقيقة ، من العقل الباطن الذى تكمن فيه ، من غير شعور منا ، ادلة العقل بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية الذى يتطلب العقل فيه لكل معلول علة ، ولكل تسبب مسببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بان يكون من الظن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف، في هذا عن ايمان المشركين وعبدة الاوثان . كلا ثم كلا . ان ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين لا ايمان الظن والخيال و « ان الظن لا يغني من الحق شيئا » واذا كان ايمان المسلم يقع ، اخيرا ، في القلب والضمير ، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل، طاهرا من ادران الظنون والاوهام ، بعد ان يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذى يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجراثيم ... هذا هكذا . ومن ظن ان في الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلي البرهاني اليقيني، فانه يشوه معنى الايمان بالله الذى يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل اشكالها .

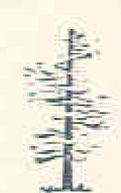
العلل الغائية

و ـ واخيرا يبقى قولك (ان العلم يرفض العلل الغائية) . وانه لاعجب منه . وقد يكون تعجبي من قلة اطلاعي . اما ان الذى اعلمه فهو ان العلم ينحصر عمله بدرس ظواهر الكون ، واكتشاف نظمه ونواميسه وادراك اسرارها ، واستنباط ما يمكن من اساليب التصرف بها والانتفاع منها . ولكن العلم لا يبحث ابدا عن أصول النواميس الطبيعية ومنشئها ، وعلة وجودها ، وغاياتها . بل يترك ذلك التعمق للفلسفة وحدها . اي ان العلم لا يثبت وجود العلل الغائية في المخلوقات ولا ينفيه ولا يتعرض لها باي بحث بل يترك ذلك للفلسفة . واذا كان هؤلاء الفلاسفة الذين ذكرتهم قد تعرضوا لذلك ، فانما تعرضوا له

من باب ما ذكرنا من منع العالم عن اقحام العلل الغائية في درسه وبحثه . وليس معنى ذلك انه يرفضهـا كما ذكرت . ولو قلت في العنوان « العلل الغائية لا يتعرض لها العلم بنفي او اثبات » لكان اقرب الى الصحة .

وعلى كل حال، هل يمنع انحصار دور العلم بنطاق درس الظواهر ، واكتشاف النواميس ، وعدم تعرضه للعلل الغائية بأي اثبات أو نفي ،، أن يكون في الكون غايات وحكم لخالق هذا الكون الذي يتلألأ كل ما فيه من نظام وأحكام بأنوار الحكمة ؟ اي لعب هذا الخالق بلا غاية ؟ « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين » صدق الله العظيم .

وختاما ارجوك ان تتذكر اننا نعيش في لبنان (بابل) الاديان ... وان تتذكر اننا بذلك الحوار الذي دعت اليه جامعتك فلبينا دعوتها مخلصين لله والوطن ، قد دعونا الى اقامة التعارف ، وازالة التناكر بين المسيحيين والمسلمين ، فلا يحملنك اعداء هذا التعارف الى حلبة التناكر ، كمسلم يسخر من القرآن ، ويستهزئ بالمسلمين ، ويفجر الفتنة .





نفس كريمة ، وروح عظيمة ، وشخصية فذة ، أعدها الله رب العالمين لحمل رسالته السماوية الى الناس اجمعين ، تعرفهم بجلاله وكماله ، وتذكرهم بانعامه وامداده وافضاله، وتحضهم على ابتغاء مرضاته، في العقيدة وفي الاخلاق وفي السلوك وفي المعاملات ، تلك هي نفس خاتم رسله وروح النبي العربي الكريم سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، واصل هذه الدعوة المحمدية هي شهادة ان لا اله الا الله يعني الايمان بخالق الاكوان ، ووحدانيته والاعتراف بعظيم قدرته ، وباهر حكمته ، التى تجلت في نظام هذا الكون ، الذى فتحت الاكتشافات العلمية في عصور هذا العلم المادي من آفاق عظمته ما لم يكن يخطر على بال انسان ، فتحققت معجزات آيات وحي الله فيه باجلى مظاهرها ، تجلت لكل باحث متبصر ، ودارس متفكر كما بلفت القرآن نظر الكافرين بربهم الى النظر والاعتبار في آياته ، «أولم ير الذين كفروآ أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي ، افلا يومنون ، وجعلنا فى الارض رواسي ان تميد بهم ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا السماء سقفا محفوظا ، وهم عن آياتها معرضون ، وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل فى فلك يسبحون » .

ان امثال هذه الآيات الكونية التى وردت فى وحي الله المنزل ، على قلب نبيه المرسل ، وهو ذلك الامي الذى ولد وتربي فى امة امية لا تكتب ولا تحسب ولم يدخل مدرسة او يسمع محاورة بين علماء او حكماء لكافية تلك الآيات للدلالة على صدق هذا الرسول وامانته ، حيث مرت عليها وعلى امثالها اربعة عشر قرنا ، وتطورت بين البشر العلوم ، وزكت الفهوم ، ولم يزدها البحث العلمي والاكتشافات الفضائية الا قوة فى الحجة ، ونصاعة فى الدلالة ، ولم ينقض منها العلم عروة واحدة ، بل تحقق عند المفكرين فيها قول الوحي الكريم فى آية اخرى ، « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ، الا انهم فى مرية من لقاء ربهم ، الا انه بكل شيء محيط » .

وفي آية اخرى : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا »، وان العلم ليؤيد مضمون هذه الآيات الكونية القرآنية بما وقع اكتشافه من الجاذبية المحيطية بالكواكب والافلاك مع الدقة فى نظامها وسيرها حتى تاخذ الدهشة بمجامع فكر الباحث المتبصر فى امرها ، ولا يزيد عصر العلم والذرة واكتشاف الفضاء معانيها العالية الا جلاء ووضوحا ، وتاكيدا ورسوخا ، واعترافا بحكمة صنع الرب سبحانه في عالم الخلق والابداع يقول الفيلسوف ابن رشد رحمه الله « من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله » ولا غرو فى صحة هذا القول فان فى الانسان من دقة الصنع ما يبهر كل العقول ويشهد شهادة قاطعة بعظمة خالقه سبحانه كما ترشد الى ذلك الآية الكريمة « وفى الارض آيات للموقنين ، وفى انفسكم افلا تبصرون » وقد شغلت الاذاعات العالمية فى السنين الاخيرة اسماع الناس بما يجري من عملية استبدال قلب انسان مخلوق لله بقلب انسان آخر وهي اقصى ما وصل اليه علم الطب او سيصل اليه ، وقد يرفض الجسد الثاني القلب الذى لا يشاكل استعداده فى خلقه ، وبذلك يزيد المومنين اعتبارا وتقديرا لحكمة الخلاق العظيم الذى خلق هذه القطعة من اللحم فى صدر الانسان تشتغل عشرات

السنين بتسيير الاجسام ولا تتوقف عن العمل فى نوم ولا يقظة دقيقة واحدة « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .

ان من يقرا ويطالع اية صفحة من عوالم هذه الاكوان ويتفكر فى خلق السماوات وعظمتها وفى الارض وما عليها من حيوان ونبات وما فى باطنها من معادن وثروات وما فى ارجاء هذا الكون من اثير وسحاب مسخر بين السماء والارض لتاخذه الدهشة من دقة نظامها وعظمة صنعها سواء فى مجموعة النظام الشمسى الذى نعيش ضمن جزء صغير بالنسبة لاجزائه الاخرى او فيما وراء ذلك من العوالم فلا يسع الانسان العاقل الا الاعتراف بعظمة قدرة خالقها على غير مثال سابق لانها من البراهين القاطعة فى الدلالة على حكمة الخلاق العليم ، وان جهل اكثر الناس موقع العبرة منها كما قال الله تعالى : « لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » وليست هذه العوالم بانظمتها الدقيقة نتيجة الصدفة بوجه من الوجوه كما يدعي من لم يكلف نفسه اقل نظرة فى نفسه ، او فيما حوله من سنن الكون ونظامه ، ان الاعتراف بوجود الالاه ووحدانيته وعظيم قدرته ولطيف حكمته وشمول علمه لم يبق محل نظر وتردد بعد تقدم العلوم والاكتشافات ، فكل من له مسكة من عقل ولمحة من فكر يتيقن بوجود الخالق العظيم وجلاله وكماله ووجوب تقديسه وطاعته ان طوعا وان كرها كما قال تعالى مخبرا عن نفسه وعظيم قدرته « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين » وقوله ايتيا هو من الامر التكويني الالهي الذى تستحيل مخالفته ، وهذه الاستجابة لامر الله على عظمته تجعل كل باحث متبصر يتعجب مع الشاعر العربي ممن يجحد الالاه او يعصيه ولا يقدسه .

فواعجبا كيف يعصي الالا
ه ام كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة
وتسكينة فى الورى شاهد
وفى كل شيء له آية
تدل على انه الواحد

ان القرآن اعتنى عناية فائقة بلفت نظر الانسان الى نفسه ففيها دليل كاف يرشده من ذاته الى الاعتراف بربه فقال تعالى : « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يك شيئا مذكورا ، ان خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » ، وقال سبحانه : « فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب »، وقال عز وجل : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين » . وقال تعالى : « خلق الانسان من نطفة فاذ هو خصيم مبين » خصيم لربه جاحد لنعمة من كون جسمه وربى حواسه ونمى تمييزه وعقله ، وهياه لاكتساب العلم وتسخير الاكوان لفائدته كما تقول الاية : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان » ، الى آخر الاية ، فكان من الواجب المقدس على الانسان ان يشكر مولى هذا النعم وذلك ما دعا اليه الاسلام وفعله المومنون تحقيقا لشريعة الحق من جانب الخلق وامتثالا لاية الكتاب العزيز «والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون».
ان العلم المادي فى العصر الحاضر تطور الى الامام تطورا قلب الحياة الاجتماعية بمختلف انواعها وفى شتى مجالاتها الى اطوار لا نظمنها خطرت على بال المتقدمين ولكن القيم الاخلاقية والحياة الروحية بوجه عام لم تساير هذه التطورات فى الرقي فلم تهذب رعونات النفوس بعد تنوع المقربات وتسهيل نيل الشهوات فتضعضعت معنويات الانسان الذى خلق ضعيفا امام نزوات نفسه وغلبة شهواته فكثرت الاطماع لارضاء الشهوات واختلست الاموال ، وشاعت الفواحش بين النساء والرجال ، وكثرت الخصومات بفقدان الوازع الديني فى النفوس، وانحلت العزائم ، وقلت المبالاة بالتربية الدينية والخلقية ، فشاع الانحلال الاخلاقي والانحراف الجنسي ، وطغيان المادة والاهتمام الكلي بالمصالح الشخصية من غير التفات الى اهمية المصالح العامة ، والى الحفاظ على القيم الروحية والمثل العليا التى تحفظ كيان المجتمعات من الانهيار ، وهذه ادواء المجتمعات الحاضرة مع العناية بالشعارات الفارغة ، والاشتغال بسفاسف الامور دون معاليها مما يحتاج علاج كل هذه الآفات الاجتماعية الى تربية جديدة جدية للنفوس حتى تراجع سيرة الطهارة فى السلوك ، والاستقامة والاخلاص فى الاعمال التى بها صلاح المجتمعات فان الاية الكريمة تقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ».

ان عقيدة توحيد الرب وتقديسه وامتثال الاوامر الالاهية واجتناب النواهي كذلك هذه العقيدة وما تقتضيه من عمل صالح هي التي بعث الله بها خاتم انبيائه سيدنا محمدا عليه السلام وهي التي وحدت وجهة العرب والمسلمين عموما وأعلت شأنهم في الوجود ، وبوأتهم بين الامم مقام الرفعة والخلود ما اتحدوا وتماسكوا واقاموا شريعة الحق المعبود ، ورسالة الاسلام لقنت المسلمين الاعتراف بجميع رسل الله عليهم السلام الى البشرية في مختلف العصور كجزء من عقيدة الاسلام كما تقول الآية « وان من قرية الا خلا فيها نذير » من غير تفريق من سمى في القرآن ومن لم يسم فيه كما تقول الآية الاخرى : « لا نفرق بين احد من رسله » لان المذكورين منهم في كتاب الله قليلون كما تعرف ذلك من قول الله تعالى « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » والايمان بجميعهم معقول لان دعوتهم الى توحيد الله واحدة كما قال الرسول عليه السلام : « نحن معشر الانبياء ديننا واحد » في اصل عقيدة التوحيد وان كانت بعض فروع الشرائع تتنوع او يوجد بينها بعض الاختلاف حسب الظروف ومقتضيات الحياة في كل عصر كما ورد ذلك في القرآن « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » على ان شرائع الرسل ترمي في مجموعها الى اقامة العدل ، وتحض على الاحسان والفضل ، وتتفق على وجوب حفظ الدين والنفس والنسب والعرض والعقل .

وقد حمى رسولنا عليه السلام عقيدة توحيد الرب من كل شائبة تنزع الى الشرك ، او تمت اليه باية صلة ، فحطم الاصنام والاوثان وبين سفاهة رأي من يعظمها ، بعدما كانت العرب تخصها بالعبادة لتقربهم في زعمهم الى الله زلفى ، حتى كانت تضعها فوق ظهر الكعبة حيث كان على ظهر البيت العتيق وقت فتح مكة ثلاثمائة وستون صنما لمختلف القبائل كما في كتب السيرة فازالها رسول الله صلى الله عليه وسلم تاليا قول الله تعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا»، وحرم الرسول اتخاذها ونحتها وبيعها ونهى الرسول عن الصلاة لله على القبور ونهى عن البناء عليها وعن الذبح لاصحابها وسكانها كما حرم التماثيل وصنع الصور التي اضلت امما قبل الاسلام ، فعل كل ذلك حماية للتوحيد من تسرب تعظيم الصور او تقديسها الى نفوس المومنين الموحدين فيقعون في الشرك الخفي او الظاهر ، وفي الوقت نفسه عاب على النصارى الغلو في المسيح عليه السلام وادعاء الوهيته واعلن ابطاله ، كما عاب على طائفة من اليهود قولهم عزير ابن الله وبين كذبهم على الله ، ودعا أهل الكتاب الى عبادة الله وحده دون غلو في تقديس الاشخاص او رجال الكهنوت وبالاحرى دون اعتقاد الالوهية في حق عيسى عليه السلام حتى يتساوى الاحبار والرهبان مع عباد الله الآخرين كما تنادي آية القرآن بهذه الحقيقة الخالدة : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » وبعد كفاح مرير استطاعت عقيدة التوحيد ان تستقر في شبه الجزيرة العربية وأن يحمل اتباع هذه الدعوة تلك العقيدة الطاهرة وينشروها خارج البلاد العربية حيث اشرقت اراضي اخرى بنور ربها ، واخرجت الدعوة المحمدية امما اخرى من الظلمات الى النور والله ولي المتقين .

الرباط — محمد الطنجي

التوحيد وتحرير الضمير الانساني

تحت ضوء الاسلام

للدكتور عثمان يحيى

– 3 –

2) علم التوحيد عند السلفية (تابع)

ج ــ توحيد العبودية

ها نحن الآن امام المظهر الثالث والاخير لفكرة التوحيد عند شيخ الاسلام ابن تيمية . وهو المظهر التوحيدي المتعلق بالانسان والخاص به وحده . اذا كان توحيد الالوهية يدلنا على وحدة الذات والوجود الالهيين ، واذا كان توحيد الربوبية يهدينا الى وحدة الفعل الالهي الخلاق في مستوى الطبيعة وفي مستوى ما فوق الطبيعة ــ اعني وحدة الفعل الالهي في مستوى الوجود وفي مستوى كمال الوجود ــ ، فان توحيد العبودية يحدد لنا طبيعة موقف المرء تجاه نفسه وتجاه الكون وتجاه مبدا الكون والحياة الاعظم . وهذا مصداق ما قررنا سابقا من ان حقيقة التوحيد عند السلفية هي حقيقة الهية وانسانية في وقت واحد ، وهي فكرة كلية شاملة تلتقي في ظلالها ، عظمة الخالق وعظمة المخلوق .

ان هذا اللون الفريد من التوحيد ــ واقصد به توحيد العبودية ــ يكشف عن الصلات القائمة بين المرء وخالقه ، او التي يجب ان تقوم بينهما على نحو منسجم . كما انه يعين ماهية الوشائج المتحققة بين العبد والرب ، او التي ينبغي ان تتحقق بينهما على اساس صحيح ودائم . ان توحيد العبودية يقوم على مبداين ثابتين هما معيارا الكمال الانساني في سائر مظاهره ، وهما مداه الاقصى البعيد في جميع معانيه : فهو : من جهة ، ينتظم فكرة وحدة العبودية ، ومن جهة اخرى ينتظم فكرة وحدة العبادة : ووحدة العبودة ووحدة العبادة هما اساسا وجود الفرد في الحياة ، وهما مقوما شخصيته الذاتية ، وهما ينبوعا ضميره الحي الخالد .

ان الحقيقة الاولى ، او المبدا الاول لتوحيد العبودية هو وحدة العبودية لله . وهذه الوحدة الخاصة تتطلب من المرء ان تكون ثقته بخالقه وحده ، وان يكون اعتماده عليه فحسب ، في جميع الامور . وذلك لا يتم الا عندما يعي الانسان بوضوح طبيعة الروابط التي تصله بموجده الاعظم . فعند ذاك ــ وعند ذاك فقط ــ ينكشف امام عينيه انه من الله ؛ لا من غيره ، يستمد عناصر حياته . وبه ، لا بغيره ، يشيد اركان بقائه . وعنه ، لا عن غيره ، يتلقى فيوضات انواره . واليه ، لا الى غيره ، تتطلع اعين رجائه . وفيه ، لا في غيره ، يستقر حصن ولائه وجواره .

وفي الواقع ان وحدة العبودة لله تعالى ، هي التي تحرر الضمير البشري من كافة القيود التي تسيطر على المرء في الخارج ومن الخارج . وهي التي تنقذ الفرد من سائر الاغلال التي يرزح تحت اعبائها ، في داخل ذاته وفي نطاق كيانه . ان العبودية لله وحده ليست في الحقيقة الا العبودية للحق المطلق والكمال المطلق والوجود المطلق . اليس الله ، في ذاته

ومن ذاته وبذاته: هو الحقيقة المطلقة، والمحبة المطلقة، والكمال المطلق ، والوجود المطلق ؟ اليست العبودة والعبودية لهذه « الاقانيم العليا » هي الضمان الاوفى لكل سلام ، ولكل حرية ، ولكل تحرير ؟

اما الجانب الثاني او الوجه الثاني لمفهوم «توحيد العبودية » في المدرسة السلفية ، فهو ما يسميه شيخ الاسلام ابن تيمية ب « وحدة العبادة » . وهو المظهر الخارجي لتوحيد العبودية، وثمرته العملية الايجابية. اذا تقرر وثبت ان عبوديتنا في الحقيقة انما هي لله لا لغيره، فيجب ان يكون الله — سبحانه — هو الموضوع الاسمى ، لا غيره ، لجميع ما يقدمه الفرد في الحياة ، من خيرات ومبرات وقربات . — ويصرح شيخ الاسلام ابن تيمية (وهو في ذلك امين كل الامانة على تعاليم القرآن والسنة النبوية) ان معنى « العبادة » في الاسلام يشمل جميع ضروب النشاط الانساني ، ويستغرقها من سائر اقطارها : سواء اكان النشاط او العمل فرديا ام اجتماعيا ، ان في الحقول الدينية ، او في الحقول الدنيوية ، على شريطة ان يتوفر في ذاك النشاط او في هذا العمل ، امران اثنان : الاول ان يرتكز العمل والنشاط على اساس صحيح من التجربة والمعرفة ، الثاني ان يكون القصد من وراء ذلك كله مرضات الله ، اي خدمة الانسان لاخيه الانسان .

واسمى مظهر لـ « وحدة العبادة » في المدرسة السلفية ، هي « وحدة المعرفة » و « وحدة المحبة » . ووحدة المعرفة هي التي تحقق التكامل العقلي والفكري في الشخصية الانسانية . كما ان وحدة المحبة هي التي تيسر للفرد تكامله الارادي وانسجامه المعنوي وتطوره الادبي والروحي . ووحدة المعرفة ستنتهي بالمرء الى وحدة المحبة ، كما ان وحدة المحبة ستقضي بالانسان الى وحدة المعرفة. فالمعرفة في أعلى قممها هي محبة ، والمحبة في منتهى ذراها هي معرفة ، فوحدة العبادة في اخص معانيها وفي ارفع جوانبها هي وحدة المعرفة التي هي محبة ، وهي وحدة المحبة التي هي معرفة .

ان وحدة المعرفة ، التي هي اسمى مظهر لوحدة العبادة في العقل والفكر ، تبرز آثارها وتتحقق معانيها في مجالين اثنين ، متميزين ومتكاملين : في مجال الكتاب الالهي التكويني ، وفي مجال الكتاب الالهي التدويني . ففي ثنايا الكتاب الاول (الكتاب التكويني) وعلى صفحاته ، يكتشف العقل الانساني سنة الله الخالدة في الكون والحياة والمجتمعات البشرية . وعن هذا الاكتشاف وبسبب هذه المعرفة، يتوفر للانسانية، افرادا وجماعات ، وسائل التطور والتقدم في حياة امثل وافضل ، كما يكون في قدرتها ان تساهم ، على نحو ايجابي ، في سير ركب الحضارة والمدنية ، وبذلك تتحقق الخلافة الالهية في الارض ، ويصبح الانسان عاملا في رقي الحياة وكمالها وتجميلها .

اما وحدة المعرفة في مجال الكتاب الالهي المدون، فتكون في تامل المؤمن المسلم لكلام الله الازلي ، وفي فهم معانيه فهما عميقا يملأ جميع كيانه ، ويستغرق سائر مقومات شخصيته ووجدانه . — ان المعرفة المكتسبة عبر الكتاب الالهي المكون ، تيسر للمرء الحصول على الحكمة المخلوقة ، وبالتالي تهيىء له وسائل الكمال البشري المنشود . بيد أن المعرفة الموهوبة من خلال تأملات المؤمن المسلم لصفحات الكتاب الالهي المدون ، توفر له (او بتعبير ادق : تمنحه) الحكمة اللا مخلوقة ، وتسمو به الى مصاف الكمال الالهي الاتم .

واخيرا، وحدة المحبة التي هي الجانب الوجداني والروحي لوحدة العبادة ، تبدو آثارها وتظهر حقائقها في مجالين ثنين ، متميزين ومتكاملين ايضا . فوحدة المحبة تبرز اولا في مجال الضمير . ويكون ذلك في صورة الاستجابة المباشرة التلقائية ، رغبا لا رهبا ، وطوعا لا كرها ، لصوت الناموس الالهي المستقر في اعماق الكيان والوجدان . ووحدة المحبة تتجلى ثانيا في مجال الوحي الالهي الخالد . ويكون ذلك في صورة اعتقاد بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان لجميع اوامر الشريعة السماوية المنزلة . اعتقاد واقرار وعمل ، صادر عن اسلام فايمان فايقان فاحسان : سلم قيم عليا ، اولى درجاته التسليم ، واعلاها العيان !

* * *

3) التوحيد في حقول المعارف الصوفية

اذا كان التوحيد عند المعتزلة مشكلة عقلية واخلاقية ، واذا كان عند السلفية مشكلة دينية واجتماعية ، — فهو في نظر رجال التصوف ، قبل كل شيء ، مشكلة روحية تتعلق بتحرير الضمير البشري من سائر القيود المادية والنفسية والفكرية.

ان التوحيد على ضوء الاختبار الصوفي وفي صعيد التجربة الذاتية ، امتحان شاق عسير ، من خلال الدموع والآلام ، لمبدأ « الوحدانية » او

« الواحدية » . انه ادراك ذوقي لمفهوم « الوحدانية » ووعي تام بالواحدية : داخليا فى أعماق الكيان ، وخارجيا فى كل ما يحيط بالانسان . ان غرض الصوفي فى حياته ــ بل غرضه الوحيد فى الحياة ــ هو اكتشاف « طريق النجاة » ، والسير عليه دابا وفى اخلاص . و«طريق النجاة» هو «طريق الوحدانية » : وحدة الخالق ووحدة المخلوق فى الخالق وبالخالق وللخالق ! اليس عن « الوحدة » صدر كل شيء ؟ بلى ! فالتوحيد اذن هو كل شيء، بل انه كل الشيء فى الشيء ، لانه الشهادة الصادقة عن « الوحدة » الصادقة ، الخالصة ، المقدسة !

ــ قال يوسف بن الحسين : قام رجل بين يدي ذي النون المصري ، فقال : « اخبرني عن التوحيد ، ما هو ؟ ــ فقال : هو أن تعلم أن قدرة الله فى الاشياء بلا مزاج ، وصنعه للاشياء بلا علاج ، ، وعلة كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه . وليس فى السماوات العلى ولا فى الاراضين السفلى مدبر غير الله . ومهما تصور فى وهمك شيء فالله ــ تعالى ــ بخلاف ذلك . »

ــ وسئل الجنيد عن التوحيد الخاص ، فقال: «ان يكون العبد شبحا بين يدي الله ــ تبارك وتعالى لـ تجري عليه تصاريف تدبيره ، فى مجاري احكام قدرته ، فى لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الحق له ، وعن استجابته لحقائق وجود وحدانيته فى حقيقة قربه ، بذهاب حسه وحركته لقيام الحق له فيما اراد منه .

« (والتوحيد الخاص ايضا) هو ان يرجع آخر العبد الى اوله : فيكون كما كان قبل ان يكون ! » .

ــ وقال رجل للشبلي : « اخبرني عن توحيد مجرد ، بلسان حق مفرد » . ــ فقال : « ويحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة : فهو ملحد ! ومن اشار اليه : فهو ثنوي ! ومن اوما اليه : فهو عابد وثن ! ومن نطق فيه : فهو جاهل ! ومن سكت عنه : فهو غافل ! ومن اوهم (انه اليه) واصل : فليس له حاصل ! ومن قال انه قريب : فهو (منه) بعيد ! ومن تواجد (فيه) : فهو فاقد ! وكل ما ميزتموه بأوهامكم ، وادركتموه بعقولكم فى اتم معانيكم : فهو مصروف ، مردود اليكم ، محدث ، مصنوع مثلكم ! »

وهذه نغمة جديدة فى « انشودة التوحيد » ما سمعناها من قبل ، لا عند المعتزلة المتقدمين ، ولا عند السلفية المتاخرين .

* * *

ان النص الاول ، المنسوب الى ذي النون المصري ، يبدي لنا بوضوح تام مدى سريان الالفاظ « الكيميائية » فى البيئة الصوفية ، منذ العصور الاولى للاسلام ، ومدى تفتح رجال التصوف لها ، وتآلفهم معها ، واستيعابهم اياها . ان كل جملة فى الجواب المنسوب الى ذي النون ، بل كل كلمة فيه ، تنطق بالدلالة على هذه الظاهرة الفذة : « القدرة فى الاشياء » ، « مزاج » ، « الصنع فى الاشياء » ، « علاج » ، « المدبر » . ــ فهذه جميعها، مفردات « كيميائية » مشهورة فى اوساطها العلمية ، معروفة لدى اهلها .

وفى الواقع ، الصلات وثيقة بين علم الكيمياء وعلم التصوف ، او بتعبير اكثر دقة : الروابط ، فى الحقيقة ، جد وثيقة بين كيمياء المعادن وكيمياء النفوس والارواح . اليس غرض علم الكيمياء تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة، وذلك عن طريق التدبير والعلاج الخاصين ؟ اليس غرض علم التصوف السمو بنوازع الشر فى الانسان الى نوازع الخير، باسلوب ومنهج خاصين، تترقى الشخصية الانسانية، آنذاك، من حضيض النفس الامارة بالسوء الى مستوى النفس اللوامة ، الواعزة المراقبة ، الى اوج النفس المطمئنة ، الراضية المرضية ؟

وجواب الشبلي ، حين سئل عن « التوحيد المجرد » ، يشير الى التمييز الدقيق بين الوحدة الالهية من حيث هي هي (ولسان هذه الوحدة هو التوحيد الذاتي) ، وبين الوحدة الالهية من حيث نعوتها التخصيصية وشؤونها التخصيصية (ولسان هذه الوحدة هو التوحيد الفعلي) . ــ فالتوحيد الذاتي لا قدم للعقل الانساني فيه مطلقا : « اذ هو توحيد قائم بالازل ، اختصه الحق لنفسه ، ولا يستحقه لغيره » (منازل السائرين للشيخ الانصاري الهروي) . فكل من اجاب عن مثل هذا التوحيد فهو ملحد ، وكل من اشار اليه فهو وثني ، وكل من اوما اليه فهو عابد وثن . .

اما توحيد الافعال ، او التوحيد الفعلي ، فهو الذى يصح صدوره من الانسان ، وهو ميدان فكره وعقله الذى يصول فيه ويجول . ومع ذلك ، فهذا

النمط الخاص من التوحيد هو الذي عناه ذو النون المصري بقوله : « مهما تصور في وهمك شيء فالله تعالى بخلاف ذلك » وهو الذي اشار اليه الشبلي : «وكل ما ميزتموه بأوهامكم، وادركتموه بعقولكم ... فهو مصروف ، مردود اليكم » .

فالسؤال ، او الاشكال الذي يعتلج الآن في الصدر ، يمكن صياغته على النحو الآتي : لماذا كان هذا اللون من التوحيد الفعلي معلولا ، محدثا ، مصنوعا ؟ وبالتالي : لماذا كان هذا التوحيد الخاص مصروفا عن باب الحقيقة ، مردودا على وجه الخليقة؟ - ومهما يكن في الامر من شيء، فانه يمكن الجواب عن هذا التساؤل من طريقتين. الطريق الاول: هو أن قوى الانسان الحسية قاصرة في طاقاتها ، وان ملكاته المعنوية محدودة في اكتساب معارفها . فالفرد البشري ليس باستطاعته ان يدرك وحدة الفعل الالهي في اطلاقه وشموله وسموه وكماله . فالتوحيد الصادر عنه ، في هذه الحالة ، هو بالضرورة موصوف بهذه الخصائص البارزة : اي هو توحيد قاصر لقصور قواه الحسية ، محدود لحدود ملكاته المعنوية .

الطريق الثاني : هو ان الظواهر الكونية ، وهي المجال الرحيب الذي يستمد منه الفكر الانساني معارفه النظرية ، لا يتوفر لديها - من حيث هي ظواهر فحسب - العناصر الكافية للدلالة على وحدة الفعل الالهي المطلق ، وبالتالي على تصحيح حقيقة التوحيد . فهي - أعني الظاهرات الكونية - حادثة متغيرة ، والفعل الالهي قديم ثابت . انها متعددة متنوعة وهو واحد مقدس ... فالهوة سحيقة، اذن، بين ظواهر الكون والوجود ووحدة الفعل الالهي الخلاق . فكيف يقام هيكل التوحيد على مثل هذا الاساس ؟ ام كيف يشيد بناؤه بمثل هذه المواد ؟

واخيرا ، تعريف الشيخ الجنيد او وصفه للتوحيد مرتبط بنظريته الخاصة بالفناء ، وقد كان امام الطائفة اول من صاغ هذه النظرية الهامة ، على ما يبدو ، في قالب علمي دقيق . ولكن « الفناء الصوفي » في نظر شيخنا ، لا يتم معناه الروحي الا بحقيقة ايجابية ، تقابل سلبية الفناء . لان السلبية في المجال النفسي - بل في كل مجال ايضا - تحدث فراغا في الكائن وفي الوجود ، يناقض فيض حياة الروح وتدفق الوجدان . هذه الحقيقة الايجابية - المقابلة للفناء - هي البقاء بالله وفي الله ولله » . اي قيام الحق فيما اراده - سبحانه وتعالى - من عبده : تضحية ونسكا وجهادا .

باريس ـ دكتور عثمان يحيى





— 1 —

رددت اجهزة الاعلام العربية كثيرا تعبير « الحرب النفسية » بعد نكسة سنة 1967 ، فاصبح هذا التعبير شائع الاستعمال فى البلاد العربية .

وقد صدرت فى اللغات الاجنبية دراسات مستفيضة عن « الحرب النفسية » تتحدث باسهاب ودقة عن معانيها واساليب تطبيقها واجهزتها واهدافها والوسائل الفعالة فى استخدامها ومظاهرها الاساسية وطرق الوقاية من شرورها .

واطلعت على بعض تلك الدراسات الاجنبية فوجدت طرق الوقاية من شرور الحرب النفسية معقدة صعبة لان الباحثين اعتمدوا على الوسائل المادية فى معالجتها ، فهم يزنون كل شيء فى الحياة بميزان المادة وحدها ويعتبرون المادة هي المشكلة وهي الحل .

ووازنت بين حلول الاجانب وحلول الاسلام لمعضلات الحرب النفسية فلمست كيف يبسط الاسلام ما عقدوه ويسهل ما صعبوه .

فما هي الحرب النفسية ؟

وما الفرق بين الحرب الفعلية والحرب النفسية ؟

وكيف يدفع الاسلام اخطارها عن المجتمع الاسلامي ؟

الحرب : هي القتال الناشب بين دولتين أو اكثر للحصول على مقاصد سياسية واقتصادية بقوة السلاح .

والحرب النفسية : هي الجهود السلبية والايجابية التى تبذل فى ايام الحرب والسلام لتحطيم المعنويات وفرض الاستسلام .

والمعنويات : هي القوة الكامنة فى صلب الانسان التى تكسبه مزية ارادة القتال .

وارادة القتال : هي التصميم على خوض الحرب دفاعا عن العقيدة والارض والعرض ، وتحمل اعباء الحرب بذلا للاموال وتضحية بالانفس واستهانة بالاضرار والعقبات ، وصبرا على البأساء والضراء مهما طال المدى وبعد الشوط وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

والهدف الاصلي من الحرب ، هو تحطيم القوات المعادية جيشا وشعبا ، بحيث لا تقوى على المقاومة وترضى بشروط المنتصر .

وتحطيم القوات المعادية يشمل تحطيم طاقاتها المادية والمعنوية لفرض شروط الاستسلام عليها .

تلك هي تعاريف موجزة لمصطلحات عسكرية شائعة اصبح تفهمها ضروريا للعرب والمسلمين خاصة فى هذه الظروف التى يجتازها العرب

والمسلمون بعد الذي حدث في حرب حزيران (يونيو) 1967 .

ومن الواضح ان هدف الحرب الفعلية هو القضاء على جسد الانسان بالدرجة الاولى ، وهدف الحرب النفسية هو تحطيم نفسيته .

والحرب النفسية تشن قبل الحرب الفعلية للتأثير في معنويات العدو ، وفي اثناء الحرب للتأثير في ثباته ومقاومته ، وبعد الحرب للاذعان الى المنتصر .

— 2 —

ان الحرب النفسية تعبير يرادف تعابير : حرب الدعاية وحرب الاعلام والحرب الباردة والحرب العقيدية والحرب السياسية .

وهذه الحروب قديمة قدم التاريخ لا تختلف في شكلها الحالي عما كانت عليه من قبل الا في الوسيلة والتطبيق ، وقد ظل هدفها الرئيسي هو التأثير في نفسية العدو والقضاء على معنوياته ، ويتم التأثير في نفسية العدو ومعنوياته باستخدام علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية للتشكيك في الافكار والمعتقدات وزعزعة الايمان بالنصر واشاعة الانهزامية ، وتأجيج الاحقاد باستثارة الطائفية والتفرقة العنصرية والعقيدية واثارة الكراهية بين الشعب وحكومته ومحاولة كسب العناصر المحايدة والمترددة ، والتخويف من الموت والفقر والمجهول ، وبث الذعر واطلاق الاشاعات والمبالغة في قوة العدو والزعم بانها لا تقهر .

ويستعين العدو بشتى الوسائل لتحقيق اهداف الحرب النفسية فهو يستعين في الحرب بنشرات الاستسلام التي يوزعها بالطائرات على القوات المقاتلة وفي الصفوف الخلفية وعلى القواعد المتقدمة ولامامية والخلفية .

ويستعين في الحرب بمكبرات الصوت والاذاعة للحث على الاستسلام ، والقيادة الحصيفة المسيطرة هي التي تمنع العسكريين وغيرهم من التقاط منشورات العدو والاصغاء الى مكبرات صوته واذاعته .

وقد استعان الحلفاء والمحور في الحرب العالمية الثانية (1939 — 1945) باساليب الحرب النفسية ، فنجح الحلفاء في تحطيم معنويات الالمان واليابانيين .

كان الالمان واليابانيون يرفضون سماع الاذاعات المعادية وكان الايطاليون يقبلون على سماع الاذاعات المعادية ويتناقلون اخبارها ويصدقونها في اغلب الاخبار ، لذلك انهاروا بسرعة وقبلوا بشروط الاستسلام .

ويستعين العدو في ايام السلام بنشرات الاستسلام والمنشورات الصحفية ومكبرات الصوت والافلام السينمائية والمعارض والملصقات والصور والاذاعات والاشاعات والمخربين والجواسيس والوعد ولوعيد واشاعة الانحلال الخلقي والفساد والذعر والخوف والتشكيك بالقيم والمثل العليا .

— 3 —

فما هي الحلول الجذرية البسيطة السهلة التي يعالج بها الاسلام آفات الحرب النفسية ؟

ظهر لنا مما تقدم ان اهم اهداف الحرب النفسية هي : التخويف من الموت والفقر ، ومن القوة الضاربة للمنتصر ، والدعوة الى الاستسلام ، وبث الاشاعات والاراجيف ، واشاعة الاستعمار الفكري بالغزو الحضاري ، وبث اليأس والقنوط .

المؤمن حقا لا يخشى الموت ، لانه يؤمن بانه لا يموت الا باجله الموعود ، قال تعالى (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (1)) وقال تعالى (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون (2)) وقال تعالى (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله (3)) وقال تعالى (اين ما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (4)) وقال

(1) الآية الكريمة من سورة يونس (10 : 49)
(2) الآية الكريمة من سورة الاعراف (7 : 34) ومن سورة النحل (16 : 61)
(3) الآية الكريمة من سورة آل عمران (3 : 145)
(4) الآية الكريمة من سورة النساء (4 : 78)

تعالى (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل (5))

ان المؤمن حقا يعتقد اعتقادا راسخا بان الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما اصدق قولة خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما حضرته الوفاة « ما في جسمي شبر الا وفيه طعنة رمح أو سيف وها انذا اموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء (6) » .

والمؤمن حقا لا يخاف الفقر لانه يعتقد اعتقادا راسخا بان الارزاق بيد الله سبحانه وتعالى وانه يرزق النملة المنفردة في البحر المحيط ، فكيف ينسى رزق الانسان ؟ قال تعالى « والله يرزق من يشاء بغير حساب (7) » وقال تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (8) » وقال تعالى « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها (9) » .

والمؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فما انتصر المسلمون في ايام الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، وفي ايام الفتح الاسلامي العظيم بعدة او عدد ، بل كان انتصارهم بالاسلام قال تعالى « قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين (10) » وقال تعالى « يا ايها النبيء حرض المومنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ، آلان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله، والله مع الصابرين (11) » وقال تعالى « الذين قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء (12) » .

والمؤمن حقا لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام في حماية عقيدته ، فهو لا يستسلم أبدا ولا يفكر في الاستسلام لانه يؤمن بان انتصار العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم الى قيام الساعة ، قال تعالى « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس (13) » وقال تعالى « ان مع العسر يسرا (14) » وقال تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون (15) » وقال تعالى « ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا (16) »

والمؤمن حقا لا يصدق الاشاعات والاراجيف ولا يبثها ، بل يقضي عليها في مهدها وينبذ مروجيها ويفضحهم ولا يسكت عليهم ، قال تعالى « ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (17) » وقال تعالى « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم (18) » وقال تعالى « واذا جاءهم امر من الامن أو الخوف اذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم (19) » .

(5) الآية الكريمة من سورة آل عمران (3 : 154)
(6) أسد الغابة (2 / 95) والاستيعاب (2 / 430)
(7) الآية الكريمة من سورة البقرة (2 : 212)
(8) الآية الكريمة من سورة الطلاق (15 : 20)
(9) الآية الكريمة من سورة هود (11 : 6)
(10) الآية الكريمة من سورة البقرة (2 : 249)
(11) الآيتان الكريمتان من سورة الانفال (8 : 65 — 66)
(12) الآيتان الكريمتان من سورة آل عمران (3 : 173 — 174)
(13) الآية الكريمة من سورة آل عمران (3 : 14)
(14) » » الانشراح (94 : 5)
(15) » » المنافقين (63 : 8)
(16) » » يونس (10 : 65)
(17) » » الحجرات (49 : 60)
(18) » » الاحزاب (32 : 60)
(19) » » النساء (4 : 83)

والمؤمن حقا يقاوم الاستعمار الفكري ويصاول الغزو الحضاري الذي لا طائل من ورائه لان له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المباديء الوافدة التي تناقض دينه وتراثه وحضارته وتذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود — قال تعالى « قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد ، لكم دينكم ولي دين (20) » وقال تعالى « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما انا من المشركين (21) » .

والمؤمن حقا لا يقنط ابدا ولا ييأس من نصر الله ورحمته ، قال تعالى « لا تقنطوا من رحمة الله، ان الله يغفر الذنوب جميعا (22) » وقال تعالى « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (23) » وقال تعالى « وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون (24) »، وقال تعالى « وان مسه الشر فيئوس قنوط (25) » .

تلك هي الحلول الجذرية السهلة البسيطة التي يعالج بها الاسلام آفات الحرب النفسية ومن موازنة هذه الحلول بحلول الاجانب نجد عظمة الاسلام في حماية المسلمين من شرور الحروب النفسية وبهذه الموازنة بين حلول الاجانب المعقدة وحلول الاسلام البسيطة تذكرت قولة « برنارد شو » في رسالته باللغة الانجليزية التي سماها (نداء العمل) وتأكدت من انصافه فقد قال : « ان محمدا يجب أن يدعى منقذ الانسانية ولو ان رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو في اشد الحاجة اليهما (26) »

— 4 —

لقد ذكرت أن الحرب النفسية لا تؤثر في المؤمن الحق فهل العرب والمسلمون مؤمنون حقا ؟

لا بد من اعادة النظر في بناء الرجال ليكونوا دعامة الحاضر وسند المستقبل لتكون الامة الاسلامية خير امة اخرجت للناس .

والسبيل الى ذلك هو :

1 — يجب ان يتحمل الآباء والامهات واجباتهم كاملة في تربية الطفل ، لان كثيرا منهم قد اهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة ، فيجب تلقين الاطفال مباديء الدين الحنيف واسس الخلق القويم في البيت قبل الالتحاق بروضة الاطفال والمدرسة .

ان الطفل لا يتلقى التربية الصالحة من والديه في بيته قبل ذهابه الى الروضة والمدرسة ، او يتلقى في البيت تربية فاسدة تعجز الروضة والمدرسة عن تقويم اعوجاجه التربوي . ومن المؤسف حقا ان كثيرا من المدارس لا تعلم التدين وان البعض منها يعلم ما يتناقض مع الدين ولا ازيد .

وقد سالني صحافي قبل ايام يزعم بأن الابوين فقدا السيطرة على اولادهم من الجيل الجديد فقال : « هل تعاني مشاكل من تصرفات أولادك » فأجبته : مشاكل ؟ ولماذا اعاني مشاكل ؟ ان الذين يعانونها مقصرون في تربية اطفالهم ، ولو بداوا بتوجيههم حين كان اطفالهم في السادسة لغرسوا فيهم الدين والفضيلة ولما عانوا مشاكل من تصرفاتهم » .

ان البيت هو المدرسة الاولى للاطفال وفيه يوجهون مبكرا الى الخير او الشر ، والاطفال يقتبسون مزايا آبائهم وامهاتهم، والمثال الشخصي للابوين يؤثر في اطفالهما اعمق التأثير ،فمن خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله .

والاطفال المنحرفون والشباب المنحرف هم نسخة طبق الاصل من ابويهم ، ولا عبرة بالاستثناء.

ان الاطفال امانة لدى الوالدين ورب البيت الذي لا يربي اولاده تربية سليمة ولا يستطيع

---

(20) الآيات الكريمة من سورة الكافرون (109 : 1 — 6)
(21) الآية الكريمة من سورة يوسف (12 : 108)
(22) » » الزمر (39 : 53)
(23) » » الحجر (45 : 56)
(24) » » الروم (30 : 36)
(25) » » فصلت (41 : 49)
(26) من رسالة بالانجليزية (نداء العمل) مجلة الازهر — ج 10 س 4 ص 720 .

السيطرة عليهم فى دور المراهقة خائن وجبان . والذي يدع عرضه نهبا لاعين الفساق من الناس خائن وجبان ديوث .

ب ـ اعادة النظر فى تربية النشء الاسلامي ووضع مناهج تربيتهم على اسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف .

ان تفشي التردي الخلقي بين ابنائنا يخدم اسرائيل واعداء العرب والمسلمين . فلماذا نخرب بيوتنا بايدينا ؟

ان اعداد المعلم والاستاذ اعدادا سليما هو مفتاح الاصلاح التربوي فلابد من اعطاء هذه الناحيه اعظم درجات الاهتمام . يجب ان ندخل التعليم الديني فى مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا ؛ وان نعد مناهج هذا التعليم باستشارة علماء الدين الحنيف.

ومن المؤلم ان التعليم الديني حورب فى البلاد العربية والاسلامية محاربة لا هوادة فيها حتى تلاشى هذا التعليم فى المدارس والمعاهد والكليات او كاد .

ومن المذهل حقا ان رجال التربية والتعليم العرب والمسلمين هم الذين ذبحوا التعليم الديني بغير سكين ، وبهذا نفذوا اهداف الاستعمار والصهيونية فى سلب العقيدة من المتعلمين فهل يمكن ان نصدق ان ذلك جرى عفوا ؛ ام ان الايدي الخفية كانت وراء الاكمة ، فسخرت التافهين والامعات والعملاء واشباه الرجال لوضع مخططاتها التخريبية فى موضع التنفيذ .

ج ـ يجب اقامة المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية وحث التلاميذ والطلاب على اداء فريضة الصلاة وقد داب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية فلماذا لا تقوم بسفرات لاداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة فى كل قطر عربي وأسلامي فى كل عام ؟.

اليس من الغريب ان نسافر الى الشرق والغرب ولا نزور الديار المقدسة ؟

لقد سافرت لاداء فريضة الحج يوم كنت فى السنة الثالثة من المدرسة الاعدادية مع جماعة من التلاميذ والمدرسين ، فاثر ذلك فى نفسي تاثيرا لا تمحوه الايام ووجهني الى الخير والنور فلماذا نكرر هذه التجربة على اكبر عدد من التلاميذ والطلاب والمدرسين والاساتذة ؟

د ـ مراقبة تصرفات التلاميذ والطلاب والمدرسين والاساتذة ووضع حد للانحراف والمنحرفين بحزم وقوة لمصلحة اولئك المنحرفين .

ان (الحرية) التى بدون قيود هي (فوضى) والحرية الحقة فى التصرف ضمن اطار الفضيلة والخلق الكريم .

اننا لسنا بحاجة الى (حرية) التفسخ والتحلل والضياع .

ان عقلاء الاجانب ومفكريهم متذمرون من ضياع شبابهم فلماذا نستورد التحلل من وراء الحدود باسم الحرية والمدنية .. الخ من شعارات .

هـ ـ على الدول العربية والاسلامية ان تشجع الفضيلة وتقضي على الرذيلة وان تولي مقاليد الامور الملتزمين بالفضيلة والدين حتى يكونوا اسوة حسنة لغيرهم لان فاقد الشيء لا يعطيه . وعلى هذه الدول تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية ، و ، تمنع استيراد الافلام الخليعة وعرض التمثيليات اللا اخلاقية فى الاذاعة المرئية والمسموعة ، وتمنع مجلات الجنس وقصص المخدع وادب الجنس. لقد نقلنا المراقص الخليعة بالاذاعة المرئية الى كل دار فالله الله فى اخلاق اطفالنا وشبابنا .

و ـ على الدول ان تختار العلماء العاملين للنهوض بواجب التوعية الدينية فى الاذاعة والصحافة واجهزة الاعلام والمساجد والنوادي وقاعات المحاضرات وقصور الثقافة، ان حاجة العرب والمسلمين اليوم الى علماء عاملين كاسد بن الفرات والعز بن عبد السلام وابي الحسن الشاذلي وابن تيمية لا تقل اهمية عن حاجتهم الى قادة افذاذ كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني ، فمتى يعطي العلماء العاملون حقهم ومتى يفسح لهم المجال للنهوض بواجباتهم الدينية ؟

ز ـ على المسؤولين عن اختيار طلاب الكلية العسكرية التدقيق الشديد فى اختيار العناصر المؤمنة القوية الامينة ، وعدم اختيار غير الملتزمين بالخلق وتعاليم الدين الحنيف ..

كما يجب اختيار المعلمين المتدينين من ذوي الكفايات العالية ليكونوا ضباطا مدربين ومعلمين فى الكلية العسكرية لان هؤلاء يطبعون الطلاب بطابعهم ويكونون قدوة حسنة لهم .

كما يجب الاهتمام باقامة الشعائر الدينية فى اوقاتها فى الكلية العسكرية والجيش وادخال التعليم الديني فى منهج الكلية العسكرية والجيش ، ومن المهم بناء مسجد فى كل معسكر وكل ثكنة وكل كلية ومدرسة عسكرية .

ح ـ يجب حث العسكريين كافة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان . ومن الضروري تحريم الخمور والميسر في الجيش تحريما صارما ومعاقبة المخالفين أشد العقاب .

ولابد من تعيين (امام) في كل وحدة عسكرية لقيادة العسكريين من الناحية الروحية .

والفت الانظار الى اهمية اختيار الائمة العسكريين من العلماء العاملين لا من المرتزقة الجاهلين .

ط ـ من الضروري اجراء مسابقات دينية بين العسكريين ، كاتقان قراءة القرآن وحفظ الكتاب العزيز وتفسير الذكر الحكيم واعداد المحاضرات الدينية والقائها ... الخ .

واقترح ان يوفد المتفوقون سنويا لاداء فريضة الحج على نفقة الجيش مكافأة لهم على تفوقهم .

تلك مقترحات آمل ان تصل الى آذان المسؤولين العرب والمسلمين وان يعملوا على تنفيذها نصا وروحا . وحينذاك تتحطم شرور الحرب النفسية على صخرة الايمان وينتصر العرب والمسلمون على اسرائيل ومن وراء اسرائيل . ومن تكون اسرائيل وغير اسرائيل بالنسبة للمؤمنين الصادقين ؟

ـ 5 ـ

وانتهز هذه الفرصة لاذكر امامكم الحقائق التالية :

أ ـ ان اسرائيل لن تنسحب من الاراضي العربية بغير القوة ، واللغة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل هي القوة وحدها . فيجب ان نعد العدة لحرب آتية لا ريب فيها ، وكل عربي لا يجاهد بأمواله ونفسه ليس عربيا ، وكل مسلم لا يجاهد بأمواله ونفسه ليس مسلما ؛ فلابد من زج طاقاتنا المادية العربية من المحيط الى الخليج والاسلامية من المحيط الى المحيط .

ب ـ ان السوق العربي (الاستراتيجية العربية) منذ عام 1948 حتى اليوم كان سوقا دفاعيا والمدافع لا ينتصر ابدا كما هو معروف .

ينبغي ان نعتمد السوق التعرضي ، فذلك وحده يقودنا الى النصر ، وانا واثق من ذلك كل الوثوق .

ج ـ تهتم اسرائيل بالخسائر بالارواح ولا تهتم بالخسائر في المواد .. فيجب ان تضع القوات النظامية والفدائيون ايقاع الخسائر في سكان اسرائيل ، فذلك وحده يهز الشعور الاسرائيلي هزا عنيفا ويؤثر في معنوياتهم اسوأ التأثير .

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله واصحابه اجمعين .

اللواء الركن محمود شيت خطاب



تنطلق فكرة التربية الاسلامية فى التعليم من مبدأ التوحيد فى الله ، ثم توحيد البشرية ، وتوحيد طبقاتها . ومن هنا يتعين ، — فى نظر التربية الاسلامية ومنذ البداية ان تتوحد المناهج الدراسية ، وتتحد برامجها ، وان يحافظ فيها على الازدواجية بين اللغة الام للاسلام : اللغة العربية ، بوصف ان بها نزل دستوره القرآن ، وكانت لسان من ارسل لهذا الدين محمد عليه السلام ، وبين اللغات الاجنبية بوصف ان المسلمين جميعهم مدعوون للدعوة لدينهم ونشره بين سائر الامم ودول العالم ، على ان تتوخى هذه الازدواجية فى حدود ، بحيث لا تطغى اللغات الاجنبية ودراساتها او تضرى على حساب اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، وانما يجب ان يتوخى التعليم منذ البداية وحدوية الفكر والهدف لدى المجتمع الاسلامي ، حتى لا تبقى هناك طوائف مختلفة الاتجاهات والتفكير ، تتناحر وتتنابذ فيما بينها نتيجة التكوين والتوجيه الدراسيين .

واذا كانت طرق التعليم إبان الاحتلال الاجنبي الذى اجتاح سائر الدول الاسلامية تقريبا ، قد اعتمدت الازدواجية فى التكوين والتوجيه ، وجعلتها هي سياستها فى ميدان التعليم ، سعيا وراء قيام تهافت فى تفكير افراد المجتمعات الاسلامية ، وتطاحن رغباتهم ، عن طريق تفريق الامة الى معسكرين ، يوشكان ان يتمردا على بعضهما ويتراشقا بالنبال : معسكر يحمل اسم رجال الدين ، ويراد بهم هؤلاء الذين لا يعرفون من امور الدنيا شيئا جديا ، او جديرا بالاعتبار ، ومعسكر آخر باسم رجال الادارة والفنية والتقنية ، وعلى فكرة ان لا يعرفوا من امور الدين الا السطحية ، او على الاصح الا ما يظهر لهم هذا الدين بمظهر ظاهرة تاريخية لفترة زمنية خاصة، ومجتمعات خاصة اي انه استنفد مهمته ، ومن ثمة فيجب ان لا ينتظر منه التجاوب مع متطلبات الحياة المتجددة ، او الاستجابة للنمو العقلي الذى تفتقت عنه العلوم التشريعية والتقنية الآخذة فى السيطرة والانتشار ، ولذلك فلا معنى للاهتمام به الا فى دائرة الدراسات التاريخية، او حتى اذا كان لابد من دراسته كعقيدة فيجب ان لا يكون مذهبا او سلوكا ، اقول : اذا كانت تلك العهود قد انتهجت هذه السياسة التى جعلت من الامة الواحدة عديدا من المجتمعات وانواعا شتى من الاتجاهات ، فان الاوضاع الجديدة بعد حصول جميع الدول الاسلامية على التحرير السياسي، يجب ان تعيد النظر وجذريا فى البرامج والمناهج والتكوين والتوجيه فى ميدان التعليم ، وان تصدر فى آرائها — وهي تباشر هذا التوجيه — عما يجمع الامة من وحدة الخالق ، ووحدة المنبت والاصل ، ووحدة الهدف والمصير .

وهذه الوحدويات تحتم انشاء وحدوية فى التعليم ، وفى جميع اطواره ومراحله : ابتدائيا وثانويا وجامعيا . ذلك لان هذه الجامعات وتلك المعاهد والمدارس والكليات انما تعمل لتخريج الاستاذ المسلم ، والطبيب المسلم ، والمهندس المسلم ، والكيميائي المسلم ، والفيلسوف المسلم . الشيء الذى يقضي بأن تخضع مناهجها لتعليم اسلامي ، وبالتالى ان يخضع روادها هم ايضا لتعليم ودراسات اسلامية . هذه الدراسات التى يجب ان تكون هي الجذع المشترك فى التعليم ، والتى يجب فى نفس الوقت ان تشمل كل الدراسات والعلوم : انسانية واجتماعية واقتصادية ، وبالاخص التاريخ والسيرة والحديث والتفسير والفقه .

ثم بعد ذلك تراعى الاختصاصات المختلفة من طب ، وهندسة ، وفلاحة ، وصناعة ، ومختلف المهن .

اي يجب ان يكون تعليمنا دينيا ودنيويا معا . دنيويا على اعتبار أن نفهم الدنيا ، ونتاهل لتسيير كل شؤونها ، ودينيا على اعتبار ان لا نفهم الدنيا الا بوجهة نظر الدين ، لان الاسلام لا يسمح لنا ان نسير شؤون الدنيا كيفما نشاء ، ونكتفي بجعل عدد من العقائد والعبادات تكملة لها فى حياتنا . وانما يريد ان يكون رائدنا فى حياتنا ، ومنهاجا وحيدا لاعمالنا وتصرفاتنا فى جملة شؤونها ، ذلك لان الاسلام لا يتكلم عن الملأ الاعلى فوق الدنيا فحسب ، بل يتحدث ويبحث فى مسائل الدنيا ومشاكلها كلها ، ويوضح لنا حقيقة هذه الدنيا ، ولماذا جئنا اليها ، وما هي الغاية لحياتنا فيها ، وما هي مكانتنا الحقيقية فى ملكوت السماوات والارض .

فكيف لدين هذا شأنه ان يرضى ان يكون فى مجتمعه نظامان للتعليم : تعليم ديني واخر دنيوي ؟ او كيف يقبل ان نضيف الى تعليمنا الدنيوي تعليما دينيا كتكملة ؟ .

لم فى كلمة سابقة اشرنا الى اثر التربية البيتية فى اعداد الخلية الاولى اي الفرد فى المجتمع ، ومدى ما تستطيع تلك التربية ان تمد به الخلية من امكانيات، وتكتشفه من مؤهلات . وانتهى بنا القول الى ضرورة ايجاد تكامل بين تلك التربية والتى توفرها المدرسة والمعهد والكلية والجامعة .

ونضيف هنا ان مما يدخل ضمن الاعداد لتربية من هذا النوع ، الاهتمام المتزايد والبالغ بالاداة الاولى والاساسية لقيام كل تربية فى اية امة ما ، واعني بهذه الاداة اللغة .

واذا كان الاسلام فى شموليته يتحاشى عن التقيد بلغة ما معينة ، وبوصفها اللغة الرسمية والوحيدة التى يجب ان تسود وتسيطر فى مجتمعه ، فان الاسلام من جهة اخرى سواء هنا فى المغرب او فى باقي الدول العربية والاسلامية ، قد لا يكون مفهوما ، كما ان الناس قد لا يدركون اهدافه من التربية التى يتوخاها اذا كان اولئك الناس بمنجاة من تفهم اللغة العربية بالخصوص .

ذلك لان التربية — كما قلنا سابقا — هي خلاصة عقائد وعادات واعراف امة ما . واعظم الاشياء اتصالا وارتباطا بالامم لغتها .

واللغة فى العصور الحديثة لم تعد فقط مجرد وسيلة للتفاهم والتوصيل ، وانما هي — كما قال مالينوفسكي — حلقة فى سلسلة النشاط الانساني المنظم . انها جزء من السلوك الانساني ذاته ، وانها ضرب من العمل ، وليست اداة عاكسة للفكر .

بل ان الالمانية (فشتة Fichte) يذهب الى القول « بان اللغة تلازم الفرد فى حياته ، وتمتد الى اعماق كيانه ، وتنفذ الى اخفى رغباته وخطراته . انها تجعل من الامة الناطقة بها كلا متراصا ، خاضعا لقوانين ، انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الاجسام وعالم الاذهان (1) » .

واللغة بالتالي — كما هو راي بعض العلماء الاجتماعيين — توشك ان تكون اعظم قوة تجعل من الفرد كائنا اجتماعيا لان اللغة اشد الاشياء ارتباطا بالفكر الانساني . ومن ثمة فهي اكثر الاشياء واظهرها تعبيرا عما يجول حقا فى ذهن ذلك البشر ، فالذى يترجم غير لغته لا يكون معبرا عن افكاره وانما يكون معبرا عن افكار من يترجم لهم .

وما دام ان المفروض فينا نحن المغاربة وسكان الدول العربية والاسلامية اننا مسلمون فيجب والحالة هذه ان نعتبر تلقين اللغة العربية من ابسط واولى البدهيات ، من اجل ايجاد تربية اسلامية صحيحة فى مجتمعنا .

ثم يجب ان لا يعزب عن بالنا — ونحن نتحدث عن التربية الاسلامية — ان القرآن الذى هو الدستور الحي لعقائد الاسلام واصول السلوك فيه نزل بلغة العرب ، فمن غير المعقول أن يفهم فهما جيدا ، وجديرا بالثقة ، اذا لم يكن مفسروه وقارئوه ، ودارسوه ، على بينة تامة من اللغة التى نزل بها .

روى عمر بن زيد قال : كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري « اما بعد فتفقهوا فى السنة والفرائض ، وتفقهوا فى العربية واللحن » .

ومن كلمات الشافعي فى الموضوع « من حفظ القرآن عظمت قيمته ، ومن طلب الفقه قبل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى النحو رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم »

---

(1) مجلة العربي العدد 118 جمادى الثانية 1388 سبتمبر 1968 صفحة 45 .

والمسلمون غير العرب في مجموع العالم ، تنبهوا اليوم الى هذه الحقيقة ، واخذوا ينادون بها ، ويولونها الاهتمام اللازم ، بل ويضعونها في اوليات البرامج الجديدة الهادفة لقيام تربية وتعليم اسلاميين صحيحين .

بل ان الباكستانيين في برامجهم التعليمية التي وضعوها غداة تحررهم سياسيا، قاموا بشبه استفتاء عن احسن واقوم البرامج والمناهج التي ينبغي ان تتخذ نموذجا حيا للتعليم في بلادهم . فكشفت الآراء التي قدمت ، وادلى بها اصحابها في الموضوع - وكلها - عن اجماع بضرورة الزامية اللغة العربية، في مراحل الدراسة كلها : من المدارس الابتدائية ، الى المعاهد الثانوية ، فالكليات ، فالجامعات، ومعاهد التخصص . ونصت كذلك تلك البرامج - على دراسة القرآن وتفسيره، والحديث واصوله وعلله واسانيده، والمذاهب الفقهية الاسلامية ونشاتها وتاريخها ، والفلسفة الاسلامية وتطوراتها .

ذلك لانه كما قال احد اقطاب علماء الباكستان السيد المودودي - كيف يعقل أن نوجد مفكرين اسلاميين ، واعين ، يعملون على اجلاء الحضارة الاسلامية لمواطنيهم وللعالم كله اذا لم يكن هؤلاء العلماء المفكرون يتقنون اللغة التي نزل بها هذا الدين الذي يعتنقونه ويدعون له ، ويبشرون به ؟

وقبل كلمة المودودي هذه ، تنبه الحافظ ابن عبد البر الى تلك الحقيقة ، فقد قال : « ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على فهم كتاب الله وهو العلم بلسان العرب ، وموقع كلامها، وسعة لغتها ، واستعارتها ، ومجازها وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه ، وسائر مذاهبها ، لمن قدر ، وهو شيء لا يستغنى عنه » .

ولئلا نرمى بالرجعية او التعصب ، نحب ان نتساءل عما هو هذا النموذج الاسمى للتربية في نظر الانسان الواعي ، الانسان الذي يعرف كيف يربط مصيره المادي بمصيره الروحي ؟.

اعتقد ان الاجابة عن مثل هذا السؤال قد تكفينا عن كثير من الخوض في مسائل ليست بذات قيمة عند المؤمنين بجدوى وفعالية التربية الدينية في توجيه المجتمعات نحو الخير ، وفي تكوين الاطر الصالحة لدفع الناس الى الصالح العام ، ومع ذلك ، فقد يتساءل اناس عن : هل من الضروري ان نتقيد في كل سلوكنا بالدين ؟ وهل لابد من هذا التقيد والى الدرجة التي تربطنا وعجلة انطلاقنا بتربيته ؟

ويسرني ان افاجيء امثال هؤلاء المتسائلين بأن نعم ... ذلك لانه اذا كانت التربية الدينية في اوروبا وغيرها من الدول غير الاسلامية - واوروبا وتلك الدول تعتبر في نظر بعض ابنائنا من ذوي الثقافات الاجنبية المحضة ، هي المثال النموذجي للانسان الكامل تربية ورقيا - قد اقترنت بما عرف عنها من اضطهادات ، مما ليس هنا موضوع ذكره ، وقد تعرضنا لها باسهاب في كتابنا الاشتراكية الاسلامية والمذاهب الاقتصادية الحديثة، فان الاسلام - على العكس من ذلك - ظل هو الموجه والموحي لكل الحركات الايجابية والخلاقة والمفيدة للانسان ، وخاصة في هذه الديار ؛ فمن الوعي والتربية الاسلاميين اندفع الرعيل الاول لخوض معارك التحرير ، وبهما استطاع المغرب ان يحقق ما كان يامله ويصبو اليه من حرية واستقلال سياسيين ، ونرى ان عنهما وحدهما يمكنه اذا اراد ان يحقق ما يتوخاه في حركاته الحالية من استقلال اقتصادي واجتماعي .

والرباط الذي يجمع بين اللغة العربية والاسلام رباط قوي متين . ولكن لا يظنن احد - ونعود الى تاكيد هذا - اننا نقول بالاقتصار على اللغة العربية وحدها ، او على الدراسات الدينية المفهودة والمعروفة الى ما قبل عهد الاستقلال ، وحتى الى الآن ، تلك التي تحتضنها المعاهد التي توصف - لحاجة في نفس واضعيها - بالمعاهد الدينية . واننا نعني ونريد ان تشمل مقوماتنا اللغوية جميع اللغات الحية ، وان تشمل الدراسة في معاهدنا وكلياتنا وجامعاتنا جميع الدراسات المفيدة التي توسع الافق ، وتمده بالمعطيات الخلاقة النافعة .

فالتاريخ والجغرافية العامان ، والاقتصاد العالمي ، والسياسة الدولية ، والطبوغرافيا ، والتيكنولوجية ، اشياء اصبحت دراستها من الضروريات .

ولن تكون هناك تربية اسلامية بالمعنى الصحيح اذا خلا تعليمنا من كل هذه المجالات الانسانية التي تشعرنا بوشائجنا البشرية، وتجعلنا اكثر وعيا واعظم ادراكا لمتطلبات الحياة العصرية ؛ وما هي في اشد الحاجة اليه من معوناتنا وارشاداتنا ، وتجعلنا بالتالي اكثر فهما للدور الذي ينتظرنا كمسلمين للتصدي من

جديد ، لتوجيه الانسانية ، وقيادتها ، نحو النور ، والهداية (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)

وقد ثبت الآن ، ولدى اقطاب الفكر الغربي — وفي مقدمة هؤلاء المؤرخ الانجليزي الشهير "توينبي" — ان الدين هو عماد المجتمعات التى عليها ، وفيها ، تقوم الحضارات . واصبح من المقرر والمفروغ منه ، ان التربية الروحية يجب ان تصاحب التربية البدنية . والا تعرض البدن لانهيارات عصبية . وبانهيار الاعصاب تنهار الشخصية الانسانية .

ذلك لان الشخصية الانسانية ، تقوم احدى دعاماتها على التربية الروحية ، وهي تلك التى تنفيا الايمان بالانسان ، وتتوخى التمسك بالحياة ، من أجل الايمان بالله . هذا الايمان الذى يعطي الحياة معنى ايجابيا ، ويلونها باصباغ زيتية رائعة ، تحمل النفس البشرية على اجنحة من نور الى اجواء ساحرة ، من الشعور بالكرامة والعزة والرضى .. والاعمال كما قلنا انعكاس للمعتقدات .

وفى نطاق حديثنا عن نوع التربية العلمية التى نرى انها وحدها الصالحة لايجاد هذا المواطن الصالح ، والمؤمن بانه انما وجد ليكون عضوا عاملا ، قدر طاقته ، وامكانياته ، واختصاصاته ، وضمن العمل العام للمجموعة الانسانية ، لا نرى الدعوة الى انشاء مجرد معاهد تربوية على غرار المعاهد القديمة ، والتى مسخت بعد الاستقلال ، وشوهت ، — والمشاهدة حاليا فيما يطلق عليه المعاهد الدينية ، تلك المنبثة فى مختلف الاقاليم المغربية : القرويين — ابن يوسف — الجديدة — تارودانت — الناضور — الحسيمة — تطوان — وجدة ومكناس الخ .. كما لا نرى الدعوة الى انشاء معاهد وكليات وجامعات من هذا الطراز العصري الاوروبي ، الكافر بروحانية الانسان . لان كلا من ذينك النوعين — كما اثبتت التجربة واثبت الواقع — غير صالح . ولا يمكن ان تنتظر ثمرة ما وراء وجودهما على اوضاعهما الحالية .. النوع الاول اتقاعسه عن مواكبة طفرات الحياة وقفزاتها ، والنوع الثاني لالحاده بكل القيم الروحية وبكل شيء لا يمت الى المادية الكافرة الجاحدة بصلة وثيقة .

ولكنا نرى ان يدعى الى انشاء معاهد وجامعات تخرج وتكون حملة الوية الاسلام ، على اساس كونه نظاما صالحا للحياة وللناس فى هذا العصر ، وللذى بعده ، أي ان تخرج علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمدنية معا ، ولا يكونون بمنزلة الحواجز بل يتبوأون مكان السائق فى قطار حياة المسلمين ، ويتفوقون على المتخرجين تحت منهج التعليم الغربي فى اخلاقهم ، وصفاتهم فى جانب ، وفى مؤهلاتهم وكفاءتهم العلمية فى الجانب الآخر .

فاس — عبد الكريم التواتي



دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في تربية الشعور بالمسؤولية

للأستاذ ادريس الكتاني

لعل احدا منا قلما يهتم بالقاء هذا السؤال : لماذا طالبنا القرآن الكريم بان نامر بالمعروف وننهى عن المنكر ، وجعل هذا مبدأ أساسيا فى تربية المسلمين وتكوين المجتمع الاسلامي ؟ والواقع اننا عندما نبحث عن عوامل قوة الشخصية الاسلامية ، فى المجتمع الاسلامي الاول ــ وهي شخصية تمتاز بقوة الارادة، وقوة الشعور بالمسؤولية ، وقوة الرقابة الاجتماعية ــ نجد ان هاته القوات الثلاثة التى تتفاعل وتتكامل فى ابراز قوة الشخصية الاسلامية انما هي ثمرة لاسلوب التربية الذي أقامه الاسلام على أساس مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو المبدأ الذى يجعل من المسلم مواطنا ملتزما بجلب الخير ــ كل خير ــ للمجتمع ، ودفع الشر ــ كل شر ــ عنه ، وهو التزام ديني وخلقي لم تستطع وسائل التربية في الحضارات القديمة والحديثة غير الاسلامية تحقيقه او وضعه فى المستوى الذى وضعه فيه الاسلام وهو مستوى الايمان .

لقد عني علماء الاجتماع اليوم بتحليل الدور الذى تلعبه الرقابة الاجتماعية التى تفرض على الشخص ان يتعلم ويستجيب لتخطيطات السلوك المصادق عليها من طرف المجتمع . ذلك ان الاشخاص والتخطيطات يسيران معا بطريقة تجعل من المستطاع تلقائيا متابعة نوع من الحياة ، والرقابة الاجتماعية هي الآلية التى تديم هذا السير الاجتماعي بفضل حرصها وتمسكها بأن يتطابق الناس مع النماذج العامة لقواعد السلوك . وبتحليلنا للضغط الاجتماعي نلاحظ الطرق التى يمارس بها هذا الضغط . فالرقابة الاجتماعية توجه ثقل ضغطها على الافراد ليتطابقوا مع انواع النماذج ، ومع الادوار والعلاقات والمؤسسات الاجتماعية التى تقدسها حضارة المجتمع .

ويزداد بناء المجتمع قوة وتاصلا ، ويستقيم سير افراده ومؤسساته ، كلما عظم شعور افراده بمسؤولياتهم ، وقويت الرقابة الاجتماعية فيه ، وازداد احساس الناس بضغطها على حياتهم اليومية . ففى بلد يقدس النظافة مثلا ، لا يستطيع الفرد فيه ان يلقي بالازبال فى الشارع ليس خوفا من رجل الشرطة ، ولكن خوفا من رجل الشارع الذى لا يقل ضغط رقابته عن سلطة رجل الشرطة ، ان هذا الرجل ــ اي رجل يراك تلقي بالازبال ــ سيكون اول من ينكر عليك عملك المشين ، لانه يتنافى مع حضارة المجتمع وقيمه التى تقدس النظافة .

وفى مجتمع تحرم ديانته شرب الخمر تكون الرقابة الاجتماعية فيه اكثر ضغطا واشد تخويفا على شارب الخمر من ضغط القانون او تخويف رجل الشرطة ، ذلك ان القانون نفسه انما وضع تنفيذا لرغبة الرقابة الاجتماعية ، وقد جاء رجل الشرطة فقط ليحمي القانون الذى فرضته الرقابة الاجتماعية نفسها .

ان الرقابة الاجتماعية تلعب اخطر دور في التنشئة الاجتماعية للافراد ، وفي الزامهم بأن يتطابقوا مع نماذج السلوك المهذبة للمجتمع ، ويتعودوا على القيام بادوارهم الاجتماعية على الوجه الاكمل ، ويعملوا على تحسين علاقاتهم الانسانية ، واحترا[م] قيم المؤسسات التي يتكون منها بنيان الامة .

لذلك كان لزاما لقيام اية امة بالمعنى العلمي الصحيح ، ان تتوفر هذه الامة على وجود رقابة اجتماعية تحمي كيان مؤسساتها من اخطر الانحرافات والمنكرات ، سواء تمثلت في صورة الاعتداء على الانفس والاموال والاعراض ، او في صورة انتقاص الحقوق وعدم اداء الواجبات ، فكل عمل يسيء الى اخيك المسلم سلبا او ايجابا ، ظاهرا او باطنا ، او يمس بسلامة المؤسسات وقيمها ووظائفها ، مما يضر بمصالح المجتمع ، او يتعارض مع مقدماته الاساسية ، هذا العمل يعتبر اعتداء على المسلم وعلى المؤسسات الاسلامية ، وهذا الاعتداء يسميه الاسلام منكرا ، اي شيئا ينكره المجتمع كله ولا يقبله ، لما ينطوي عليه من اخطار على حقوق افراده ، وسلامة مؤسساته .

ولكي تضمن الامة الاسلامية لنفسها الوجود والاستقرار والاستمرار ولاعضائها العدل والامن والكفاية ، كان لا بد من ان تتكون لديها رقابة اجتماعية تمارس ضغطها بقوة ضد الانحرافات والمنكرات ، وهكذا ظهرت معجزات الاسلام في خلق وتكوين هذه الرقابة ، وتربية المسلمين على ممارستها بكامل الحرية حتى تصبح خلقا من اخلاق المومنين ، وسلوكا اجتماعيا من خصائص حضارتهم ، قال تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة :

اولا ـ ان القرآن جعل مبدا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اصلا من اصول الدين الاساسية ، وعنصرا من عناصر الايمان لا يتم الايمان الا به ، بل هو يقدمه حتى على الواجبات الدينية العينية الاخرى، ويفرده بالذكر عن عموم طاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالى : « والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » .

ثانيا ـ انه سمى الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر امة باعتبارهم انهم الذين يمثلون الكيان الاجتماعي المتماسك والمراقب للامة العامة ، وضمن هذه التسمية دعوة بان يكون عدد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الكثرة والضخامة بحيث يكون وحده امة بكل معنى الكلمة ، اي وليكن بينكم عدد يعادل في اهميته وضخامته عدد امة . وهذا التفسير عندي ابلغ واصوب من تفسير الامة بالجماعة .

ثالثا ـ انه حصر المفلحين فيمن يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهذا يعني ان غيرهم لن يفلحوا ، ولو حافظوا على بعض الطاعات الاخرى .

رابعا ـ انه يعتبر الامة التي تومن بهذا المبدا وتطبقه في سياستها وحياتها اليومية خير الامم على الاطلاق ، لقوله تعالى : كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ».

خامسا ـ ان القرآن اذ يقف هذا الموقف الصارم في تدعيم الجانب الايجابي للنهي عن المنكر ، يقف نفس الموقف بالنسبة للجانب السلبي اذ يقول : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون »

وقد جاءت السنة النبوية لتشرح وتؤكد موقف القرآن من هذا المبدا الاجتماعي الخطير ، فقد روى الترمذي عن حذيفة ان النبي (ص) قال « والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ». وروى عن ابي بكر الصديق انه قال بعد ان قرا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذ اهتديتم » واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده ».

وقال الامام الغزالي : « ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيئين اجمعين ، ولو طوي بساطه ، واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوءة ، واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق

وخربت البلاد وهلك العباد وقد كان الذى خفنا ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون » .

ان هذا الاهتمام الكبير الذى اولاه الاسلام لمبدا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تفسره من جهة طبيعة الصعوبات التى تكتنف احيانا ممارسة هذا المبدا اذ هو يتطلب قدرا غير قليل من العلم ومن الشجاعة ومن الايمان ، ومن جهة اخرى طبيعة المنكرات التى تشبه الجراثيم فى عدواها وسرعة انتشارها ، فاذا سكت المسلمون عنها ولم يكافحوها فانها توشك ان تصبح خطرا على مجموع الامة ، ولهذا اعتبر الاسلام الساكتين عليها شركاء فى اذاعتها ونشرها بسكوتهم ، ويستحقون بموقفهم السلبي هذا نفس العقاب ، ويدل لهذا قوله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » وقوله تعالى

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

وقد جعل الاسلام كفاح المنكر على درجات يقاس بها ايمان المؤمن فقال عليه السلام : « من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

بهذه المبادىء وهذه الاسس تكونت الامة الاسلامية الاولى، وقامت مؤسسات المجتمع الاسلامي بقوة وحيوية لم يعرف التاريخ مثيلا لها فى امة اخرى. ونحن اليوم احوج ما نكون الى توجيه انفسنا، وتربية ابنائنا واجيالنا على اساس حب الخير للناس، ودفع الشر عنهم باليد واللسان والقلب . والى ان نلتزم بهذا المبدا فى سلوكنا وعلاقاتنا ومواقفنا وحياتنا اليومية كجزء لا يتجزا من ايماننا بالله ، وامتثالنا لرسالة نبيه الكريم ، ان هذا الالتزام وحده يمكن ان يعيدنا كما كنا خير امة اخرجت للناس ، وما ذلك على الله بعزيز .

الرباط ـ ادريس الكتاني



(7)

التعدد الذى أقره الاسلام ، اثار ضجة كبرى بين بعض المستشرقين والمتشبعين بآرائهم الآفنة،وحفزهم الى اتخاذه حجة لقذف الشريعة المحمدية ، ووصفها بالاضطهاد للمراة فى سبيل ارضاء الشهوات الجنسية والنزوات الطائشة ، وهذا من باب قلب الحقائق وصبغها بصبغة توهم العقول الساذجة انها دفاع عن حقوق المراة ، وذياد عن الكرامة الانسانية ، وعند البحث تلفي كل ذلك حذلقة جوفاء ، وخداعا مقيتا ، وروغانا مسموما عكس الوضع راسا على عقب ، ذلك ان التعدد كما سيتبين بعد قليل اصلاح اجتماعي هادف الى رفع القيم الانسانية الى مرتقاها الصاعد.

اقول : التعدد الذى اباحه الاسلام قد عرف التاريخ الوانا منه قبل البعثة المحمدية بقرون وقرون، وهذه الالوان هي كما يلي :

1 ـ الشيوعية الجنسية : هي ان يكون النساء ملكا لجميع الرجال فى مجتمع ما .

2 ـ تعدد الازواج والزوجات : هو ان يكون عدد معروف من النساء حقا لعدد معروف من الرجال .

3 ـ وحدانية الزوجة مع تعدد الازواج : هذا النظام يبيح لجماعة من الرجال ان يشتركوا فى زوجة واحدة .

4 ـ وحدانية الزوج مع تعدد الزوجات : هذا النظام يبيح للرجل ان يكون له اكثر من زوجة .

5 ـ وحدانية الزوج والزوجة : وهذا النظام لا يسمح للرجل ان يكون فى عصمته اكثر من زوجة واحدة وكذلك بالنسبة للمراة (1) .

والنظام الرابع هو الذى عمل به فى كثير من المجتمعات الحديثة ولاسيما الاسلامية ـ مع تنظيمه وتقييده بأربع ـ وكثير من اهالي افريقية والهند والصين واليابان ، كما انه عمل به في القديم عند العرب فى الجاهلية والعبريين والصقالبة ، وقد صرح المحققون من علماء الاتنوجرافيا كالعالم وسترماك ان هذا المبدا من التعدد ظهر بوضوح جلي فى الامم المتحضرة بعكس الامم البدائية التى لم تعرف شيئا من الحضارة والتقدم (2) .

ولما جاء الاسلام وجد هذه الظاهرة الاجتماعية منتشرة فى الجزيرة بصورة عشوائية لا ضابط لها ، وجائرة على كرامة المراة وحقوقها المشروعة ، وحينذاك الفى نفسه امام وضع يستدعي اصلاحا

---

(1) انظر الاسرة والمجتمع لعلي عبد الواحد وافي ص 57 ط 3 .
(2) نفس المصدر ص 69 .

جذريا ، ولكن من خصائص شريعة الاسلام انها تواكب فطرة البشر ، وضروراته الحياتية ، وظروفه المتقلبة حسب الزمان والمكان ، لذلك لم يسارع الى تحريمه فيسد امام الناس الابواب والمنافذ ، ولم يرغب فيه او يفرضه كما فرض الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وانما ترك للفرد يتصرف حسب ما تمليه عليه مقتضياته مع تقييد الشرط الذي قيد به التعدد مسايرة للطبيعة وقوانينها ، ومجريات الحياة ونواميسها ، ومواجهة لطوارىء المستقبل ، اذ ليس من مقومات الاسلام التمرد على ما هو منطقي وطبيعي، ثم ان نظام التعدد ليس بدعا فى القانون الاسلامي ، انفرد به دون غيره من القوانين السماوية ، فقد عرفه العالم القديم كما المعنا الى ذلك سالفا ، اذ الشريعة الموسوية اباحته دون ما حد فسليمان عليه السلام كان له عدد كبير جدا من النساء حرائر واماء، وعموما انبياء التوراة كانوا متزوجين نساء كثيرات(3) والاناجيل نفسها ليس فيها نص صريح يمنع التعدد، فهذا بولس فى رسالته حرمه فى حالة واحدة هي حالة الاسقف الذي لا يطيق الرهبنة ، فيكتفي بزوجة واحدة فقط ، ومارتن لوثر لم يعترض بتاتا على قضية التعدد ، بل لم ير فيها باسا ، والكنيسة بدورها اعترفت بابناء الملك شرلمان من عدة نساء . ويقول العالم الاختصاصي فى تاريخ الزواج « وسترمارك » Westermark ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي الى القرن السابع عشر ، وكان يتكرر كثيرا فى الحالات التى لا تحصيها الكنيسة والدولة (4) .

وان مجلس الفرنكيين « بنورمبرج » بعد انتهاء حروب الثلاثين وظهور النقص فى عدد السكان سنة 1650 قرر تعدد الزوجات فاباح للرجل ان يجمع فى عصمته زوجتين كما ان بعض الطوائف المسيحية رات ان تجعل التعدد امرا مفروضا ففى سنة 1531 نادى اللا معمدانيون فى مونستر ان الفرد المسيحي يجب ان تكون له عدة زوجات ، وفى هذا الصدد يقول جرجي زيدان : « فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع اتباعها من التزوج بامراتين فاكثر ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم ، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة اقرب لحفظ نظام الاسرة واتحادها وكان ذلك شائعا فى الدولة الرومانية ، فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امراة حراما كما هو مشهور (5) » .

اذن فتعدد الزوجات ليس تهمة وعارا يقذف به الاسلام لان هدفه ـ بجانب تشجيعه على التوالد والتناسل ـ اسمى من كل تلك الترهات التى يلهج بها اعداء الاسلام ، وآية ذلك ان نظام التعدد يهدف الى تنظيم العلاقات الجنسية تنظيما حسنا لكي يحد من فوضى الجنس والانحرافات الحيوية المسعورة ، ومع ذلك فانه يكاد يبطله بتاتا كما يتجلى فى قوله تعالى : « فانكحوا (6) ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع (7) فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » .

فالله تعالى اجاز الزواج باربع نساء ولكن مع توفر العدل بينهن والا فليقتصر الرجل على واحدة ليس الا ، والعدل الذى يشترطه القرآن الكريم هو ان يكون فى الماكل والمشرب، وقد غالى بعضهم فاوجب توفر العدل فى المحبة والعطف ، وهذا مما لا يضمنه الفرد لنفسه ، لانه فوق طاقته ومقدرته ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يعدل بين زوجاته : « اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما لا املك » ويقصد بذلك حبه للسيدة عائشة رضي الله عنها .

ويقول الله تعالى فى آية اخرى : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة» ولكن القرآن الكريم هنا حاول ان يضيق دائرة التعدد حتى لا يكون العوبة فى

---

(3) المراة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي ص 71 ط 2
(4) حقائق الاسلام للعقاد ص 167 ط 2
(5) الاسلام روح المدنية للغلاييني ص 222 طبع سنة 1960 .
(6) لفظة انكحوا وان كانت امرا فهي للاباحة لا للايجاب .
(7) بعض أهل البدع يفهمون من الآية انها تبيح التعدد باكثر من اربعة ، وهذا سببه الجهل باسرار البيان القرآني قال ابن حزم فى المحلى ص 441 ج 9 مسالة 1816 منشورات المكتب التجاري بيروت : « فلم يختلف فى انه لا يحل لاحد زواج اكثر من اربع نسوة احد من اهل الاسلام . وخالف فى ذلك قوم من الروافض لا يصح لهم عقد الاسلام » .

بد بعض الناس ما دام العدل مستحيلا ، ولكن لا كما فهم البعض من هذه الآية ان التعدد ممنوع لاستحالة وجود شرط العدل ، فنص الآية يقطع بان المراد بالعدل هو الحب الذي لا يمكن للانسان مهما أوتي من قوة وجلد ان يتحكم فيه ، ومع هذا انهى الله سبحانه عن الميل كل الميل فيذر المسلم المراة الاولى كالمعلقة تستمريء المرارة ـ لا هي حرة مطلقة ولا هي تتمتع بحنان الزوج ـ ويتصرف بكليته الى الثانية ، والمفهوم من ذلك ان بعض الميل جائز من غير افراط يؤدي الى الخصام والعراك ولذلك ختم الله الآية بقوله حاثا الزوج على الاصلاح فيما بينه وبين الاولى : « وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما » .

ولو كان هذا الفهم للآية صحيحا موافقا للصواب ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة في الابقاء على اربع نسوة ، وتطليق الباقي، روى البخاري باسناده ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اختر منهن اربعا .. وروى ابو داود باسناده ان عميرة الاسدي قال : اسلمت وعندي ثماني نسوة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اختر منهن اربعا » ..

ولو كان هذا الفهم للآية ـ ثانيا ـ صحيحا ما عدد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مرأى ومسمع منه ، وبعدهم التابعون واجيال اخرى من المسلمين على مدى اربعة عشر قرنا ، ولست اشك ادنى شك ان معنى الآية السابقة لا تمت البتة بصلة الى ما فهمه اولئك .

واذا نظرنا الى مبدأ التعدد من زاوية اخرى فاننا نرى ان الاسلام بصفته نظاما كاملا واقعيا ايجابيا يساير الفطرة الانسانية ، وحقيقة الحياة في ملابساتها الشتى ، وواقعياتها المتنوعة التي قد ندرك بعضا منها اليوم ونلمسه بانفسنا ، وقد لا ندرك بعضا آخر منها الا في ظروف مختلفة اخرى،وزمن آخر وذاك من خصائص التشريع الرباني الذي جاء خاتم الشرائع السماوية مراعيا في منهاجه ما يقتضيه منطق الحياة البشرية ، لذلك استحق ان يكون نظاما فريدا من نوعه ياخذ بيد الانسانية في مسيرتها في كل شؤونها كبيرها وصغيرها ، ولكنها عن هذا المنهاج الوضيء غافلة .

والضرورات الحياتية التي راعها الاسلام في تشريعه لمبدا التعدد وقد توجد اخرى يعلمها رب الناس ومشرع التعدد ـ كعلاج حاسم لما قد يعتور الاسرة البشرية من مشاكل اجتماعية عويصة لا يراب صدعها غير المنهاج الرباني الكامل نوردها فيما يلي :

1 ـ ان عدد النساء قديما وحديثا يفوق عدد الرجال في المجتمعات الانسانية على العموم ، لذلك راعى الاسلام الناحية العمرانية ، وآية ذلك ان من المقرر ديموجرافيا ان ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم معرضون اكثر من النساء عند الولادة للوفاة وفي الطفولة الاولى (8) ، وبجانب هذا فان الرجال معرضون للحروب والكوارث المتنوعة .

وفي هذه الحالة يكون مبدأ التعدد امرا واجبا اجتماعيا واخلاقيا بالقياس الى ما قد ينجم عن التضخم العددي للنساء في المجتمع من دعارة وانحلال ، وهناك احصائيات عديدة تجسم ذلك المظهر المزري في امريكا واوروبا (9) نتيجة الاقتصار على زوجة واحدة ، واهمال باقي النساء اللواتي لا يجدن من يضمهن الى ساحته حيث العطف والرحمة .

2 ـ ان تكون الزوجة عقيما ، حينذاك لا مانع للزوج ان يتزوج زواجا ثانيا اذا ما كان يريد الانجاب، وهذا الزوج ليس امامه الا احد السبيلين اما ان يفارق زوجته الاولى العقيم ، او يتزوج عليها والاخير افضل صيانة لتلك المراة العاقر ، ولا شك ان المراة العاقر العاقلة تفضل التعدد عن ان تتشرد وتفقد بيتها .

3 ـ ان تكون الزوجة مصابة بمرض مزمن او داء يستحيل معه ان تباشر مع زوجها الحقوق الزوجية ، ، فالزوج حينذاك امام حلين اثنين : اما ان يطلقها وهذا ليس من المروءة في شيء ، واما ان يتزوج عليها محافظة عليها فتتمتع بحقوقها كزوجة .

---

(8) حقوق الانسان في الاسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ص 99 وما بعدها .

(9) المراة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي ص 241 والسلام العالمي والاسلام للامام الشهيد سيد قطب ص 93 ط 5

4 ـ ان يكون الزوج متوفرا على غلمة او بعبارة طاقة جنسية لا تسمح له بتاتا ان يكتفي بزوجة واحدة، وخاصة وان المراة تعتريها حالات استثنائية كالعادة الشهرية وايام الحمل والنفاس والمرض ، وهنا من الافضل اتقاء من الوقوع فى المحرم الزواج بامراة ثانية .

فما بعد هذا من حل ؟ انلتجيء بحل الكنيسة التى حظرت على المسيحي تعصبا التعدد ام نعالج المشكلة علاجا اسلاميا فما راي اولئك المعارضين ؟

اما الحل الكنيسي فلا يخفى ما ينطوي عليه من نتائج سيئة تؤدي الى تدهور اجتماعي وفوضى فى الاخلاق ؛ وارتكاب الخطايا من اجل افراغ الشحنة الجنسية المسعورة ، ولا ريب ان هذا يقضي بالمجتمع الى انهيار مفزع فى كل القيم الروحية والاخلاقية التى تميز الانسان عن الحيوان ، والتى تجعله متحضرا حضارة حقيقية لا تقوم على العناصر المادية وحدها ، ويمكن ان نلخص نتائج ذلك كما هو حادث بالفعل فى المجتمعات الاوروبية التى تناصر وحدانية الزوجة على حين تعترف بالتعدد وانف القانون راغم باسم الصديقات او الخليلات فيما يلي :

ا ـ الدعارة

ب ـ العوانس المحرومات

ج ـ انتشار الابناء غير الشرعيين .

هذه الامراض الاجتماعية الفتاكة تورث المجتمع خللا فى توازنه ، وتصدعا فى بنيانه ، واهتزازا فى تماسكه ، وليس من ريب ان الدعارة سبيل الى نشر الفساد الاخلاقي والشذوذ الجنسي ، والعوانس المحرومات المهجورات يلتجئن الى فتح دور البغاء لبيع اجسادهن بأرخص الاثمان من اجل اكتساب ما يسدن به رمقهن ، والاخريات منهن يعمدن الى الارتماء فى احضان الشهوات يطفئن غلتهن او الى ممارسة انواع من الانحرافات الجنسية ، واذا لم يكن هذا او ذاك، فان اولئك العوانس؛ يظلن طول حياتهن فى عزلة قاتلة محرومات من حنان الامومة الندية فاقدات الثقة فى الناس والمجتمع وينطوين على انفسهن يجترن الاحزان والآلام ينظرن الى الحياة نظرة متشائمة قاتمة ؛ وبذلك يكون المجتمع قد فقد عددا من المواطنات ، لو استغلن احسن استغلال لاستفادت منهن البشرية .

وليس يخفى ان الزنا تنتج منه علل نفسية وامراض خبيثة تضر بالصحة العامة ، وقد ثبت طبيا ان البغاء يسبب عدة ادواء فى الجسم الانساني كمرض الزهري الذى ينتشر فى جميع اجهزة البدن كالجهاز العصبي والدوري واللمفاوي وغيره مما هو مذكور فى كتب الطب .

اما انتشار الاولاد غير الشرعيين (10) فتلك هي الطامة الكبرى التى تدهم المجتمع فتهدم مقوماته التربوية وسيادته الخلقية كما هو واقع فى المجتمع الغربي المنتكس فى جاهلية شاملة .

واذا اردنا ان نعالج المشكلة علاجا اسلاميا فان المصاب يهون وتخف حدته ، وبخاصة ان طغت نسبة النساء على نسبة الرجال فامست الانسانية امام معضلة عويصة شائكة تستوجب حلا شافيا ، وليس هنالك طبعا غير الحل الاسلامي الذى سنه الله فى منهاجه الخالد للانسان فى اي زمان ومكان .

وسيأتي يوم تلتجيء البشرية بهذا الحل كما وقع لالمانيا منذ سنوات ففي سنة 1948 اقيم مؤتمر للشباب العالمي فى «مونيخ» (11) بالمانيا ساهمت فيه جماعة من المسلمين ، وكان من جملتهم لجنة درست مشكلة زيادة عدد النساء فى هذه البلاد زيادة ملحوظة جدا بعد الحرب؛ وبحثت حينذاك المشكلة فاقترحت اللجنة اباحة التعدد وطالبت المؤتمر بتطبيقه ، وبعد ذلك فى سنة 1949 (12) طالب سكان بون عاصمة المانيا الاتحادية من الدوائر العليا ان يعترف القانون الالماني بالتعدد كحل ناجع لمشكلة تضخم نسبة النساء ، وفى هذا الصدد يقول الفيلسوف شوبنهور متحدثا عن التعدد فى رسالته « كلمة عن النساء » .. ان قوانين الزواج فى اوروبا فاسدة المبنى بمساواتها المراة بالرجل فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فافقدتنا نصف حقوقنا وضاعفت علينا واجباتنا ؛ على انها ما دامت اباحت

(10) المراة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي ص 241 وما بعدها
(11) انظر المصدر السابق ص 75
(12) نفس المصدر ونفس الصفحة

للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم ان تمنحها ايضا عقلا مثل عقله .

ولا تعدم امرأة من الامم التى تجيز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشؤونها ، والمتزوجون عندنا نفر قليل، وغيرهن لا يحصين عدا تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائمة متحسرة ، ومخلوقات ضعيفة بين الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ، ويتحملن شاق الاعمال وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزي والعار ، ففي مدينة لندن وحدها ثمانون الف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الاوربية وما تدعيه لنفسها من الاباطيل الخ .. (13) »

ونص هذا الفيلسوف فيه غنية واي غنية عن المزيد فى الحديث عن تعدد الزوجات ، على اننا لانعدم اقوالا لمفكرين اجانب من المستشرقين انفسهم (14) يؤثرون الحل الاسلامي لهذه المشكلة القائمة .

وزبدة الكلام ان الشريعة الاسلامية المرنة السمحة ابقت على التعدد فنظمته ، واعطت الحرية لكل فرد يختار ما يتفق وبيئته وحياته من غير ان ترغمه ، وانما تركت الباب مفتوحا على مصراعيه تمشيا مع الضرورات التى يمكن ان تحدث ، وتمو الحياة المطرد وطبائع الاشياء ، وسواء قبل هذا المعارضون او لم يقبلوه ، فهو تشريع رباني حكيم ما يجدر بالفرد من البشر ــ لو فاء الى نفسه ورجع عن شروده ــ ان ينتقد حكم خالقه ، ويتمرد على منهجه ، ويتوقح على نظامه الذى ليس هو نظام مرحلة زمنية معينة او بيئة عربية صحراوية ، وانما هو نظام انساني اصيل لا تسبر غوره عقلية الانسان الا بعد ان تعاين حكمته البعيدة ، وهدفه الواعد . وقد بدات تلمس ذلك وتعترف به اذعانا لمنطق الحياة المتجدد ، الذى خلقه اله عزيز عليم متناسقا ونوازع الانسان الفطرية وتكويناته العجيبة ، وموافقا له فى كل جانب من جوانب نشاطه الاقتصادي والمادي والروحي ، فخيره فى تشريعه ، وشره فى انحرافاته الجاهلية عن حاكميته ، ولكنه استحب العمى على الهدى .

فانظروا يا جماعة المستشرقين فيما قلناه نظرة نزيهة على ضوء عقولكم ومحصورة كما شئتم فى حدود البحث العلمي المجرد عن التعصب ، ولست ارتاب فى انكم ستذعنون للحق ــ كما سيذعن عن شيعتكم ــ ان جعلتم شعاركم النزاهة والانصاف ، والانسان ــ اخيرا ــ لا ينتفع ببصره فى الحياة اذا استوى لديه الضياء والحلكة :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره
اذا أستوت عنده الانوار والظلم

ــ يتبع ــ

تطوان ــ محمد المنتصر الريسوني

---

(13) الاسلام روح المدنية للغلاييني ص 225

(14) من هؤلاء غوستاف لوبون ؛ انظر حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر 397 وما بعدها ط 4





ان الاسرة ، بصفة عامة ، في زمان علم الاجتماع الجاهلي المعاصر، تحدد في اشكالها العديدة، حسب تعريفات الباحثين وما توصلوا اليه بالاستقراء ، بمجرد التجمع الاسري كيفما كان شكله ، وكيفما كانت حدوده على اساس اقتصادي يحدد ابعاده ، ونطاقه وتطور وظيفته ، وتحديد انماطه واشكاله .

اما علم الاجتماع الاسلامي فيضع فواصل ثابتة بين الاسرة الجاهلية والاسلامية . فالاسرة التي يمكن ان تحمل اسم الاسرة الاسلامية بالمعنى الحق ، هي الاسرة التي تحمل في طياتها كل مبادىء الاسلام . اما ما عداها فلم تبلغ حدا من الحضارة التي تستحق ذاك الاسم . فهي لذلك جاهلية .

فعلم الاجتماع الجاهلي ينظر الى الاسرة بالمنظار الجاهلي ، فهي ظاهرة اجتماعية ، انها ليست الا اوضاعا ومصطلحات اقرها المجتمع ، ونظمها ، مجرد اصطلاحات يربطها العقل الجمعي ، وقواعد تختارها المجتمعات . اما علم الاجتماع الاسلامي فينظر الى الاسرة الاسلامية او الجاهلية، لا على اساس خضوعها للمجتمعات او العقول الجمعية ، بل على اساس خضوعها او عدم خضوعها لاله واحد هو الله ، فتتجاوز الاسرة الاسلامية بخضوعها لله العقول الجمعية والمجتمعات لتكون قانونا فطريا كونيا . والاسرة التي لم تبلغ حد القانون الفطري الكوني ، فهي اسرة جاهلية ، لها اشكال وانماطها حسب آلهتها المعبودة .

ومن ثم فعلم الاجتماع الاسلامي ينظر حسب المقياس الالهي الفطري الى النماذج المتعددة — على انها مختلفة متفاوتة في مقوماتها وابعادها — التي تحدد فيها الاسر التامة الابعاد الاسلامية ، والتي تحدد فيها الاسر الجاهلية الناقصة الابعاد الاسلامية . اما علم الاجتماع الجاهلي ، فيستقي مقاييسه من العقول الجمعية ، التي يعطيها درجة واحدة من الكمال والقيمة .

ابعاد الاسرة الاسلامية :

1 — **البعد الاول :** الفكرة الاساسية التي قامت عليها الاسرة ، وهي تلبية نداء فطري غريزي في الانسان لعبادة الله . واي اسرة كيفما كان شكلها ونوعها ان لم تقم على هذا الاساس فهي اسرة جاهلية . فالاسرة تقوم للمحافظة على الجنس البشري وبقائه . فبناء الاسرة لا يكون من اجل اشباع الغرائز ولا لاي مطلب من مطالب الدنيا الزائلة ، بل يكون من اجل تطبيق الناموس الالهي في الكون . قال الرسول (اظفر بذات الدين تربت يداك) .

2 — **البعد الثاني :** تاخذ الاسرة في الاسلام ، في حدودها واتساعها، ونطاقها، معنى واسع المؤدى، فهي تشمل الزوجين والآباء والاولاد والاخوة واولادهم والاعمام والاخوال واولادهم ، وهكذا تشمل عموم النسب وحواشيه) . كما عرفها ابو زهرة .

وهذا النطاق يعارضه علم الاجتماع الجاهلي ، لان الاسرة في نظره تطورت في نطاقهـا . ويحددهـا ا. حبرن في الزوجة والزوج والاولاد . او الزوجين بدون أطفال ، أو الزوج بالاطفال او العكس ، وقد تتسع الى الاحفاد والاجداد بشرط المعيشة الواحدة ... وهذا الشرط يدخل المقياس الاقتصادي لتحديد الاسرة ، فينطبق على الفرد بمفرده اذا كان مستقلا اقتصاديا ، وعلى جماعة لا تربطهم رابطة القرابة ، وعلى مؤسسة تضم مئات الاطفال يعيشون عيشة واحدة . وهكذا ، فاذا كان التجمع الاسري مجرد تجمع اقتصادي فان الاسرة تفقد حدودها وأشكالها بصورة غير محدودة. اما الاسرة الاسلامية، فلا ينظر اليها بهذا المنظر الاقتصادي ، وان كان له اثره ومكانته ، وانما ينظر اليها بابعاد اخرى كثيرة ، زيادة على العامل الاقتصادي ، في تحديد نطاقها ، كصلة الرحم ، والتكافل الاجتماعي ، والارث .. الخ

3 — **البعد الثالث :** بعد اسسها وصفاتها التي تقوم عليها ، وترتقي بها الى اعلى مكانتهـا . فان اختلت او بتر بعضها وطمس وازيل ، لم تعد اسرة اسلامية بل تكون قد انحطت الى الاسفل ، الى المستوى الجاهلي . ومن هذه الصفات والاسس :

1 — المودة والمحبة داخل نواة الاسرة ، وفي عمومها وحواشيها .

2 — صلة الرحم بين حواشي وعموم الاسرة . وبه تتحد وترتبط على اساس من الاخوة والمحبة .

3 — التعاون والتكافل داخل نواة الاسرة وعمومها وحواشيها ، سواء في تقسيم العمل بين الاب والام ، او في نظام النفقة والارث .

4 — استقرار وسلامة البيت . فالاسرة الاسلامية تعيش في استقرار دائم في علاقاتها ومشاعرها ، وتعيش في سلامة تامة وطمأنينة كاملة ، سلامة في الضمير والنفس والعقل والروح.

4 — **البعد الرابع :** هو البعد التكويني للاسرة الاسلامية على شريعة الله . حيث يمر بالاختيار بالخطبة والرضى بالمهر بالاشهار . ويرى علم الاجتماع الجاهلي ان هذا البعد التكويني ، يتطور مع الزمن ، ويختلف باختلاف المجتمعات والعقول الجمعية التي يجعلونها في قيمة واحدة لا فرق بين الاسلامية او الجاهلية .

5 — **البعد الخامس :** وهو بعد الروح الاسلامية المهيمنة على الاسرة . وهذا البعد اساسي لانه هو الذي يوجد الابعاد الاخرى ويجعلها تتناسق مع قوانين الكون . حيث افراد الاسرة يعملون من اجل عبادة الله ، وعلى هدى من الله دون ان يخضعوا للمجتمع في عوائده اذا ما انحرفت عن منهج الله ، او تقاليده المعوجة .

واخيرا ان الاسرة اذا تخلت عن بعض هذه الابعاد انحطت الى الجاهلية وفقدت معنى الاسرة الاسلامية التي تتلاءم مع الانسان والجماعة ونوامس الكون باسره . ومن ثمة فان الاسر الجاهلية ، رغم جاهليتها ، تحرز على بعض الابعاد الاسلامية ولكنها لا تستطيع بحكم جاهليتها ان تحرز على كل الابعاد الاسلامية للاسرة ، فلا تقدم بذلك نموذجا واقعيا للاسرة الاسلامية ، وانما تقدم نموذجا جاهليا . اما الاسرة الاسلامية التي تنتشر في مختلف المجتمعات وتجتاح مختلف العقول الجمعية (بحكم التجمع) فانها تتفق وتتسق في قوانين ثابتة وعامة مع نواميس الفطرة فتعطي نماذج واقعية للاسرة الاسلامية الحقة ، بالاضافة الى المقياس الالهي الذي يحدد ابعاد الاسرة الاسلامية .

الرباط — محمد العربي الناصر



الفقه فى الاصطلاح الاسلامي هو علم يشمل العبادات والمعاملات .. وهو بقسميه مشمول فى الكتاب الكريم والسنة النبوية .. ولكنه فيهما غير مرتب بحيث يأخذ الواحد منه حاجته بأقل تأمل .. بل كان يحتاج الى معرفة احكام الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص وغير ذلك من القيود التى لابد منها للوقوف على اللباب منه ...

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخرج لقومه احكام الفقه من القرآن ويشرحها فيتلقفها الناس ويحفظونها ويعملون بها ويعلمونها العامة ... فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه ابو بكر رضي الله عنه اتبع خطة الرسول ... فكان يعمل بما رآه وسمعه منه .. ويسأل عما لم يصل اليه علمه من حلول المسائل عمن يكون قد سمع عنها شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسار على هذه السنة عمر وعثمان وعلي ... وكان رجال من المسلمين فى اثناء ذلك يعملون على جمع علم الفقه والالمام باطرافه .. فممن اشتهر بالفقه بعد الخلفاء الراشدين : عبد الرحمان بن عوف ، وابي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ابن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وسلمان الفارسي ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعري .. وكل هؤلاء من اجلاء الصحابة .

ثم انتقل الفقه بعد ذلك الى التابعين واشتهر منهم فى المدينة :

1) سعيد بن المسيب ، وسلمان بن ياسر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وربيعة ، ومالك بن انس واصحابه ، وابن ابي ذؤيب .

2) ومن فقهاء التابعين من اهل مكة واليمن : علقمة ، والاسود ، وعبيدة ، وشريح ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وحماد بن أبي سليمان ، وابو حنيفة واصحابه والثوري وغيرهم ..

3) ومن جهابذة فقهاء البصرة : الحسن .. وجابر بن زيد ، وابو شعشاء ، واياس بن معاوية ، وعبيد الله بن الحسن ، وسوار القاضي .

4) ومن اجلاء فقهاء الشام : مكحول ، وسليمان بن موسى ، والاوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ويزيد بن جابر .

5) ومن اهل مصر : يزيد بن ابي حبيب ، وعمر بن الحارث ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب ، واشهب ، وابن عبد الحكم ، واصبغ ، والمزنى ، والربيع .

6) ومن اهل بغداد وغيرهم : ابو ثور ، واسحق راهويه ، وابو عبيد القاسم بن سلام ، وابو جعفر الطبري .

هؤلاء الائمة المجتهدون الذين ملأوا الصدر الاول علما ونورا بأخذ الناس عنهم ما احتاجوا اليه فى العادات والمعاملات ، ولا يزال لهم القدح المعلى والفضل الكبير فى المسائل الفقهية الى اليوم .

ثم انقسم المتكلمون فى الفقه الى قسمين : اهل الحديث واهل الراي .

فعرف الاولون ببناء الاحكام على الاحاديث النبوية والعمل بها بغير اعمال الراي فى امور الدين والشريعة .

وعرف الاخيرون بأعمال الراي فى الاحكام وقياس بعضها على بعض ، والتوقف عن قبول الحديث الا اذا كان متواترا اي فى درجة القرآن من جهة السنة .. وكان زعيم هذه الطائفة ابو حنيفة النعمان فى الكوفة ، وقد استقدمه المنصور الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه .

فاضطر مالك بن انس، وهو زعيم اهل الحديث، الى زيادة التمسك بمذهبه ، وانضم اليه انصار من اهل الحجاز ومنهم الشافعي ، وسفيان الثوري ، واحمد بن حنبل .. وغيرهم ..

وبقي فقهاء العراق على مذهب ابي حنيفة ومنهم محمد والحسن وابو يوسف والحسن بن زياد وابن سماعة وابو مطيع البلخي وعافية القاضي وغيرهم ، وسموا بأهل الراي والقياس لان عنايتهم كانت مبذولة فى تحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها .. وهم يقدمون القياس الجلى على الاحاديث التى روادها آحاد اي التى لم يروها الا واحد عن واحد .

ونبغ بعد الامام مالك من اهل مذهبه محمد بن ادريس الشافعي .. فرحل الى العراق وخالط ابا حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقتهم بطريقة امامه فاختص بمذهب خالف فيه مالكا .

ثم جاء بعده احمد بن حنبل وهو من كبار المحدثين .. وقرا اصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث .. فاختصوا بمذهب آخر .. فوقف التقليد بالامصار عند هؤلاء الاربعة .. ولا يزالون هم ائمة المسلمين الى اليوم .

ان علماء الدين قد وضحوا السنة على انها « مجموع ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم » وبدون شك فالنبي فى حياته كان مقررا متكلما ناصحا مرشدا .. فكان مجموع اقواله يسمى (سنة) ثم بطبيعة الحال كان عاملا ومتحركا ونشيطا ومجموع افعاله يسمى (سنة) ايضا .. ثم انه كان يشاهد كثيرا من الاشياء فينتصح مرتكبها او ينهيه واحيانا لا يرى فى عمله موجبا للنصح ، فكان سكوته ايضا يشمل نوعا آخر من السنن وهو السنة التقريرية .

وهذه السنة عالقة فى قلوب الصحابة وعقولهم وفى سلوكهم ايضا فلم تدون فى اي عصر من العصور الاولى ... اذ ان النبي خشي ان تختلط على الناس السنة بالقرآن .. وجاء عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب فلم تدون السنة فى عهده لانه خشي ان تشغل الناس عن النظر فى القرآن ... وجاء عصر الامويين وظهرت محاولة اولى لجمع السنة فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز .. وهكذا بقي الحديث الى ان جاء عصر العباسيين فدونت الاحاديث كما هو مشهور ...

ان الاجماع يلعب دورا خطيرا فى القانون الاسلامي وهو اتفاق المجتهدين على حكم شرعي ... وهناك آيات كثيرة من القرآن تقول بالاجماع .. كما ان هناك احاديث تدعو الى الاصغاء لاجماع الامة كالذى رواه ابن مسعود :

« ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المومنون قبيحا فهو عند الله قبيح »

وقد يتسابق الى الذهن ان الاجماع يشابه « عمل اهل المدينة » الذى يقول به المالكية ... والحقيقة ان الاجماع يضم عمل اهل المدينة ايضا كما يضم عمل الصحابة وهذه نقطة الخلاف بين المذاهب .. اذ ان اكثرها تقول « بالاجماع » يعني بعمل المجتهدين واحكامهم فى أي عصر من الاعصار .. والحنابلة وابو داوود الظاهري لا يقولان الا باجماع الصحابة فقط ..

وينبغي ان نعرف ان الاجماع بطبيعة الحال اما ان يكون ايجابيا او سلبيا كما تقدم فى السنة ... ففعل النبي وقوله سنة قولية او فعلية ... اما سكوته عن عمل من الاعمال رآه ولم يغيره فهو سنة تقريرية .. وكذلك الاجماع قد يكون باظهار الراي صراحة وقد يكون سكوتيا اعني ان يتفي المجتهد برأي فيسكت ائمة الاجتهاد فى عصره عن حكمه فيكون اجماعا سكوتيا او سلبيا .

ويأتي بعد الاجماع القياس وهو يتناول بالحكم المسائل التى لم ترد فيها آية او نص حديث او

اجماع ... عندئذ ننتقل الى القياس .. وذلك ان الاسلام فى لبه يدعو الى المصلحة العامة وتبنى نصوصه على مصالح ... لهذا ، فاذا لم يجدوا النص ينتقلون الى شيء آخر وهو «القياس» على شيء آخر .. وليس يخفي ان القياس لابد فيه من علة او سبب للحكم ... اذ العلل كما هي مبسطة فى الاصول من الموجدات لما يسمى بالقياس ، ومثال ذلك ان المريض كما هو معلوم فى الشريعة الاسلامية لا يجوز له فى مرضه المخوف ان يتصرف فى امواله تصرفات مضرة بالورثة والدائنين .. واذا بحثنا عن السبب فنرى ان خوف الهلاك هو الذى جعل الشارع لا يبيح له التصرف فى امواله .

فلو راينا شخصا سيخرج الى المبارزة مثلا واراد ان يوصي بماله لفريق دون آخر بما يضر الورثة لما ابحناه ذلك قياسا على مسالة المرض .

كل هذا اذا تدبرته رايت ان الاسلام كقانون اجتماعي يعمل المجتهدون على ابتكار الاحكام فيه من المنصوص عليها اما من القرآن او من الحديث .. واحيانا اذا لم يجدوا النص « باتفاق » فانهم يعملون بالرأي والراي فى الفقه ياتي من طريقتين: راي الفقهاء الكبار او راي المجتهدين بعبارة اوضح وهو ما يسمي بالاجماع ، ثم الراي المبني على القياس ... وكل منا يمكنه ان يتساءل كيف يمكن ان يعمل الراي ضمن شروط القياس حتى لا يحيد عن الحق .. او بعبارة اوضح كيف نستطيع ان نثق بعمل العقل واحكامه .. ان المقياس لمعرفة ذلك هو اتباع ما تقتضيه مصلحة الناس وحياتهم الاجتماعية .

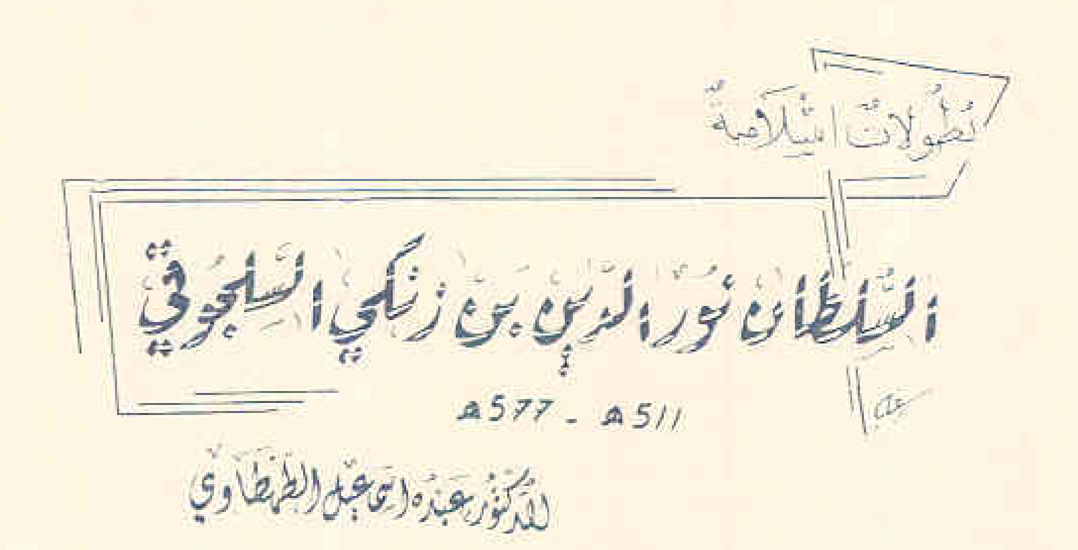
وفى كتاب « حجة الله البالغة » لاحمد عبد الرحيم ان المقياس فى ذلك كله هو مراعاة اقرب الاشياء الى الخير المطلق وذلك واضح من حقيقة الاسلام ، الدين الالهي الذى يامر باكرم الاخلاق وانبلها .. واكبر دليل على هذا من القرآن نفسه هو قول الله تعالى: « ان الله يامر بالعدل والاحسان»

واخيرا فهناك « الكلمة الاصولية » — الاستحسان — عند الحنفية. ولعل معنى الاستحسان اخفى ما نتصوره بسهولة عند الحنفية اذ هو معناه اذا كان فى الامر دليل اقوى من الكتاب او السنة او الاجماع تركوا القياس الظاهر واخذوا بالدليل الاقوى استحسانا .

وهذا ما يجعل القانون الاسلامي اسمى القوانين لاعتماده على الفكرة المجردة للحق والعدالة مع الانصاف والارشاد .

سلا — عثمان بن خضراء





- 6 -

ـ سنة ثلاثين وخمسمائة ـ

فائـــدة :

ولي المقتفي والمسترشد الخلافة . وكانا أخوين ، وكذلك الهادي والرشيد (ابنا المهدي ، وكذلك الواثق والمتوكل) ابنا المعتصم اخوان . واما ثلاثة اخوة : فالامين والمامون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل ، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر . واما اربعة اخوة فلم تكن الا في بني امية ، وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان .

وفيها تحركت الاسعار بدمشق والشام ، فبيعت الغرارة من القمح بأربعمائة درهم ، وظهر جراد كبير ، فزاد خوف الناس .

وفيها طلع على دمشق واعمالها وبعلبك والبقاع سحاب مظلم اسود منه الافق ، ثم احمر حتى عاد كأنه النار . وجاءت من بعده ريح شديدة ، ووقع برد كبار ، ومطر مفرط في الكثرة ، وسالت السيول ، وامتدت المدود ، واختلطت انهار دمشق بعضها ببعض ، واضرب بردى بما يجاوره .

وفيها اجتمعت عساكر حلب مع الامير سوار نائب حلب ، وكبسوا اللاذقية بغتة ، فقتلوا وأسروا وغنموا . قال ابن الاثير : كانت الاسرى سبعة آلاف نفس بالصغار والكبار ، ومائة الف من الدواب والمواشي ، وضربوا اللاذقية ، وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما .

ـ سنة احدى وثلاثين ـ

فيها خرج الراشد من الموصل متوجها نحو مراغة ، وسببه ما بلغه من انتظام الحال بين أتابك زنكي وبين الخليفة المقتفي والسلطان مسعود على ضياع ، قدرت له ببغداد على ان يخطب له في البلاد التي تحت يده من الموصل والشام ، على الا يكلف الحضور عند السلطان ، والا يزور ولا يزار ، وشرطه هو الا يسلم الراشد اليهم ، ولا يخطب له ، ، ويخلعه . فلما تم ذلك خرج الراشد من الموصل ليلا ، وتبعه أصحابه من الغد . وعلم بهم زنكي فلم يتعرض لهم . فلما تعدى الموصل تبعه داود السلجوقي ، وساروا الى همدان . فلما علم بهم الملك مسعود خرج من بغداد الى همدان لدفع الراشد وابن اخيه داود ، وتقاربت العساكر ، واصطفت الجيوش ، فحمل مسعود على القلب وفيه داود فكسره ، ثم حملت ميسرته وكسرت الميمنة ، فاستنهض الراشد الاتراك ، ووعدهم ونخاهم فردوا الى عسكر مسعود ، وكانوا قد نزلوا عن خيولهم ، واستراحوا ، وبعضهم قد

نزع عن نفسه وعن فرسه ؛ وبعضهم قد شرب وسكر . فحملوا عليهم ؛ فانهزموا جميعهم . ولما راى مسعود انهزام اصحابه ؛ وتحكمت السيوف فيمن بقي منهم ولى منهزما ؛ ودخل الى اصفهان مكسورا . ولما وصلت الاخبار الى بغداد بكسرة الملك مسعود اضطرب امر الخليفة المقتفي ؛ وساق الراشد الى اصفهان ومعه داود والعساكر ؛ فعاثوا في البلاد ؛ وخربوا القرى ؛ وظلموا الناس ؛ وخربوا كثيرا من قرى الملاحدة ؛ فدست اليه الملاحدة من قتله على باب اصفهان في ليلة السابع والعشرين من رمضان ؛ وخلص الامر للمقتفي ؛ وتقررت السلطنة استجر ثم لمسعود .

وفيها كثر موت الفجاءة باصبهان ؛ فمات الوف من الناس ؛ واغلقت دور كثيرة .

وفيها تزوج الخليفة المقتفي الخاتون فاطمة بنت السلطان محمد بن ملكشاه اخت السلطان مسعود؛ على صداق مائة الف دينار ؛ وحضر السلطان مسعود العقد ؛ ونثر على الناس انواع النثار .

وفيها صام اهل بغداد رمضان ثلاثين يوما ؛ ولم يروا الهلال ليلة احدى وثلاثين ؛ مع كون السماء كانت مصحية . قال ابن الجوزي : وهذا شيء لم يقع مثله .

ـ سنة اثنتين وثلاثين ـ

فيها ولد صلاح الدين يوسف بن أيوب بقلعة تكريت .

وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ؛ فانهدم شيء كثير ؛ ومات خلق كثير تحت الردم .

وفيها كان بخراسان غلاء كبير ؛ حتى اكلت الكلاب !

وفيها اخذ عماد الدين زنكي مدينة حمص ؛ وتزوج بالست زمرد خاتون ام شمس الملوك اسماعيل؛ وهي اخت الملك دقاق لامه ؛ وهي التي ينسب اليها المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق باعلا الشرق القبلي .

وفيها كسا الكعبة رجل من التجار يقال له « رامست الفارسي » بثمانية عشر الف دينار ؛ وذلك لانه لم تاتها كسوة هذا العام لاجل اختلاف الملوك .

وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه خلق عظيم لا يحصون كثرة من الروم والفرنج وغيرهم من انواع النصارى ؛ وقصد الشام ؛ فخافه الناس خوفا عظيما . فقصد مدينة بزاغة وحاصرها ؛ وهي على مرحلة من حلب ؛ وفتحها عنوة . ثم سار عنها الى شيزر ؛ وهي حصن منيع على مرحلة من حماه فحصرها ؛ ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا ؛ وارسل صاحبها الى زنكي يستنجده ؛ فحضر ؛ ونزل على حماه ؛ وكان كل يوم يركب في عسكره ؛ ويسير الى شيزر بحيث يراه ملك الروم ؛ ويرسل السرايا تتخطف من يخرج من عساكرهم للميرة والنهب ؛ ثم يعود آخر النهار . وكان الروم قد نزلوا على شرقي شيزر ؛ فارسل اليهم زنكي يقول لهم : انكم قد تحصنتم بهذه الجبال ؛ فاخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقي ؛ فان ظفرتم بنا اخذتم شيزر وغيرها ؛ وان ظفرنا بكم ارحنا المسلمين من شركم ؛ ولم يكن له بهم قوة لكثرتهم ؛ وانما كان هذا ترهيبا لهم ؛ وكان زنكي يراسل فرنج الشام؛ ويحذرهم ملك الروم ؛ ويعلمهم انه ان ملك بالشام حصنا واحدا اخذ البلاد التي بايديهم ؛ وكان يراسل ملك الروم يهدده؛ ويوهمه ان الفرنج معه . فاستنفر كل واحد من الفرنج والروم من صاحبه ؛ فرحل ملك الروم عنها؛ وكان مدة مقامه عليها اربعة وعشرون يوما ؛ وترك المناجيق وآلات الحصار بحالها . فسار زنكي خلفهم؛ فظفر بطائفة منهم في ساقة العسكر ؛ فغنم منهم ؛ وقتل واسر ؛ واخذ جميع ما خلفوه ؛ ورفعه الى قلعة حلب ؛ وكفى الله المؤمنين القتال .

ـ سنة ثلاث وثلاثين ـ

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة خيبر ؛ مات بسببها مائتا الف ؛ وثلاثون الفا ؛ وخسف بها ؛ وصار مكان البلد ماء اسود عشرة فراسخ في عشرة فراسخ . وزلزلت حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة ؛ وخرج اهلها الى الصحراء . قال ابن الاثير : ولم تزل الزلازل تتعاهدهم بالشام من رابع صفر الى تاسع عشرة ؛ وكان معها صوت وهدة شديدة .

وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري ؛ قتله ثلاثة من خواصه ليلا ؛

وهربوا من القلعة ، فادرك اثنان فصلبا ، وافلت واحد ، وتملك بعده اخوه كمال الدين محمد ابن تاج الملوك ، كان ببعلبك قبل ذلك ، فجاء الاتابك زنكي واخذ بعلبك بعد ان نصب عليها اربعة عشر منجنيقا ترمي ليلا ونهارا ، فاشرف اهلها على الهلاك ، وسلموا البلد ، وعصى بالقلعة جماعة من الاتراك ، ونزلوا بالامان ، فغدر بهم ، وصلبهم ، فمقته الناس، ونفر منه اهل دمشق ، وقالوا : لو ملك دمشق لفعل بنا مثلما فعل بهؤلاء . ولما ملك بعلبك ولاها لنجم الدين ايوب والد صلاح الدين ، وكتب له تلثها ، فاستقر فيها هو واهله ، ولم يزل بها الى ايام نور الدين .

ـ سنة اربع وثلاثين ـ

فيها دخل المقتفي على الخاتون فاطمة اخت السلطان مسعود ، واغلقت بغداد ، وكان وقتا مشهودا . وتزوج السلطان مسعود بنت امير المؤمنين المقتفي .

وفيها توفي رجل صالح من اهل باب الازج ، فنودي للصلاة عليه بمدرسة الشيخ عبد القادر ، فلما اريد غسله عطس وعاش !

وفيها ولد تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي .

وفيها قدم اتابك زنكي من بعلبك ، فنزل البقاع طالبا دمشق ، فوردت اليه هدية صاحب دمشق، وطلب منه العود ، ويعطيه خمسين الف دينار ، ويعطيه حمص ، فاشار نجم الدين على زنكي بقبول ذلك ، وقال : هذا مال كثير ، وقد حصل بلا تعب ، وبلد كبير بلا عناء ، ودمشق بلد عظيم ، وقد الف اهلها هذا البيت ، وتمرنوا على سياستهم ، وقد بلغتهم الاحوال التي جرت ببعلبك . فامتنع زنكي من قبول ما اشار به ، ففاته ذلك ، ولم يظفر بعوضه ، فانه جاء ونزل داريا ، وراسل كمال الدين محمد بن بوري يطلب منه دمشق ، ويعوضه عنها اي بلد شاء ، فلم يجبه ، فالتقى العسكران . فانهزم الدمشقيون ، وقتل كثير منهم ، ثم تقدم زنكي الى المصلى ، فالتقى به جمع كثير من جند دمشق واحداثها ، ورجال الغوطة ، وقاتلوه ، فانهزموا ، واشرف البلد على الاخذ ، لكن عاد زنكي فامسك عدة ايام عن القتال ، وتابع الرسل الى صاحب دمشق بتسليمها ، فلم يجبه ، فعاد الى القتال والزحف ، فمرض صاحب دمشق محمد ، ومات في ثامن شعبان ، وهو مثل الوقت الذي قتل فيه اخوه ، فكانت مدة ولايته سنة واحدة ، وكان حسن السيرة، قليل الظلم ، فحزن الناس عليه ، وولي بعده ابنه مجير الدين آبق ، ودبر دولته معين الدين انر .

فلما الح عليهم زنكي بالقتال راسل انر الفرنج يستنجدهم ، وخوفهم من زنكي ان تملك دمشق . فتجمعت الفرنج ، وعلم زنكي ، فسار الى حوران لملتقاهم فهابوه ، ولم يجيئوا ، فعاد الى حصار دمشق ، ونزل بعذراء ، واحرق قرى المرج ، ورحل، فجاءت الفرنج واجتمعوا بمعين الدين ، وكان قد شاطرهم ان رحلوا زنكي يعطيهم بانياس ، وكانت لزنكي . فسار معين الدين في معسكر دمشق الى بانياس فاخذها ، وسلمها الى الفرنج ، فغضب زنكي ، وعاد الى دمشق ، فعاث بحوران وافسد وجاء الى دمشق فخرجوا ، واقتتلوا معه ، وقتل جماعة ، ثم رحل عنها ومع اصحابه شيء كثير من النهب ، وسار الى حصن بارين وكان بيد الفرنج ، فحصره حصرا شديدا ، فراسلوه في طلب الامان ، فاجابهم ، وتسلم الحصن . قال ابن الاثير : وكان هذا الحصن من اضر بلاد الفرنج على المسلمين، فان اهله كانوا قد خربوا ما بين حماه وحلب من البلدان ، وانقطعت السبل ، فازال الله تعالى بزنكي هذا الضرر العظيم . وفي مدة مقامه على بارين سير جنده الى المعرة وكفرطاب ، وتلك الولاية جميعها ، فاستولى عليها وعلى بلاد كثيرة ، وقرايا عظيمة .

ـ سنة خمس وثلاثين ـ

فيها وصلت البردة والقضيب الى بغداد ، وكانا قد اخذا مع المسترشد سنة تسع وعشرين، فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة .

وفيها اصاب الحجاج عطش شديد ، فهلك منهم خلق كثير ، ومنهم من تاخر وصوله حتى فاتته الوقفة .

وفيها ملك الاسماعيلية حصن مصيات ، كان واليه نائبا لصاحب شيزر ، فاحتالوا عليه ، ومكروا به حتى صعدوا اليه ، فقتلوه وملكوا الحصن ، وبقي في ايديهم الى دولة الملك الظاهر بيبرس .

ـ سنة ست وثلاثين ـ

فيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وبين ملك الخطا ، وسبب ذلك ـ كما حكاه الكتبي عن تاريخ تاج الدين بن حمويه ان طائفة من الترك تعرف بقرلق كانوا بما وراء النهر بنواحي سمرقند ترعى بمروجها ، وتتنقل في مراعيها ، ولهم اموال ودواب ، لا يعرفون عدد اغنامهم . واهل تلك الناحية ينتفعون بمعاملتهم وجلبهم ، ولا يتضررون بسببهم ، وهم يعفون عن اموال غيرهم ، ويكفون دوابهم عن الزروع. فاتفق ان الامراء السنجرية اغروا سنجر ، والحوا عليه بان يبعث اليهم لجيوش تغزوهم ويكسب اموالهم ، فسير اليهم جيشا فغزاهم ، وواقع بهم ، وغنم اموالهم ، وسبى ذراريهم ، وقتل رجالهم ، فانحازوا الى جهة ، وبعثوا جماعة من مشايخهم الى السلطان سنجر يسالونه الكف عن اذيتهم ، وتركهم على ما هم عليه ، وقالوا : نحن من الصحارى والخراب ، ولا مضرة على احد منا ، فانا لا نخيف السبيل ، ولا نطرق القرى ، ولا تؤذي الزروع . ومع هذا فنحن نبذل عن خراج دوابنا في كل سنة للسلطان خمسة الاف فرس ، وخمسة وثلاثين الف راس غنم . فلم يلتفت اليهم ، ولا قبل منهم ما بذلوه، فلما عادت شيوخهم اليهم بذلك قصدوا ملك الخطا الملقب بكوخان مستصرخين ومستعدين ، واطمعوه في البلاد ، وهونوا عليه بلوغ المراد. فجمع فاوعى ، وسار في سبعمائة الف مقاتل ، واجتهد سنجر كل الاجتهاد ، فجمع سبعين الفا . وكان اللقاء بصحاري سمرقند على ست مراحل منها ، فانكسر سنجر ، وقتل جمع كثير من عسكره ، واسرت زوجته واولاده وخواصه ، ونجا سنجر بنفسه ، وتقدم الخطا الى سمرقند وبخارى ، فاستولوا عليها ، وامنوا من بها، واستحوذ ملكهم على دار الامارة ، ورتب نائبا في كل بلد، واقر الناس على معايشهم ، وعاد بالغنائم الى بلاده .

ـ سنة سبع وثلاثين ـ

فيها سار عماد الدين زنكي الى بلد الهكارية ، وكان بيد الاكراد ، وقد اكثروا في البلاد الفساد ، فملك تلك البلاد ، وبنى هناك قلعة عظيمة ، وسماها القلعة العمادية .

وفيها خطب للاتابك زنكي بآمد .

وفيها اخذ مدينة عانة والحديثة .

ـ سنة ثمان وثلاثين ـ

فيها عزم السلطان مسعود على قصد الموصل والشام لوحشة وقعت بينه وبين عماد الدين زنكي ، فترددت الرسل بينهما حتى استقر الحال على مائة الف دينا يحملها زنكي للسلطان ، دفع اليه منها عشرين الف دينار، ثم ان الامور تقلبت، وعاد اصحاب الاطراف، وخرجوا على السلطان، فاحتاج الى مداراة زنكي ، فاطلق له الباقي من المال استمالة له .

وفيها ملك الاتابك زنكي عدة بلاد من ديار بكر، وملك مدينة المعدن الذى يعمل منه النحاس من ارمينية ومدينة حران ، واخذ من اعمال ماردين عدة مواضع .

ـ سنة تسع وثلاثين ـ

فيها فتح الاتابك عماد الدين زنكي الرهاء وكانت مدة حصاره لها ثمانية وعشرين يوما ، وكانت الرها من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا ، وهي احدى الكراسي عندهم : فاشرفها البيت المقدس ، ثم انطاكية ، ثم رومية ، وقسطنطينية ، والرها . وكان على المسلمين من الفرنج الذين بالرها شر عظيم ، ملكوا من نواحي ماردين الى العراق عدة حصون كسروج والبيرة ، وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر وماردين ونصيبين وراس عين والرقة . ولما ملكها زنكي استباحها ، ونكس صلبانها، واباد قسوسها ورهبانها ، وملأ الناس ايديهم من النهب والسبي . ثم انه دخل البلد فراقه ، وانف لمثله من الخراب ، فامر باعادة ما اخذ منه من اثاث ومال وسبي ورجال وجوار واطفال ، فردوا عن آخرهم ، لم يفقد منهم الا الشاذ والنادر ، فعاد البلد عامرا ، بعد ان كان داثرا ، ثم رتب البلد ، واصلح من شانه ، وسار عنه ، فاستولى على ما كان بيد الفرنج من المدن والحصون والقرى ، وكان فتحا عظيما طار في الافاق ذكره ، وطاب بها نشره ، وشهد خلق كثير من الاولياء والصالحين .

قال ابن الاثير : حكى لي جماعة اعرف صلاحهم انهم راوا ــ يوم فتح الرها ــ الشيخ ابا عبد الله بن علي بن مهران الفقيه الشافعي، وكان من العلماء والصالحين الزاهدين في الدنيا، المنقطعين عنها، وله الكرامة الظاهرة ، ذكروا انه غاب في زاويته يومه ذلك ، ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور ، وقال : حدثنا بعض اخواننا ، ان اتابك زنكي فتح مدينة الرها ، وانه شهد معه فتحها يومه هذا ، ثم قال : ما يضرك يا زنكي ما فعلت بعد اليوم ، يردد هذا القول مرارا ، فضبطوا ذلك اليوم ، فكان يوم الفتح . ثم ان نفرا من الاجناد حضروا عند هذا الشيخ ، وقالوا : منذ رايناك على السور تكبر ايقنا بالفتح ، وهو ينكر حضوره ، وهم يقسمون انهم راوه عيانا .

قال : وحكى لي بعض العلماء بالاخبار والاسباب ، وهو اعلم من رايت بها ، قال : كان ملك جزيرة صقلية من الفرنج ، وكان بها بعض الصالحين من المغاربة المسلمين ، وكان الملك يحضره ، ويكرمه ، ويرجع الى قوله ، ويقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين ، فلما كان الوقت الذي فتحت فيه الرها سير هذا الملك جيشا في البحر الى افريقية، فنهبوا ، واغاروا ، وسلبوا ، واسروا ، وجاءت الاخبار الى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المغربي وقد نعس وهو شبيه بالنائم ، فايقظه الملك ، وقال : يا فقيه ، قد فعل اصحابنا بالمسلمين كيت وكيت ، اين كان محمد عن نصرهم ؟! فقال له : كان قد حضر فتح الرها . قال فتضاحك من عنده من الفرنج ، فقال لهم الملك : لا تضحكوا ، فو الله ما قال عن غير علم . واشتد هذا على الملك . قال : فلم يمض قليل حتى اتاهم الخبر بفتحها .

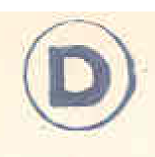
قال : وحكى لي ايضا غير واحد ممن اثق به ان رجلا من الصالحين راى زنكي بعد موته في المنام في احسن حال ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . فقال له : بماذا ؟ قال : بفتح الرها .

ــ سنة اربعين وخمسمائة ــ

فيها استولت الفرنج بالاندلس على ساحل البحر الغربي الذي كان بيد المسلمين ، وهو : مدينة شلب ولشبونة وشنترين وما والاها .

ــ يتبع ــ

القاهرة : د. عبده الطهطاوي



أبحاث ودراسات

ابن المواعيني مؤلف الريحان والريعان

للأستاذ عبد الوهاب بن منصور
مؤرخ المملكة

كتب الاستاذ محمد مرسي الخولي في عدد يناير 1971 من دعوة الحق مقالا عن كتاب الريحان والريعان ، فسرني ان تكون هذه الاثارة المغربية لا تزال محفوظة بخزانة كتب مشرقية ، ولفت نظري قول الاستاذ الخولي اننا لا نعرف شيئا كثيرا عن حياة مؤلفه .

والحقيقة ان ابن المواعيني مؤلف الريحان والريعان هو واحد من مئات بل آلاف من القادة والعلماء والادباء المغاربة الذين عفت الايام عليهم ، وستظل حجب الجهل بهم مسدلة عليهم الى ان تشق آلاف من كتبنا الخطية المودعة في بطون الخزانات الخصوصية والعمومية بالشرق والغرب طريقها الى المطبعة ، وينكب شبابنا الجامعيون على تحقيقها والتعريف بمؤلفيها تعريفا علميا وافيا .

ومن غير تطويل احب ان اعقب على مقال الاستاذ الخولي ، فالقي بصيصا من نور على حياة مؤلف الريحان والريعان لعله ينير بعض الطريق امام بحاثة مجد يمد يد العناية الى هذا الكتاب النفيس فينفض ما تراكم عليه من غبار الدهور ، ويخرجه في حلة قشيبة من الظلمات الى النور .

وصدق الاستاذ الخولي في قوله اننا لا نعرف عن المؤلف الشيء الكثير ، لاننا نعرف عنه الشيء القليل من الاسطر القليلة التي خصه بها المؤرخون او من استطراداتهم التي لا تخلو من فائدة .

وقد خصه بالترجمة فيما اذكر محمد بن الابار القضاعي البلنسي في (التكملة ، لكتاب الصلة) ، ومحمد بن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة، لكتابي الموصول والصلة) ، ومحمد بن الخطيب السلماني في (الاحاطة ، في اخبار غرناطة) ، ونقل ابن سعيد في (المغرب) نتفا من شعره ونثره ، كما نقل احمد المقري التلمساني نتفا أخرى من شعره وشعر ابن له يسمى أحمد في (نفح الطيب) .

وهو عندهم جميعا محمد بن ابراهيم بن خيرة، وتسميته بمحمود كما ورد في عنوان المقال المنشور بدعوة الحق غير صحيحة ، وقد غلط ابن حبيش ايضا في تسميته بعبد الرحمان حسبما ذكر ذلك ابن الابار .

ويعرف بابن المواعيني لا بالمواعيني كما ورد في تكملة ابن الابار ومقال الاستاذ الخولي ، والمواعيني حرفة ابيه كما ذكر ابن الخطيب في الاحاطة .

وهو من اهل قرطبة ، والنسبة لاشبيلية انما جاءته من سكناه بها وخدمته ولاتها امراء الموحدين.

قال في حقه ابن عبد الملك : كان كاتبا بليغا شاعرا مجيدا ، استكتبه ابو حفص بن عبد المومن ، وحظي عنده حظوة عظيمة اصهر كان بينهما بوجه ما نال فيه جاها عظيما وثروة واسعة ، وكان حسن الخط رائقه ، سلك فيه في ابتدائه مسلك المتقن ابي بكر بن خيرة .

وقال ابن الخطيب : استدعاه السيد ابو سعيد الوالي بغرناطة اليها فاقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله .

ولا تتحدث المصادر التى ورد فيها ذكره عن مولده ونشاته ، ولكنها تذكر جملة من شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والادب كابي بكر بن عبد العزيز وابي بكر بن العربي وابي الحسن شريح ، ويونس بن مغيث ، وابي عبد الله حفيد مكي ، وابن ابي الخصال ، وابن بقي ، وغيرهم .

ومن شعر ابن المواعيني قوله يمدح الامير عمر بن الخليفة عبد المومن من قصيدة :

كانما الافق صرح والنجوم به
كواعب وظلام الليل حاجبه

وللهلال اعتراض فى مطالعه
كانه اسود قد شاب حاجبه

واقبل الصبح فاستحيت مشارقه
وادبر الليل فاستخفت كواكبه

كالسيد الماجد الاعلا الهمام ابي
حفص لرحاته ضمت مضاربه

وقوله :

رعيا لمنزله الخصيب وظله
وسقى الثرى النجدى لهم ربابه

وانشد له ابن الامام صاحب سمط الجمان قصيدة يمدح بها الزبير بن عمر منها قوله :

برقت ثغورهم وسالت ادمعي
فانظر الى برق وصوب عهاد

واها على ساداته لا ادمعي
كلفا بزينبه ولا بربابه

ومنها :

طولوا وصولوا فالمناسب حمير
اهل المفاخر والندى والنادي

للقوم فى كل البلاد رياسة
تحكي بني العباس فى بغداد

اضحت مجالسهم سروج جيادهم
ان السروج مجالس الامجاد

وقوله من قصيدة يمدح بها الاميرة زينب بنت السلطان علي بن يوسف بن تاشفين :

طابت الصهباء فى افواههم
حيث ابدوا من ثغور حببا

وقوله :

كان اقاح الروض بين شقيقة
سفو حباب فى قرارة راح

ومن نثره قوله :

اطال الله بقاء الامير محفوفا بالرايات الخافقة موصوفا بالآراء المتوافقة ، ولا زالت امصاره تنير ، ومضاؤه يبير ، يا له ــ ايده الله ــ من مضاء لا يبيت له جار على وجل ، وردى يستوهب من كماته كل اجل .

وقد خلف ابن المواعيني عدة كتب منها (ريحان الالباب وريعان الشباب ، فى مراتب الآداب) (والوشاح لمفصل) وكتاب فى الامثال .

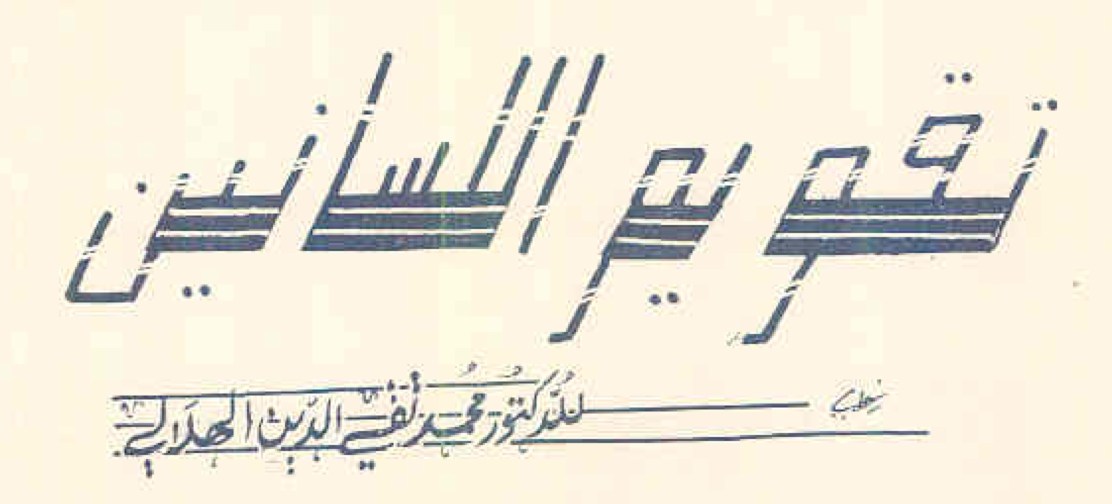
والكتاب الاول اهم كتبه توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة الفاتح باستانبول تحت عدد 3909 كما توجد منه نسختين محفوظتين بالخزانة الملكية بالرباط اولاهما تحت عدد 2647 عدد اوراقها 203 فى كل صفحة 31 سطرا ، وهي اقدمهما يظهر انها منسوخة فى اواخر ايام الدولة النصرية بالاندلس او على عهد الدولة السعدية بالمغرب وثانيتهما تحت عدد 1406 فيها 143 ورقة فى كل وجه منها 37 سطرا ، وهي احدث من سابقتها تم نسخها فى 22 رجب عام 1133 للامير مولاي الشريف بن السلطان مولاي اسماعيل العلوي ، على يد كاتبها عبد الله بن محمد القمار اللمطي .

والنسختان مكتوبتان معا بخط مغربي عادي ومموهتان بالحبر المذهب والالوان ، والثانية ادق خطا من الاولى .

وقد ورد فى آخر كتيهما أن الكتاب كمل تاليفه فى شهر شعبان من عام 557 اي فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي اول خلفاء الموحدين .

وكانت وفاته بمراكش عام 564 هـ وعسى الايام ان تسعف بالاطلاع على ترجمة اوفى فتزداد معرفتنا بهذا الاديب الكبير .

الرباط ــ عبد الوهاب بنمنصور



– 11 –

55 ـ فلان يريد مقابلة الرئيس

من العبارات التى شاعت وذاعت فى هذا الزمان وهي من الكلمات المولدة التى لم تستعملها العرب قولهم فلان يريد مقابلة الرئيس على صيغة المصدر ويستعملونه ايضا فعلا كقابلته واقابله او ان الرئيس لا يقابل احدا فى هذا اليوم وكل ذلك استعمال فاسد ولا حاجة اليه والصواب ان يقال فلان يريد لقاء الرئيس او الاجتماع به وما اشبه ذلك قال صاحب اللسان واستقبل الشيء وقابله حاذاه بوجهه وقال فى موضع آخر ويقال فلان جلس قبالته أي تجاهه ثم قال ومقابلة الكتاب بالكتاب وقباله فى معارضته، وتقابل القوم استقبل بعضهم بعضا ، وقوله تعالى فى وصف اهل الجنة «اخوانا على سرر متقابلين»، جاء فى التفسير انه لا ينظر بعضهم فى اقفاء بعض ثم قال المقابلة المواجهة والتقابل مثله قال محمد تقي الدين تفهم من كل ما تقدم ان المقابلة المواجهة بين انسانين او شيئين غيرهما والتقابل التواجه وهو ان يستقبل الواحد الآخر وجها الى وجه سواء اكان قريبا ام بعيدا وهذا المعنى وان كان يمكن تأويله باللقاء والاجتماع فانه لم تجربه عادة العرب الفصحاء فى تخاطبهم وانما هي عامية مصرية ادخلها الكتاب المصريون فيما يكتبونه من الفصيح فتبعهم غيرهم من الكتاب كما تقدم فى النقد العاشر من هذه المجموعة من قول المصريين نسيت انا الآخر أو غاب هو الآخر فهي عامية مصرية ايضا والمصريون لهم فضل وتقدم فى الادب العربي وغيره من العلوم فلا ينبغي لاحد ان يستنكف من الاقتداء بهم فى صوابهم ولكنهم مع ذلك كغيرهم غير معصومين من الخطأ فلا يجوز تقليدهم تقليد الاعمى بل يجب على الكاتب ان يكون بصيرا بما يكتب وبما يتكلم به ويقراه ويجعل الحكم للدليل .

56 ـ ويقولون مثلا فى منتصف شوال او مارس القادم يريدون الشهر الآتي والشهر لا يوصف بالقدوم الا على سبيل التشبيه بالمسافر والتشبيه لا يحسن فى كل موضع وقد صار ديدن الكتاب الا يقولوا فى الغالب الا العام القادم وذلك تعبير يشين وجه اللغة العربية واظنهم اخذوه من اللغة الانجليزية لانها ، لضيقها ، ليس لها الفاظ بازاء كل معنى من المعاني فليس لها لفظ خاص بمجيء المسافر ولفظ خاص بمجيء السنة او العام فليس لها الا لفظ واحد تستعمله لكل آت والقراء الذين يعرفون الانجليزية يفهمون هذا حق الفهم وليس عندي الآن من يكتبه بالانجليزية اذا امليته عليه فلذلك تركته واكتفيت بالاشارة (وكل لبيب بالاشارة يفهم) الدليل على ما قلته قال الفيروزبادي فى القاموس المحيط ما نصه : وقدم من سفره كعلم قدوما وقدمانا بالكسر ءاب فهو قادم ، ومنه تعلم ان القدوم لا يستحسن استعماله للعام والسنة والشهر بل يقال الشهر الآتي والسنة القابلة والعام القابل . ولو استغنيت بالوصف فقلت مثلا لم استطع ان ازورك فى هذا العام وسازورك فى القابل ان شاء

الله لجاز ذلك وكان فصيحا اما الشهر فيقال فيه لآتي واما قوله سبحانه وتعالى فى سورة هود رقم 98 حكاية عن فرعون (يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود) فهو من قدم بفتح الدال فى الماضي وضمها فى المضارع بمعنى يتقدمهم يسير امامهم الى جهنم حتى يوردهم النار اي يدخلهم اياها وشبهت النار بالمورد وهو الماء الذى يقصد للشرب والاستقاء اي اخذ الماء والتزود منه فعبر الكتاب العزيز باورد واما قدم المسافر فهو بكسر الدال فى الماضي وفتحها في المضارع كما اشار اليه صاحب القاموس بقوله كعلم

57 ـ ومن ذلك قولهم جلسة الامس

يعنون بذلك الجلسة التى وقعت فى نهار اليوم الذى قبل يومك الذى انت فيه وهذا خطا سببه الجهل باللغة وعدم التفريق بين معنى الامس بالالف واللام وامس بدونهما وبين اللفظين بون بعيد تضل فيه القطا فانه اذا جاء بالالف واللام معناه الزمان الذى قبل زمانك دون تعيين يوم قريب او بعيد، واما امس بدون الالف واللام فمعناه نهار اليوم الذى قبل يومك، اما الليلة التى قبل يومك فتسمى البارحة واكثر الكتاب لا يميزون بين أمس والبارحة فيظنونهما سواء قال سليمان بن عمر الملقب بالجمل فى حاشيته على تفسير الجلالين عند قوله تعالى (رقم 24 من سورة يونس: «فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس» ما نصه قوله بالامس المراد به الزمن الماضي لا خصوص اليوم الذى قبل يومك، واما امس الذى هو اسم لنهار اليوم الذى قبل يومك الذى انت فيه ففيه لغتان للعرب لغة الحجاز ولغة تميم ؛ اما اهل الحجاز فهو مبني عندهم على الكسر فى حال الرفع والنصب والجر تقول مضى أمس بكسر السين فهو فاعل مبني على الكسر في محل رفع وتقول فى النصب فعلت ذلك أمس فامس ظرف مبني على الكسر فى محل نصب وتقول ما رايته مذ امس فمذ حرف جر وامس مبني على الكسر فى محل جر وفى كل هذه الاحوال تكسر السين من امس بدون تنوين . اما لغة تميم فانهم يجرونه على اعراب ما لا ينصرف تقول على لغتهم مضى امس بالرفع بدون تنوين فامس فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة فى آخره وتقول فى النصب فعلت ذلك امس بدون تنوين فامس ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة فى آخره وتقول فى حال الجر ما رايته منذ امس فمذ حرف جر وامس مجرور وعلامة جره الفتحة الظاهرة فى آخره لانه اسم لا ينصرف وعلى هذه اللغة قول الشاعر :

لقد رايت عجبا مذ امسا
عجائزا مثل السعالي خمسا

ياكلن ما فى رحلهن همسا
لا ترك الله لهن ضرسا

فقوله مذ امس الالف زائدة لاطلاق القافية وامس مجرور وعلامة جره الفتحة النائبة عن الكسرة لانه اسم لا ينصرف ، والسعالي جمع سعلاة قال صاحب القاموس السعلاة والسعلاء بكسر السين فيهما الغول او ساحرة الجن وتشبه المراة العجوز عند ارادة ذمها بالسعلاء قال الشاعر :

يا قبح الله بني السعلاة
زيد ابن عمرو من شرار النات

قاله يهجو بني زيد بن عمرو وشبه امهم العجوز بالسعلاة وقوله فى آخر البيت من شرار النات يعني من شرار الناس بابدال السين تاء وقال ابو حيان فى تفسيره المسمى بالبحر المجلد الخامس صفحة 144 فى تفسير الآية المتقدمة ما نصه وقوله « كان لم تغن بالامس» مبالغة فى التلف والهلاك حتى كانها لم توجد قبل ولم يقم بالارض بهجة خضرة نضرة تسر اهلها وهو من غني بكذا اقام به ، قال الزمخشري ـ والامس مثل فى الوقت كانه قيل كان لم تغن آنفا اهـ وليس الامس عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مرادف لقوله آنفا لان آنفا معناه الساعة والمعنى كان لم يكن لها وجود فيما مضى من الزمان ، انتهى كلام ابي حيان وهو واضح فى ان الامس تدل على الزمان الماضي قبل النطق بها من غير تعيين ليوم بعينه وقد خطا ابو حيان الزمخشري فى التعبير عن ذلك الوقت الماضي بقوله آنفا لان معنى آنفا وقت قريب جدا من وقت النطق فلذلك عبروا عنه بالساعة اي فى هذه الساعة وهذا اللفظ بمعناه الذى اشار اليه ابو حيان موجود فى سورة القتال رقم 16 قال تعالى « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا »

معناه ومن المنافقين من يستمع اليك يا محمد وانت تحدث الناس حتى اذا خرجوا من عندك قال المنافقون للمؤمنين الذين اتاهم الله العلم بكتابه وسنة رسوله ماذا قال محمد آنفا اي فى هذه الساعة

حين كنا عنده . ولقد صدق أبو حيان فى تخطئة الزمخشري فان الامس تدل على وقتا من الزمان الماضي غير معين ، وقال الامام بن جرير الطبري ق تفسير الجزء الحادي عشر الصفحة 72 ما نصه قوله: «اتاها امرنا ليلا او نهارا» يقول جاء الارض امرنا يعني قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات اما ليلا واما نهارا فجعلناها يقول فجعلنا ما عليها حصيدا يعني مقطوعا مقلوعا من اصوله وانما هي محصودة صرفت الى حصيد كان لم تغن بالامس يقول كان لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الارض ثابتة قائمة على الارض قبل ذلك بالامس واصلـه من غنى (بكسر النون) فلان بمكان كذا يغنى (بفتح النون) به اذا اقام به كما قال النابغة الذبياني :

غنيت بذلك اذ هم لي جيرة
منها بعطف رسالة وتودد

يقول فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها ويهلكها كم اهلك امرنا وقضاؤنا نبات هذه الارض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت كان لم تغن بالامس كان لم يكن قبل ذلك نبات على ظهرها ، انتهى كلام ابن جرير ، وعبارة البغوي والخازن موافقة لما نقلنا عن الامام بن جرير ثم تأملت كلام النسفي فى تفسيره فوجدته قد اقتدى بالزمخشري فاخذ كلامه بلفظه وقد رايت ما رد به ابو حيان عليه وقال صاحب المصباح فى (امس) اسم علم على اليوم الذى قبل يومك ويستعمل فيما قبله مجازا وهو مبني على الكسر وبنو تميم تعربه اعراب ما لا ينصرف فتقول ذهب امس بما فيه بالرفع . قال الشاعر :

لقد رايت عجبا مذ امسا
عجائزا مثل السعالي خمسا

انتهى كلام المصباح

وقال ابن هشام فى القطر ص (20) واما امس اذا اردت به اليوم الذى قبل يومك فاهل الحجاز يبنونه على الكسر فيقولون مضى امس واعتكفت امس وما رايته مذ امس بالكسر فى الاحوال الثلاثة :

قال الشاعر :

منع البقاء تقلب الشمس
وطلوعها من حيث لا تمسي

وطلوعها حمراء صافية
وغروبها صفراء كالورس

اليوم اعلم ما يجيء به
ومضى بفصل قضائه امس

انتهى كلام ابن هشام

ثم ذكر بعد ما نقلت عنه ما تقدم فى كلام المصباح ان بني تميم يعربونها اعراب ما لا ينصرف الا انه ذكر تفصيلا فى ذلك لم ار نقله فراجعه ان شئت ، وقد يدخل الالف واللام على امس الذي يراد به نهار اليوم الذى قبل يومك الذى انت فيه لضرورة الشعر ..

قال زهير بن ابي سلمى فى معلقته :

واعلم ما فى اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما فى غد عم

ومن استعمال الامس بمعنى الزمان الماضي قول بعض المحدثين

ان الوجوه التى قد كنت تعرفها
بالامس كانوا هنا واليوم قد رحلوا

يعني ان الاحبة كانوا هنا فيما مضى من الزمان واليوم لا يجدون . وخير ما يحتج به فى هذا المقام قول الله تعالى المتقدم ذكره فى سورة يونس « فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس » ولا يصح بوجه ان يراد به كان لم تكن قبل يوم واحد كما رايت نصوص الائمة فى ذلك اذا تقرر هذا فاعلم ان صاحب لسان العرب وصاحب القاموس ذكرا كلاما مفصلا فى احكام (امس) اللفظية ولم يحققا معناه اذا كان بالالف واللام واذا كان بدونهما. واذا اريد بامس يوم من الايام الماضية فانه يعرب وينون تقول لم يقع ذلك فى اي امس من الاموس اي لم يقع هذا الامر فى اي يوم من الايام الماضية .

ومن ذلك تعلم ان امس اذا كان نكرة يجمع على اموس فى جمع الكثرة وامس بضم الميم كفلس وافلس فى جمع القلة ويظهر لي ان اداة التعريف تدخل على امس النكرة ولا تدخل على امس اذا كان معرفة الا لضرورة الشعر كما تقدم مثاله .

رقم 58 ــ ومن ذلك قولهم فى الشيء الذى هو فى غاية الكمال او الجمال **(ممتاز)** وهو ماخوذ

من اللغة الاجنبية لان العرب لا تقول في الاستحسان والتفوق (ممتاز) بل تقول حسن ، جميل جدا . فائق . بلغ الغاية في الكمال ، ونحو ذلك . اما الممتاز فهو الذي يتميز عن غيره قال تعالى في سورة يس رقم 59 (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) جاء في تفسير الجلالين في هذه الآية ما نصه (سلام قولا من رب رحيم) سلام مبتدا قولا اي بالقول خبره من رب رحيم بهم اي يقول لهم سلام عليكم (و) يقول (امتازوا اليوم ايها المجرمون) اي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم ا هـ. قال محمد تقي الدين : في اعراب قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) وجوه :

احدها ما ذكره واحسن منه ان يقال سلام مبتدا وسوغ الابتداء بالنكرة امور منها العموم وقولا مفعول مطلق لفعل مقدر تقديره سلام يقال لهم قولا والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدا اما المعنى فهو ان الله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين السعداء سلام عليكم تكريما لهم وهم في دار كرامته ويقال للمجرمين الكافرين والمنافقين امتازوا اليوم ايها المجرمون انفردوا وتميزوا عن المؤمنين لتنالوا العذاب المهين. فالمجرمون ممتازون عن المؤمنين وليس ذلك من المدح في شيء فقد يتميز الانسان او الشيء عن غيره بالحسن او القبح او السعادة او الشقاء فاطلاق ممتاز للاستحسان من غزو اللغات الاوروبية للغة القرآن نسال الله ان ياخذ بيدها ويرد لها شبابها وجمالها وقال صاحب القاموس وتميز القوم وامتازوا صاروا في ناحية. وفي التنزيل العزيز : (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) اي تميزوا وقيل انفردوا عن المؤمنين .

رقم 59 — ومن الاخطاء الشائعة عند المذيعين والمعلمين الا قليلا منهم كسر الجيم من **جده** وهي بضم الجيم مدينة معروفة على ساحل البحر الاحمر وهي فرضة مكة شرفها الله. قال صاحب القاموس والجد بالضم ساحل البحر بمكة كالجدة وجدة موضع بعينه عنه اهـ. نفهم منه ان الجد بضم الجيم والجدة بالضم ايضا اسم لساحل البحر بقرب مكة وجدة موضع بعينه من ذلك الساحل . وهذه قال محمد تقي الدين وهذه الكلمة من مثلثات اللغة العربية التي هي بحر زاخر بالالفاظ والمعاني والمراد بالكلمة المثلثة هي التي يتغير معناها بتغير حركة الحرف الاول منها فيكون لها اذا فتح الحرف الاول فيها معنى واذا ضم يكون لها معنى ثان واذا كسر يكون لها معنى ثالث فالجدة بفتح الجيم ام الاب وام الام والجدة بضم الجيم ساحل البحر بقرب مكة والجدة بكسر الجيم ضد البلى والقدم وفي لغة القرآن من هذه المثلثات شيء كثير خصه بالتاليف امام النحو قطرب تنظم قصيدة ضمنها كثيرا من المثلثات منها قوله :

الغمر ماء غزرا
والغمر حقد سترا

والغمر ذو جهل سرى
من عجم او عرب

افاد بذلك ان الغمر بفتح الغين هو الماء الكثير والغمر بكسرها هو الحقد الكامن في الصدر والغمر بضم لغين هو الجاهل الذي لا يميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل ، وهكذا كل ابيات هذه القصيدة ويوجد كتاب اوسع من ذلك واشمل للمثلثات وهو مثلثات العرب لبعض المتاخرين واسمه حسن قويدر .

والى الجزء التالي بحول الله وقوته .

المدينة النبوية — الدكتور محمد تقي الدين الهلالي



يلفت الامام العلامة ابن الجوزي نظر الباحثين فى تاريخ الفكر الاسلامي من بين عشرات الاعلام بطابع خاص وميسم واضح يتميز به ، بين اترابه من المفكرين والعلماء ، فهو على الاعم الاشمل واحد من العلماء الذين عرفوا بالجمع بين قدرتين قلما تجتمعان الا للقليل من الافذاذ ، هما قدرة الخطابة وقدرة الكتابة مع التبريز فيهما معا، فلقد كان ابن الجوزي يتكلم فى المئات من الناس مجتمعين فى المساجد او فى الندوات فيهز نفوسهم ويبهرهم ويحرك عواطفهم ، ويأخذ بالبابهم على نحو مثير عاصف ترك لنا بعض من شاهدوه وحضروه وصفا له يفوق الوصف . ولكنه الى ذلك مؤلف يجمع بين الاستيعاب والتخصص ، كأنما يغترف من بحر ، وقد وضحت فيه تلك الخاصية القوية : «خاصية» انتزاع موضوع بعينه من خلال التراث الاسلامي ثم متابعة ما جاء حوله من نصوص واخبار ثم تسوية ذلك كله على نمط عال من الدقة والاحاطة ، واخراجه فى قالب فني رفيع ، كذلك فعل فى كتبه : الاذكياء، المغفلون ، اخبار النساء ، صيد الخاطر ، ذم الهوى .. الخ .

كما عني بالترجمة للاعلام على نحو مستفيض وقد اولى اهتمامه علمين من ابرز اعلام الاسلام هما : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وما يزال كتابيه فيهما من اهم المراجع للباحثين عن الرجلين العظيمين .

واذا كان المؤرخون قد حرصوا على ان يقفوا بابن الجوزي عن جانب واحد من جوانبه العديدة وهو (الوعظ) وفرضوا له ذلك الاطار المحدود من « الكلمة المقولة » ، فان آثاره العديدة ومؤلفاته الوافرة والتى بلغ بها البعض بضع مئات واشار هو فى بعض ما اثر عنه من نصوص الى انها فى حدود المائة . ـ هذه المؤلفات والآثار تستطيع ان تصحح هذه الصورة التى فرضت على ابن الجوزي، وتستطيع ان تضعه فى مكانه الحق من تاريخ الفكر الاسلامي ، فقد الف هذا العلامة الكبير فى مختلف الفنون العالية التى عرفها المسلمون وهي فنون : تفسير القرآن والفقه والتاريخ واللغة .

وحين نستعرض مؤلفاته فى هذه المجالات المختلفة نكشف عن عالم انفق ايامه ولياليه فى البحث والمراجعة واستصفى اوقاته وساعات حياته فى سبيل تحرير قضايا الفكر الاسلامي والكشف عن ذلك الفيض الفاخر من تراث الاسلام الدائر حول (القرآن الكريم) وعلومه .

واعظم هذه الآثار وان لم يصل الينا التفسير الكبير فى عشرين مجلدا ، والتاريخ فى عشرين مجلدا ، وتهذيب المسند فى عشرين مجلدا .

فاذا أضفنا الى ذلك هذا الثبت الطويل من المؤلفات مما اورده المترجمون له وان لم يطبع من كتبه غير عدد قليل وجدنا اننا ازاء حصيلة ضخمة من الانتاج الفاخر .

* * *

غير ان الحديث عن « ابن الجوزي » المؤلف ، والخطيب (ولا اقول الواعظ) لا يستوفي تقييم هذه الشخصية البارزة الا اذا كشف عن طابعها العام واتجاهها الخاص ومدى فهمها لتحديات عصرها والاخطار التى كانت تواجه الاسلام فى هذه المرحلة

التي عاشها فاي الرجال هو في مثل هذه المواقف الخطيرة !..

هنا يجيء مكان (ابن الجوزي) الحق ، ودوره الضخم في تصحيح المفاهيم ، ويكشف عن ذلك كتابه: (نقد العلم والعلماء) او (تلبيس ابليس) ، الذي يرقى به الى مكان قلة من النوابغ الذين حرروا مفاهيم الاسلام من الزيوف التي ادخلتها عليهم الفلسفات الوثنية من هيلينية اغريقية ومن مجوسية فارسية ، مما افتراه الباطنيون واخوان الصفا وغيرهم وحاولوا به افساد القيم الاسلامية الخالصة المستمدة من القرآن وفرض مفاهيم زائفة عليها بغية اخراجها من اصولها واغراقها في طوفان التحريف والتبعية والغزو الثقافي واسلالها الى الشعوبية البغيضة .

ذلك هو الدور الحق الذي قام به (العلامة ابن الجوزي) في كتابه « نقد العلم والعلماء » الذي يعد معلما هاما من معالم تحرير الفكر الاسلامي وتصحيح مفاهيمه ، ويضع صاحبه في صف : ابن حزم والغزالي وابن تيمية وابن القيم ، هؤلاء المحررون البارزون الذين خلصوا الفكر الاسلامي من محاولات تزييفه واخراجه من مقوماته الاساسية واهمها « التوحيد » وفي كتابه هذا يتعرض الباحث لعشرات من القضايا التي كانت مبثوثة في عصره ، فيقول فيها كلمة الحق ويكشف عن الاخطار البالغة التي تحيط بالعلماء والولاة والسلاطين والعباد والزهاد والصوفية .

ويستعرض في افاضة المستوعب ، وايمان السلفي ، وبراعة المجادل كل ما كان يزخر به عصره وجيله وبيئته من شبهات خطيرة جليتها الفلسفات والوثنيات ويتعرض لآراء ارسطو والسوفسطائيين ومن تابعهم ، في مسائل التوحيد والنبوة ويعرض لاخطاء اليهود والنصارى ويكشف عن اوهام المعتزلة والصوفية جميعا فلا يدع شبهة او خطأ الا عرض له ودفعه وكشف عن وجه الخطأ فيه ووضع الحق موضع الباطل .

ولم يقف عمله عند هذا الحد ، بل انه حين الف كتابه الضخم في التاريخ (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) عرض في الجزء السادس منه لابن الراوندي واورد سيرته وكشف عن فساد آرائه ، واشار الى مواطن الضعف في حياته وشخصيته ، وتعرض لمؤلفاته ولم يمنعه ان جاء كتابه مترجما للشخصيات البارزة في الاسلام من ان يعرض لمثل هذا الملحد وقد استطار امره وعظم خطره ، وعلى هذه المادة التي قدمها ابن الجوزي اعتمد كل من جاء بعده وخاصة العلامتين : الخياط والجفائي في كتابهما الانتصار وقد كان هذا الفصل المطول عن ابن الراوندي هو مرجع المتاخرين ايضا ، فقد اعتمد عليه عبد الرحمن بدوي في كتابه (من تاريخ الالحاد في الاسلام) في مجال الحديث عن ابن الراوندي باعتباره من اهم المصادر التي رد على كتبه ودحضت مفترياته. وقد شهد الباحثون لابن الجوزي بأن كتابه المنتظم كان مصدرا مهما في الرد على ابن الراوندي وكتابه الزمرد .

هذا هو الجانب القوي في فكر العلامة ابن الجوزي وحياته ، جانب مواجهة تحديات عصره ، والاخطار التي حاقت بالاسلام في جيله ، فقد تصدى لذلك في يقظة وقوة وهاجم الخارجين عليه سواء من خصومه الباطنية والشعوبية ام من اهله الذين لم يفهموه حق الفهم ، وهو في نفس الوقت الذي هاجم فيه جمود الفقهاء ، هاجم جبرية المتصوفة ، كما هاجم دعاة النزعات الفلسفية الوثنية وهو في هذا على نفس الطريق الذي سلكه ابن حزم والغزالي من قبله ، والذي سلكه ابن تيمة وابن قيم الجوزية وغيرهم من بعده .

* * *

وقد لقيت كتابات (ابن الجوزي) اهتماما واضحا في الادب العربي الحديث والمعاصر ، فقد تناوله كثير من الباحثين وعرض لمؤلفاته بعض الكتاب، وقد جاء ذلك في ظل اليقظة التي احاطت بحركة التراث وكشفت عن كثير من مؤلفاته ، واهمها نقد العلم والعلماء الذي صححه وقيد حواشيه الشيخ محمد منير الدمشقي ، وكتابه صيد الخاطر الذي حققه الاستاذ محمد الغزالي وكتابه ذم الهوى الذي حققه الدكتور مصطفى عبد الواحد .

كما عرض المرحوم الاستاذ احمد بن شاكر لكتابه (التحقيق في احاديث الخلاف (1)) وقال انه كتاب نفيس ومن اهم الكتب التي الفت في مسائل الاختلاف بين المذاهب لانه اقتصر فيها على المواضع

(1) مجلة الزهراء المجلد الرابع سنة 1928

التي كانت بين الائمة الاربعة من اختلاف وترك ما اتفقوا عليه .

واشار الاستاذ محمد كرد علي في مجلة المقتبس (2) الى كتابه (المدهش) فقال انه في مجلدين ومنه نسخة في خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني الجزائري من فضلاء دمشق واشرافها ولا نعرف له ثانية ومكتوب بخط شرقي مشكول . واشار الى انه مقسم الى خمسة ابواب :

1 ــ في علوم القرآن وبيانه .
2 ــ تعريف اللغة وموافقة القرآن لها
3 ــ علوم الحديث
4 ــ عيون التاريخ
5 ــ ذكر المواعظ .

وقد اشار المقتبس (3) الى كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز الذي صححه ووقف على طبعه السيد محب الدين الخطيب في مطبعة المؤيد 1331 والحق به فهارس بالاماكن والرجال .

كما عرض الاستاذ عبد العزيز الميمني لكتاب مناقب بغداد الذي حققه الاستاذ محمد بهجت فشك في انه لابن الجوزي ونسب الكتاب الى حفيده (4)

كما عرضت مجلة المجمع العلمي العربي (5) لكتابه (اخبار الحمقى والمغفلين) فقال الاستاذ محمد كرد علي : لابي الفرج زهاء مائة مصنف في القرآن والفقه والحديث والطب والتاريخ والسير والتراجم والجغرافية والوعظ والتصوف واللغة ومن جملة تآليفه كتاب الاذكياء المطبوع وكتاب اخبار الحمقى والمغفلين .

وعرض الاستاذ كرد علي نماذج من كتاب اخبار الحمقى ثم جاء الاستاذ ناجي الطنطاوي عام 1929 فعقد فصولا في مجلة الثقافة التي تصدر في القاهرة لخص فيها كتاب الظراف والمتماجنين (طبعة دمشق 1248 هـ) .

كما سجل السيد رشيد رضا في مجلة المنار (6) ما اورده ابن جبير الرحالة الاندلسي عن لقائه بابن الجوزي .

* * *

اما تاريخ ابن الجوزي فقد عرض له عديد من الباحثين واهم ما جاء به ورد في شذرات الذهب ووفيات الاعيان وتذكره الحفاظ وهو ما اعتمد عليه المؤرخون المعاصرون (وخاصة الاستاذ الغزالي والدكتور مصطفى عبد الواحد)

غير ان ابن الجوزي قد كان موضع الاشارة في عديد من المؤلفات القديمة مثل : ذيل طبقات الحنابلة والكامل لابن الاثير وكشف الظنون ومفتاح السعادة والنجوم الزاهرة وطبقات المفسرين

اما في المؤلفات الحديثة فقد ذكرته مؤلفات : المجددون في الاسلام والنثر الفني وظهر الاسلام ومعجم الاطباء والاعلام ومعجم المؤلفين وقد اجمعت كلها تقريبا على انه ولد ببغداد عام 510 تقريبا وتوفي بها عام 597 هـ ووصفته بانه محدث فقيه مفسر حافظ واعظ اديب مؤرخ مشارك في انواع اخرى من العلوم

فهو : « ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ، ابن حمادى ابن احمد بن محمد بن جعفر الجوزي (7) القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي »

مات ابوه وله ثلاث سنين وكفلته عمته التي حملته الى ابي الفضل بن ناصر وهو خاله فاعتنى به واسمعه الحديث وحفظ القرآن ونظر في جميع الفنون وتفتح للكتابة والبحث فشق طريقه في مجال العلم حتى اوفى على الغاية. وقد اتيح له من راحة البال ولطف المزاج وكمال الصحة ما اعانه على العمل والانتاج ، وقد عاش حتى نيف على التسعين حياة خصبة انفقها بين محابر الكتابة ومنابر الخطابة حتى

---

(2) مجلة المقتبس المجلد السادس سنة 1911
(3) مجلد 8 سنة 1913
(4) مجلد 8 سنة 1928 مجلة المجمع العلمي العربي
(5) مجلد 1926 (دمشق)
(6) المجلد العاشر
(7) الجوزي نسبة الى فرضة الجوز كما يقول ابن خلكان او محلة الجوز بالبصرة كما قال ابن العماد

رويت عنه في المجالين من المبالغات ما يدهش ويثير ، فقال عنه ابن العماد الحنبلي انه كان يكتب في اليوم اربع كراريس ويرتفع له في كل سنة من كتابته ما بين خمسين الى ستين ، وقال العلمي في طبقاته ان مجلسه في الوعظ كان يحضره عشرة آلاف او خمسة عشر الفا ، وانه تاب على يديه مائة الف واسلم عشرون الفا من اليهود والنصارى ، وقال ابن خلكان انه جمعت براية اقلامه التي كتب بها حديث رسول الله فحصل منها على شيء كثير واوصى بان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك .

وهذه الروايات على ما بها من مبالغة تشير الى معنى صحيح لا ريب فيه هو عظمة هذه الشخصية واتساع آفاقها وعمق اتصالها بأداة العلم وتجرده للدرس والبحث .

* * *

وقد اثر عن ابن الجوزي آثار تشكل مطالع حياته حيث يقول :

« ركز في طبعي حب العلم وما زال يوقعني على المهم فالمهم ويحملني الى من يحملني على الاصوب حتى قوم اموي ..

وكنت في زمان الصبا آخذ معي ارغفة يابسة فاخرج في طلب الحديث واقعد على نهر عيسى فلا اقدر على اكلها الا عند الماء ، فكلما اكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لا ترى الا لذة تحصيل العلم فاثر ذلك عندي اني عرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله واحواله وآدابه واحوال الصحابة وتابعيهم .

ويقول اني رجل حبب الي العلم منذ زمن الطفولة فتشاغلت به ثم لم يحبب الي فن واحد منه بل فنونه كلها ثم لا تقتصر همتي على فن على بعضه بل اروم استقصاءه وما تلته من معرفة العلم لا يقاوم »

وترسم وصيته لابنه طرفا من شمائله ووجهته النفسية والاجتماعية حيث يقول له : كفيتك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف فعليك بالحفظ ، وانما الحفظ راس مال والتصرف ربح واصدق في الحالين من الالتجاء الى الحق سبحانه فراع حدوده، واياك ان تقف مع صورة العلم دون العمل به فان الداخلين على الامراء والمقبلين على أهل الدنيا قد اعرضوا عن العمل بالعلم فمنعوا البركة والنفع به واياك ان تتشاغل بالتعبد من غير علم فان خلقا كثيرا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى اذ عملوا بغير علم .

ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر فلا تعظن الا بنية ولا تمشي الا بنية ولا تأكلن لقمة الا بنية ومع مطالعة اخلاق السلف ينكشف لك الامر » .

* * *

وتعطي طوابع حياة ابن الجوزي صورة العالم المؤمن بمسؤوليته تجاه الامانة الموكل بها وموقفه من الحكام واعراضه عنهم يعطي صورة الاعتصام بالحق وقد اشار في بعض كتاباته الى ان الظروف فرضت عليه الاتصال ببعض الامراء فكان لذلك اثره في تصرفاته وانبساطه فيما يباح وقد احسن بنتيجة ذلك حيث يقول « فانعدم ما كنت اجد من استنارة وسكينة وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان عدم النور كله » ولم يعد الى طبيعته الا حين تخلص من هذه العلاقات ..

* * *

وقد وصف اسلوب ابن الجوزي بالاداء المرسل حيث استطاع ان يجاوز ما في عصره من اسباب السجع والزخرف ، واجاد دراسات اللغة فكان له فيها (تذكرة الاريب ، والوجوه والنظائر ، وتقويم اللسان، والمقيم والمقعد في دقائق العربية) وذلك بالاضافة الى اجادته في مجال التفسير والفقه والتاريخ .

وقد اوتي الى ملكة الكتابة واصالة الاسلوب ملكة الكلام وحضور البديهة وبراعة المخاطبة للجماهير، وقد وصفه ابن جبير في رحلته الشهيرة فقال :

ثم شاهدنا مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي بازاء داره على الشط الشرقي (من بغداد) وهو يجالس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، آية الزمان وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، امام الجماعة، فارس حلبة هذه الصناعة والمشهود له بالسبق

والبراعة ، مالك ازمة الكلام في النظم والنثر الغائص في بحر فكره على نفائس الدر » الخ . .

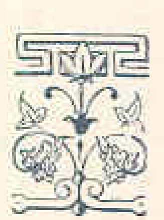
فالعلامة الامام ابن الجوزي مقدور القدر في كلا المجالين ، يعجب به سامعوه في مجالسه ويقدره قارئوه في مؤلفاته ، فقد اوتي التبريز في مجال الكلمة المقولة والكلمة المكتوبة وقد عرف طريقه الى النفس العربية، وكان قادرا على مواجهة الجماهير والباحثين على السواء .

وقد كان في كل آثاره جامعا للنصوص ومحققا وموجها ومحررا للفكر الاسلامي وهو بالجملة يجري الى امرين هامين يمكن ان يقال انها هدف اغلب مؤلفاته :

الاولى : تقريب الآثار والاخبار والنصوص الدائرة حول فكرة واحدة او موضوع واحد بحيث يكون تشكيلها وحده واحدة عميقة الاثر في نفس القارىء والاديب محققا لهدفه الاصيل في التوجيه والاصلاح وبناء الشخصية الانسانية الاسلامية على أعلى صورها من الكمال والنزاهة .

الثانية : التحقيق المستوعب والتحرير الصادق للنصوص والاحاديث وتخليصها من الشبهات والاضافات والزيوف والاكاذيب وذلك ضمن خطته في مقاومة اخطار الغزو الثقافي ومعارضة السجع والزخرف وتوثيق الاسانيد على نحو علمي واضح .

القاهرة ــ انور الجندي





.. محمد بن ابي العلى بن محمد بن سماك العاملي ، اديب اندلسي مشهور ، كان كاتبا لامير المؤمنين ابي عبد الله محمد بن الاحمر الخزرجي النصري .

وقد ترجم له ابن الخطيب فى الكتيبة الكامنة فى اعيان المئة الثامنة ، وقال عنه فاضل نجيب ، وللدواعي المجادة والاجادة مجيب ، ونوارة مرعى خصيب ، وفائز بسهام ادراك بنصيب ، خصاله بارعة ونصاله شارعة ، وشمائله الى نداء الفضل مسارعة ، على حداثة ينفر معها الكمال ، وتستظرف الاعمال ، فان انفسح مداه ، بلغت السماك الاعزل يداه) .

كان والده اديبا مشهورا ، قال عنه ابن الخطيب : (مجموعة خصل ، وفرع نشا عن اصل ، ومشبح ينصل فى يوم فصل ، كتب مع الجلة ، وشاركهم فى اقتراع الهضبة وانشد الشعر ، فأجرى بفير الجلاء ، وجعل دلوه فى الدلاء ، فمن شعره يمدح السلطان ويذكر الواقعة البحرية بالروم :

فتح قضاه الملك الرحمن
لم تات قط بمثله الا زمان

فلاي يوم سعادة اولاكه
ذلت بعزة نصره الصلبان

بشرى كما قفم العبير لناشق
وافتر عن ازهاره البستان

ومن شعره :

بشرى بها صبح الهداية مسفر
بشرى بها ليل الضلالة مدبر

وجده ابو جعفر ابن القاضي ابو محمد عبد الحق بن سماك لقيه ابو الحسن الرئيس المولود سنة 592 والمتوفى سنة 66 بغرناطة وجالسه كثيرا وقال عنه فى برنامج شيوخه ، وكان فقيها صالحا من اهل العفاف والديانة والنزاهة وعندما توفي اوصى ان يدفن بقبره ما يملأ عدليه من بطائق مكتوب عليها (البسملة والتصلية) مما كان يقطعه من العقود ويمسكه .

وكان اخذ عن الامام السهيلي كما فى برنامج الرعيني (1)

شعره :

كان محمد ابن ابي العلى من شعراء الدولة النصرية ويروي له ابن الخطيب قصيدة من لزوم ما لا يلزم قال عنها « وقد كلف الكتاب بلزوم ، وشد جبر حيزوم ، حسبما تكرر فى اسماء نظرائه ، ما

(1) ص 149 نشر المطبعة الهاشمية : تحقيق ابراهيم شبوح .

يغني عن اطرائه وهاته القصيدة التي رواها ابن الخطيب (2) هي :

دعها تحن الى السقيا ظواميها
ان السرى عن جمام الحي يحييها

محليات وورد الماء من كثب
وواردات وبرح الشوق يظميها

ومحلات ولو تهدي مداشرها
لاستمطرت من سحاب الدمع هاميها

هلا حسين دموعي من مواردها
فكن يحسين من آمال ظاميها

هن القسي ضمورا بين ارجلها
مثل السهام وأيدي العزم ترميها

قد شاقها بعد خمس وهي خالصة
ري ومرعى تناءى عن مراميها

فاستتبعت كنجوم الرمي مرسلة
يقفو عراقيها آثار شاميها

يبدو ويخفى لرؤيا العين ماثلها
والدهر يخفضها والوجد يسميها

سفائن فى بحار الآل خائضة
تكاد تغرقها منها طواميها

دام المسير بها يدمي مناسمها
فاقتص فوق الثرى آثار داميها

كأن آثارها فى كل مجمنة
كوشي راح تمليها دواميها

رحمى لاهل الهوى كانت قلوبهم
تصح لولا سهام البين تصميها

هذا وان حلال السحر فى كلم
هن الدراري وباسم الدر نسميها

انوار علم بقوت الفكر مدركها
ان ابصرتها عيون الشهب تعميها

من علية فى سماء المجد طالعة
من للكواكب علوا ان تساميها

تظل الدلس تزري بمنشئها
على العراق وناشيها وناميها

قد كنت اوسعها حمدا واشكرها
وانما العجز قد اعيا مراميها

لكن اذا نسبت لابن الخطيب فقد
كفاني العجز منها ان اسميها

يا اوحدا قد سمى فى الفخر مرقبه
فالشهب ينحط عنه قدر ساميها

ابناء حام وسام انت سيدها
يوم الفخار وساميها وحاميها

حطت ذمار دمار المسلمين فما
تنفك طوع مراضي الله تحميها

وقل ما ضل يوم الروع اسرتها
الا وهديك هدى الله يتهيها

لا زلت ذا صولة مهما رميت بها
مرام روم فان الله راميها (3)

تآليفه :

من كتب ابن السماك التى وصلت الينا : كتاب الدر الثمين فى مناهج الملوك والسلاطين ، تحدث فيه كواعظ ومؤرخ عن سيرة الخلفاء والامراء .

(وكتاب الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة) (4) وهو مجموعة من النوادر الرائعة والحكم الممتعة التى وردت على السنة الامراء والوزراء والحجاب ؛ وقد بلغت الى مائة زهرة .

ويظهر أن شفقة الكتاب فى عصر بني الاحمر على امرائهم وخوفهم من ان يضعفوا او يركنوا الى الخمول والدعة او الى التنافس والمؤامرات فى هذه الحقبة المريرة من تاريخ الاندلس جعلهم ذلك يكتبون فى هذه الموضوعات التى تتضمن اخبار من سبقهم من الملوك والامراء امعانا فى النصح واخلاصا فى الدعوة الى التمسك بالجادة حتى لا تعصف الشهوات بما علق عليهم من الآمال .

---

(3) الكتيبة الكامنة

(4) المقري يسميه فى نفح الطيب بالازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة ؛ نفح الطيب ج (1) نقل من الزهرات : 29 ـ 30 ـ 34 ـ 46 ـ 47 اي المتعلقات باخبار المنصور ابن أبي عامر

نموذج من الكتاب :

مقدمة المؤلف

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، المالك لما دار في الارض والسماء ، الحي القيوم المبدىء المعيد ، المنفرد في ملكه بالحكم والتدبير ، والمتعالي عن اتخاذ الصاحبة والولد والنظير ، فالاوهام تعجز عن تصويره والاذهان تكل عن التحديد ، الذى جعل هذه الامة المحمدية خير امة اخرجت للناس ، وفضلها على كثير من الامم المختلفة الالسنة والاجناس ، بشهادتي الرسالة والتوحيد ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذى بعثه فى الاميين رسولا من انفسهم ، واصطفاه في نخبة العرب من انفسهم ، وانزل عليه محكم وحيه الكريم ، وقرآنه المجيد ، وامده بالملائكة المسومين فما خالفه فيه الا كان غالبها ، وزويت له الارض فرآى مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها من الداني والبعيد ، به جمع الكلمة وكانت بددا ، ونسخ الضلالة بالهدى ، وفرق بين المخالف والمخالف بالوعد والوعيد ، والرضى عن آله وصحبه الباذلين مهجهم في قتال الطوائف الباغية ، وجهاد الامم العاتية ، ذات العدة والعديد ، حتى انقادت الخلائق ، واستقامت الطرائق ، وطاع كل جبار عنيد ، فما درجوا للدار الآخرة ، بما اسلفوه من الهمم الفاخرة ، الا وقواعد الايمان قد اقروا قرارها على مبنى وثيق التشييد . والدعاء لهذا المقام العلي الاسمى ، ذي الملك الاعز والسلطان الاحمى ، سليل الخلفاء الخزرجيين والملوك الصيد ، بعلة العز والظهور ، وصلاح كافة الامور ، ودوام النصر والتاييد ، وقرة العين في الاهل والملك ، ومن ينتظم في هذا السلك من ولد وحفيد . اما بعد فان في الاطلاع على اخبار المتقدمين ، ومن سلف من خيار المسلمين ، واستجلابا لحصول الانس ، لما يتخلل ذلك من نوادر الاخبار ، ويفيد من الواعظ والاعتبار ، ولما يشتمل عليه من ضروب الفوائد ، ويوقظ اليه من الهداية الى جميل السير وكريم المحامد ، لاسيما اخبار الملوك والامراء ، والحجاب والوزراء ، فباخبارهم تعمر مجالس الاشراف ، وللنفوس الى تعرفها تطلع واستشراف ، ولهممهم عنها سؤالات ومباحث ، واستشهاد بما جرت به الكوائن والحوادث ، فسير الكبار والاجواد ، يميل الى تعرفها كل فؤاد ، ويتشوف منها على تباين السجايا وتفاوت الهمم ، وتنبي عما صدر من تصرف كثير من الامم ، فجمعت في هذا المرسوم من نكت اخبارهم الغريبة ، ونوادرهم العجيبة وتوقيعاتهم المختصرة القريبة ، ما ربما يستحسن مسموعه ، ويندر في كل كتاب وقوعه ، اضفت كل شكل منها الى شكله وضممت الفرع الى اصله ، ضمنته منها كل حكاية لطيفة ، وحليته بكل طريفة ، فاجتمع منها زهرات يانعة ، لفنون الاخبار جامعة بديعة الوضع مجتنبة من الطول ، فيها استبصار لارباب العقول فمتامله يشرف منه على روض دوحه العلم والمعارف ، وزهره تعرف مناقب الاجواد وسير الخلائف ، ولمرته الانس الباعث للاهتداء بهدي السلف السالف ، ولما كاد الفعل للوجود يبرزه وجب ان يرسم بسمة تختص به وتميزه ، فسميته بكتاب الزهرات المنثورة ، في نكت الاخبار المأثورة اسم طابق لفظه معناه ، وزهر يتشوف الى جناه ، بلغت في الاحصاء الى مائة زهرة ، هي عنوان على غرر السير وطره ، وعلى اي حال كان ، فانما يشرفه شرف من له جمع ، والى خزائنه الشريفة رفع ، امام الهدى ، وغمام الندى ، وقامع العدى ، محيي العلم المنفق لبضاعته ، المشرف لاهل صناعته ، ظل الله وخليفة الملك الحق ، حامل الكل وكافل الخلق ، الذى لا امام في الارض بعدله ، ولا خليفة لله على الناس سواه ، المبارك وطنه الجهادي ومثواه ، ملجا اهل هذه الملة ، جد الامراء السعداء ، ووالد الملود الجلة ، والبدر الذى زين منهم في الملك بالنجوم والاهلة ، الملك العادل ، الجواد الباذل ، الهمام الباسل ، العالم الكامل ، مولانا امير المسلمين ، وعماد الدنيا والدين ، الغني بالله ، المنصور بعون الله ، ابو عبد الله ، ابن موالينا الملوك المجاهدين ، والائمة المهتدين ، ادام الله للمسلمين بركة ايامهم وابقى عليهم بهجة مقامهم ، ومتعهم بانفساح مدتهم ودوام خلافتهم ، ولا قطع عنهم مألوف حلمهم ، ومعهود رأفتهم ، وانه ولي قريب ، سميع مجيب ، على انني وان جئت بها في معرض الاستعطاف ، وانتخبتها من محاسن الاجواد وسير الاشراف ، فمجلسه العلي الشريف لا تورد عليه غريبة ولا نادرة الا وهي موجودة فيه وحاضرة ، وسيره الجميلة ومناقبه الحميدة تسير الاجواد ، ودون مداه تقف الملوك الامجاد ، وعنده خلد الله ملكه بكل فن جميل علم ومعرفة ، وكماله الملوكي يجل عن النعت والصفة ، واوصاف البلغاء في تقرير محاسنه وتعداد مفاخره غير موفية ولا منصفة ، جعل الله ايامه السعيدة تنسي ايام الاوائل ، وابقى للاسلام مدته التى هي

مواقيت المحاسن وتاريخ الفضائل ، بمنه وكرمه، وهذا حين الابتداء بالزهرات ، وتسطير الاخبار المتخيرات، ، والله ولي الاعانة والتوفيق والهادي الى سواء الطريق .

الزهـــرة الاولـــى

روي انه لما كثرت الحكم اختصرها الحكماء الاولون في اربعمائة الف كلمة ، ثم جاء جيل بعدهم وهو الجيل الثاني منهم فاختصروها في اربعة آلاف كلمة جامعة لمعاني الاربع مائة الف كلمة ، ثم جاء من بعدهم فردوها الى اربعمائة جامعة ايضا لمعاني اربعمائة الف ، ثم جاء الاسلام فردوها الى اربعين كلمة جامعة لمعاني اربعمائة ، ثم جاء من بعدهم فردوها الى أربع كلمات فيها معاني الاربعين ، فقالوا اطع الله على قدر حاجتك اليه ، واعصه على قدر طاقتك على عذابه، واطلب الدنيا على قدر مكثك فيها ، واطلب الآخرة بقدر بقائك فيها ثم اختاروا اربع كلمات من اربعة كتب ، من التوراة : من قنع شبع ، ومن الانجيل : من اعتزل نجا . ومن الزبور من سكت سلم ، ومن القرآن : ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم .

الزهـــرة الثانيـــة

جلس انوشروان يوما للحكماء لياخذ من آدابهم فقال لهم وقد اخذوا مراتبهم من مجلسه : دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي واعانة رعيتي فقال الدبرز جمهر ايها الملك انا اجمع لك ذلك في اثني عشر كلمة ، قال هات .. ما هي ..؟ فقال : الاولى : تقوى الله في الشهوة والغضب والهوى ، فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا الناس . والثانية : الشرف في القول والوفاء بالعهرات والشروط والعهود والمواثيق . والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الامور. والرابعة: اكرام العلماء والاشراف واهل الثغور والقواد والكتاب والخول. والخامسة : التعهد للقضاة والفحص على العمال محاسبة عادلة ومجازات المحسن منهم باحسانه والمسيء على اساءته . والسادسة : تعاهد اهل السجون بالعرض في اهم الايام فيستوبون المسيء ويطلقون البريء . والسابعة تعاهد سبيل الناس واشواقهم واسعارهم وتجاراتهم . والثامنة : حسن تاديب الرعية على الجرائم واقامة الحدود . والتاسعة : اعداد السلاح وجمع آلات الحرب . والعاشرة : اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد مصالحهم . والحادية عشرة : اذكاء العيون في الثغور لعلم ما يتخوف منه فتؤخذ الاهبة له قبل هجومه . والثانية عشرة : تفقد الوزراء والخول والاستبدال بمن العشر منهم .. فأمر انوشروان أن يكتب هذا بالزعب . وقال : هذا كلام فيه جميع انواع السياسة الملوكية .

الزهـــرة الثالثـــة

قال انوشروان : الناس ثلاث طبقات . تسوسهم ثلاث سياسات : طبقة من خاصة الاحرار تساس باللطف واللين والاحسان ، وطبقة من خاصة الاشرار تساس بالعنف والغلظة والشدة . وطبقة من العامة تساس باللين والشدة ليلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين .

الزهـــرة الرابعـــة

قال بعض الحكماء ان السلطان لا يقرب الناس بقرب آبائهم ولا يبعدهم ابعدهم ولكن ينظر الى ما عند كل واحد منهم فيقرب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضره وشبهوا ذلك بالجرد الذي هو في البيت مجاور فمن اجل ضره نفي ، والبازي وهو وحشي من اجل نفعه اجتبي .

الرباط ـــ الحسن السائح



حين كشف « جان بول سارتر » الفيلسوف المعاصر الاحول ، عن ادواء البشرية المعاصرة ، وجد القلق يعمها ، ويضع الشوك فى دروبها . وعاش القرن العشرون حتى يومه هذا متميزا بهذا الداء العياء. والقلق اذا استولى على المرء سد عليه منافذ الامل ، واقعده حسيرا كسيرا ، لا يدري ما يفعل، ولا يعرف ما يريد .

كان «سارتر» مثل متطبب جراح ماهر نقا القرح الدامي لكنه لم يخرج منه الصديد ولا وصف الدواء لذى الداء ، فكشف للبشرية المعاصرة انها فى عمرها هذا واجيالها المتعاقبة فيه قد ابتليت بداء اجتماعي وبيل ، وهو القلق ، وانها لا تعلم كيف ستشفى من ويلاته على الزمان !...

وكنت احاضر فى جامعة «مكة» وجامعتي «دمشق ولبنان» فتناولت فى محاضراتي ، حين كانت تسنح السوانح لمثل هذا القول فى غير استطراد ، قلق الامم فى عصرها الحديث . لكني لم البس حلة « سارتر » الذى حير الناس ، ونسي المبضع فى الجرح وخاطه عليه ، وانما هداني الفكر السبيل الى ان القلق حادث نفسي يهدم الراحة الانسانية ويقلب المرء على الفراش من جنب الى جنب ، ويستولي على العيون فتظل ساهرة ، وعلى الافكار فتبقى حائرة ، واذا بي ، وانا اهجم على هذا الموضوع النفسي العسير اتلوا آيات من « القرءان الكريم » كأنها خلقت سبيلا لمحاربة القلق بل هي سلاح ابتكره الخلاق لابادة هذه الظاهرة المبيدة ودحرها والشفاء من مرضها العصي المخوف ، فجعلتني اردد: « هو الذى انزل السكينة فى قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا » . « فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » . « ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » . « فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها » . وتلكم آيات بينات من سورتي الفتح والتوبة فى القرآن الكريم .

ولقد وجدت فى هذه الآيات البينات طمانينة الروح وراحة النفس والهدوء والسكينة ورحت اعتنف بالحنق على فلاسفة من عهد ارسطو «الاغريقي» حتى « بيرغسون » اليهودي، وعلماء وادباء وشعراء بان فيهم نفرا احزوا بالبشرية وجرحوها ، وكانوا سبيلا الى افساد معتقداتها القويمة ونظمها الرتيبة البانية ومواريثها الخالدة . وعاش فيهم فريق بغير رسالة فكر او مقصد نبيل ، فكانوا معلمين ولكنهم مفسدون ، وكانوا مرشدين ولكن الى طريق الضياع والضلال وسببوا للانسان الذى اتبعهم صنوف العذاب فى الحياة والوجدان .

ان كبار اللصوص يعلمون تلاميذهم فش الصناديق ، وكسر المغاليق والاقفال ، وفتح الابواب الموصدة ويدلونهم كيف يستطيعون ان يتسوروا الحيطان وكيف ينشلون من الجيوب محافيظ الدارهم ، بل كيف يقدرون على ان يسحبوا الاسورة من ايدي النساء والخواتم من ايدي أصحاب الزينة ،

من الرجال ، وكانت تعاليمهم كتعاليم ذلك اللص الاعظم في وليفر تويست في رواية شارل ديكنز الرهيبة .

وما من امة ابتليت بهذه الادواء الا حق عليها الوبال ، وادركها الفناء ووطئها عدوها في عقر دارها، واحدق بها الدمار من كل جانب .

كنت احاور نفسي ، وحوار النفس غنية موهوبة من الخالق للانسان ، ولقد يرى صاحبها ساكنا هادئا في ظاهره وجسمه ، لكنه يكون آنئذ متحرك في داخله تموج خواطره بالفكر والنقاش ويجيل الاقوال ويشهد الانفعال . وكان من دابي ان اخلو مثل هذه الخلوات النفسية كلما حدث حادث جلل او نفضني امر شديد الوقع ، مربك . وحين اصيبت امتنا ـ صان الرحمن شأنها وحفظ تراثها وخلقها حتى كانت خير امة اخرجت للناس ـ بوكسة وكبوة مثل كبوة الحصان المغوار النبيل ، جعلتني ابكي بشعري حزنا عليها ، وتاليما ، كما صنعت بقصيدتي « الصوت الحزين » المنشورة يومذاك في مجلة « الاديب » ببيروت نشرها اديب الشرق الاستاذ الصديق البير اديب . ولما رقأت دموعي ، دخلت الى نفسي وانشأت التحاور معها بقولي لها :

ـ بم تعللين يا نفس ، هذه الكارثة الحاطمة وكيف يمكن ان تصل نتائجها بعد ان ادركنا اسبابها ؟

ـ لئن تجردنا من قيود الثقاف رحت اقول :

ـ وماذا تقولين ؟

ـ ان اسبابا عدة اخلاقية وثقافية واجتماعية تعمل على الانحدار .

ـ وما هي ؟

ـ اولا ـ التربية الخلقية والوئام الاجتماعي وذلكما هما التكاتف الاخوي في الشعب الواحد . وهيهات ، فاني اجد في الاسرة الواحدة تفككا . فكأي من والد او صاحب دار كان خصما عنيدا في داره فهو بعد المراة ربيطة ولد او سلعة جبور ويعيش باهله عليهم ضنينا ، وقد يكون غنيا وكأي من امراة قاسية الفؤاد مجردة من الحنان والمودة تقلب البيت الى جحيم . ولقد كنت رايت في عالم المحاماة اذ كنت ناشئا اتمرس بها ، حوادث ودعاوي يشيب لهولها الاطفال في خصومات على المال والانساب والطلاق والزواج تعج بها المحاكم . واذا شئت ان تحكم على اخلاق امة واحوالها في الامور المدنية والجزائية فادخل محاكمها ولقد شاهدت من يدعي النكران فيحلف اليمين الغموس كذبا ، وقد جاءه الخلاص ، ومن يدعي بالباطل على ذوي الحقوق ، ومن ياكل مال اليتيم ، ويقذف المحصنات ، ومن تدعي جاهدة على زوجها ناشزة منه وفي انتظار طلاقها زوج عتيد . ومن اجترح الجنايات وروع الاحياء في البدو والحضر ، ثم قالت لي النفس في مجرى تحاورنا :

ـ لم تذكر اسباب الخذلان في الامم في مجال الفنون والثقافات فاستدركت اقول :

ـ من غناء الامة وتطريبها نحكم عليها ، انظري الى الموسيقي العظيم « دفورجاك الصربي » فلقد راى اغاني امته تسيل انحدارا ولا يرجى بها ملاء ، فجال في بلاده يجمع اغاني الشعب وروق تلك الاغاني بانغام وطنية بث فيها القوة والشرف ، وشوق بالمجد فاحيا امته واستدركها قبل الممات .

ـ وماذا تقول في غنائنا وطربنا نحن العرب المعاصرين .

ـ ما زلنا ننتظر مثل «دفورجاك» ولقد عرفت في غنائنا المزري ما يخجل المجد الذي ورثناه ، لما فيه من الهوان والذل والخنوع وما يصور من الركوع الواني بين يدي الحبيب المستبد الهاجر ولم اجد له مثيلا في غناء الامم المعاصرة، وان معازف (الجازبند) الصاخبة تدور خفاقة بالشهوات لكنها ما كانت لتسف الى مثل تلك المهانات الروحية في الغناء الذي عم البلاد واظلها بلحونه البكاءة الندابة ، فادخل الضيم على العربية واثر تاثيرا سيئا عميقا في روح الامة وشعورها فضعضع جدها ووضع مكانه الهازل .

ـ وما ذا ايضا فديتك !

ـ القول الذي يسمونه بالشعر الحديث وهو للمراهقين هدهدة ووباء من المفسدين واخشى ان يطغى ويستبد ويستشري فيذهب برونق الشعر الجيد المبين في تراث العروبة والاسلام الذى ورثته منذ امريء القيس وحسان بن ثابت الى يوم شوقي وحافظ ومطران ، وفي ذلك يقول شاعر العصر الخالد احمد شوقي :

وانما الامم الاخـلاق ما بقيـت
فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وكنت اجول فى نقد ذلك النـوع مـن الكـلام ولم يكن نثرا ولا شعرا ، وقد نشز وشذ عن القافية والوزن. وكان صديقي الشاعر العظيم عزيز اباظة يضرب ذلك الشعر بسوط من حديـد لا هوادة فيـه ويبرأ الى الله من أن يمت الى شعر العرب بسـبب ، ولو مهين. ومن غريب ما عاينت فى سهـرة بنـاد ازدحم فيه المراهقات وبينهن المراهقون ، فاقتعدوا الكراسي حتى غص بهم المكان يسمعون متشاعرا غرا اخذ يقول من ضروب اقواله ما حـرك به الـرؤوس الفارغة وكان فى اقواله ما يفت فى مقومات العروبة والتراث الفكري العريق. فخرجت من الحفل وانا اقول لبئس هذا الامر الذى يردي الامم فى الهوة السحيقة.

ـ وبم تعلل هذا التهافت الادبي ؟.

ـ ولست اشك فى أن وراءه عوامل دافعة لـه ومغرية به من صميم الاستعمار وفوائك الاعداء وراء حدودنا فى دنيواتها وراء البحار لادخـال الضيـم والهوان على الشعر العربي المكين وعمـوده القويـم وتراثه المجيد وبذلك يبلغ الاعداء ما يريدون لامتنـا من الضعة فى الفكر والشعور. وكنت أزعم ثم نهض بي الزعم الى البرهان الساطع بأن النثر العربي منذ عهد القرآن الكريم ظل منيعا رفيعا على ايدي كتابه العظام كعبد الحميد بن يحيى وسالم مولى هشـام وابن المقفع ثم الجاحـظ وابـي حيـان التوحيـدي وامثالهم من كتاب العرب المرسلين الذين برئـوا من الكلفة والصناعة وذميم السجع ، حتى تناوله كتاب العجم بالصناعة اللفظيـة والتلاعيـب الشكليـة ، واشاعوا فيه السـجع المقيت حتى كتبت الكتب فى اخبارها وتواريخها وفى فقهها وادبها مرصوفة الجمل بالسجع . وكان ائمة اولئك المفسدين للبيان العربي عدوه الاكبر الصاحب بن عباد قاهر الادباء وسيده ابو الفضل بن العميد ، وسائر كتاب فـارس فـي زمنهما ومن بعدهما ، فافسـدوا النثر العربي القويم واوردوه موارد الخوف حتى ظل يتسكع بالسـجع ممتدا الى عصرنا ، فخلا من الفكر وازدحمت فيه جمل التصنع اللفظي المسجوع .

* * *

تلك هي عوامل القلق والتصدع الخلقي والفساد فى الفناء والبيان التى سببت تشتت الشمل واعانت على الانحدار والخسران ، وهي ادواء نفسية وامراض ذاتية حاربت الانسان العربي فى عقر داره قبل ان يحاربه عدوه اللدود الجاثم على الحدود .

ثم احسست فى هذا الحوار الداخلي ان صخبا سيقوم فى وجهي ، وان اقوالا شدادا اخذت تترامى من بعيد ومن قريب ، وواحد منها يقول لي :

ـ ما اشبهك فى التطبب والتشريح بجان بول سارتر الذى كنت عنيفا فى نقده وقد اشاع القلق فى انسان القرن العشرين وفتـح عن جراحاتـه ثم تركها دون تضميد !...

ـ كلا يا عزيزي ، لست مثل الفيلسوف الاحول المعاصر الذى ملأ الدنيا وشغل الناس ، فالدواء فى صيدليتي جاهز فى الضماد المهيأ فارجع الى مقومات العروبة والاسلام وغرش بشعر احمد بن الحسـين المتنبي وستجد فى هذه العقاقيـر الثلاثـة بلسمـا للجراحة وترميما للضمائر والنفوس وراحة للقلوب وطمأنينة تذهب بالقلق الى غير الرجوع وسيأتي غد كالامواج الندايا ونسيم عليل بليل ، فتشرق شمس جديدة على الامة العربية وبيدها اقلام الفكر السديد وقد اتسحت بالخلق المكين وتسلحت بالقوة والمال ، لكي تتم كتابة تاريخها المجيد العظيم .

دمشق ـ الدكتور زكي المحاسني



— 2 —

اشتهرت اشعار نيما يوشيج وداعت وعم الحديث عنها ، ومالت اليها عواطف الشباب ، فوجد بعضهم فيها انطلاقا للحديث الصامت الذى ينقل الاهات ويخفي الزفرات ، وتعبيرا عن آلام واحلام . ووجد الآخرون مكامن لافكارهم واوكارا لنزواتهم . وهكذا برزت جماعة من الشعراء الشباب شقت طريقا لها فى قلوب المجتمع الايراني ، ولم تقم هذه الحركة على العنف واللا مبالاة بل ظلت تحتفظ للماضي احترازا ، محافظة على عدم محاولة هدمه ساعية المسير الى جانبه والاخلاص لخدمة الادب فى محاولة جديدة لتخليد آثاره ، لذلك لم تثر حولها الا جوا من النقد الادبي الصرف . وذلك كله مرتبط بالروح الايرانية التى تقدس ماضيها المجيد . وقد ظهر أثر ذلك فى بعض موضوعات الشعر الحديث نجد مثلا الشاعر الدكتور برويز خانلري وبعده منوجهر شيباني يختاران موضوعا طرقه شاعر من القرن الخامس الهجري هو « مرك عقاب — موت العقاب » بل ويصوغان بعض اجزائه بالاسلوب الحماسي القديم . وحديث العنب وقصة اطوار حياته الى ان يصير شرابا مستساغا وشهدا ، بل دما ودموعا لحارس الكرم ، ليس بالموضوع الطريف حتى على الشعر القديم ، وقد برز فى ذلك منوجهر من شعراء القرن الرابع الهجري . فياخذ قصة العنب هذه الشاعر هوشنك ابتهاج ويسميها « شعر انكور = شعر العنب » . كما اخذ الشاعر سياوش كسرائي قصة من القصص الاسطورية للشهنامة الملحمة الايرانية . واستفاد الشعر الحديث من كلمات واصطلاحات قديمة مثل اسماء الآلهة « هورمزدا » « انا هيتا » ومثل كلمات « ميتو » « هيولا » . وغني عن البيان ان اللفظ لم ينفصل عن اصله فى الماضي فهو هو . والوزن نفسه الذى كان العلة الاولى التى دخل منها الشعر الحديث ليبني نفسه ، حافظ هذا الوزن على التفعلة العروضية وحافظ ايضا على شكلية القافية ، بل اننا نجد شاعرا معاصرا واديبا كبيرا هو الدكتور برويز خانلري الذى برز فى الشعر القديم وهو فى طليعة الشعراء الجدد ، نجده يقول الشعر الحديث باسلوب الوزن القديم والتراكيب القديمة الاستعمال ، غير انه يحاول تفكيك المصاريع عن بعضها فتطول حينا وتقصر حينا آخر ، ويلتزم قافية متحدة فى كل مصراعين . وقد حاول بعض الناشرين مرارا القاء أضواء جديدة على الشعر القديم ، فصففوا المصاريع مجزاة حسب التراكيب الجملية حيث يجب الوقوف وحيث يستحسن السكوت . وهي محاولة لا تتعدى ابراز عناصر الخطابة فى الشعر المكتوب .

على ان الشعر الحديث سلك بهذه الصفات طريقا خاصا ميزه عن الشعر القديم ، فهو ان اخذ موضوعات قديمة فقد احسن اختيارها وراى فيها منبعا يزخر بالعواطف والافكار فكانه لم يقتنع بما قيل فى ذلك فحاول من جديد ان يسبر اغوارها ويعلج أبعادها . فهذا الشاعر مثلا اخذ «الصدف» و«اللؤلؤ» وصاغهما فى هذا المعنى الجديد فى

قطعة بعنوان «الاحساس» : فراشي صدف الوحدة الخالي ، وانت، كاللؤلؤة تطوقين اعناق الآخرين » . على أن مواضيع الشعر الحديث قد تعددت وتنوعت وكانت طريفة ، فيها الموضوعات المحلية مثل « النيلوفر » و « الرقص الايراني » . وكانت ايضا جديدة مثل « من وراء النار » حيث يستشف الشاعر الذكريات من وراء النار ومثل « اسم » التى يصور فيها الشاعر علاقة الانسان باسمه بعد الموت ، ومثل «الغد» ومثل الخناجر والقبل والكؤوس » . وقد زاد من تنوعها اولئك الشعراء الذين عاشوا فى أوربا فاثرت فيهم حياتها مثلا « الرقص » لمحمد على اسلامي الذى نظمها فى باريس و « حجاب الفكر = برده بندار » التى يخيم عليها جو لندن بغشاوة ضبابه لجل جين جيلاني و « عابر = رهگذر » لفروغ فرخ زاده الذى عاش فى روما . وبهذا ابتعد الشعر الحديث عن الخوض فى موضوعات كانت عنوان للشعر القديم ودليل قوته . ولم يحدد اطارا لهذه الموضوعات ولكنه ترك لتجربة الشاعر وللظروف والصدف اختيارها . والى جانب هذا دخل الموضوع الحماسي القومي وعلى الخصوص السياسي بشكل يلفه الرمز فى كثير من الاحيان ، كما تناول الشعر التمثيلي والوصفي والقصصي .

واما الكلمات والتعبيرات فقد حاول وهو يرتبط بذلك الخيط الخفي بالماضي ان يبرهن على صلاحية اسلوب الشعر الجديد ورشاقته واهتزازات اوزانه لتلك الكلمات التى يتمثل فيها تاريخه العريق وثقافته . ونحت من الكلمة كثيرا من الاشكال وداعبها برفق ولين وتنقل بها بخفة لتعبر بخطى رشيقة الجمل وتتحد بالصفات وتكون التشبيهات المتداخلة والاستعارات الغريبة ، وكانت هذه الصفة من مزاياه الخاصة ومن الامثلة على ذلك :

« تمشط يد المطر ظفيرة القمر الفضية » و « غزال الفكر » و « جسم النبض » و « ظفيرة المصباح » و « عصافير القبل » و « تلك الطريق التى تشبه العروق الجافة » .

والكلمة فى الشعر الحديث وان لم تنكر وجودها اللغوي فقد تناست أصول التشبيهات والاستعارات والكنايات وانتقلت الى عالم يموج بتبادل الصور والسمات ، وتصبغ فيه الالوان نفسها بطلاء الانفاس .. وقد جر هذا الشعر الحديث الى الغلو والاغراق مما كان له الاثر السيء

اذ ظهرت اخيرا فى ايران حركة جديدة سمت نفسها : « موج نو = الموج الجديد » حاولت ايجاد روابط غريبة بين الكلمات والمفاهيم واكثرت فى التعبير من الاضافات ومن التداعي الحر ، كل ذلك لايجاد المعاني الجديدة ؛ ولكن المعنى الجديد كما يقول نيماشيج « لا يجعل الشعر اكثر جدة ولا اكثر جمالا ، ومن كان يعتمد فى شاعريته على هذا فهو ليس بشاعر » .

وعمل الشعر الجديد على الابقاء على وزن التفعلة العروضية وعلى بث القوافي فى صدور بعض ابياته او اعجازها ولكنه خرج بالاوزان من قيد البحر الذى تحده القوافي الى المحيط الذى تتفجر منه ينابيع الانغام ، وهو فى هذا قد استفاد من عنصر جديد لم يتنبه له القدماء، ذلك هو ذاتية الكلمة، فاستخلص كل ما فيها من حيز للوزن ونغمها فاستحالت الى الحان متشابكة الايدي ، كما اعتمد على امتداد ايقاع المعاني وعلى الرمزية فى التعبير وفى الموضوع ، واختار لكل موضوع الوزن الملائم له ، فجعل اجزاء البيت موزعة حسب هذه المقاييس .

واذا كان الشعر الجديد قد حرر الكلمة من الوزن العروضي الى الوزن الذاتي ، فحبذا لو يجعلها تلائم الوزن الموسيقي الغنائي ، كما هو الامر فى الشعر القديم ، وذلك يبرز العنصر الخفي فى الوحدة الفنية التى يتلقى عند التعبير وقد عرف عند الصينيين واليابانيين انسجام الرسم مع الشعر فكانوا يوقعون لوحاتهم بأبيات من الشعر .

وعندما نتحدث عن شكل الشعر الجديد ومضمونه وموضوعاته ، عن اساليبه ومعانيه وتراكيبه ، فاننا نخلع عليه حلة شخصيته . فهو لم يعرف تحديدا لعدد الابيات ، ولا نوعية خاصة للمضامين ، لا ولا انواع الصناعات البديعة الموصوفة والمحددة الاستعمال ، ولم يعد يحكي وينقل الحوادث الى السامع، بل اصبح يعيشها . الى غير ذلك .. الشعر الجديد انساني النزعة ، يعني ان رمزه هو الانسان ، الانسان الذى يعيش على هذه الارض ، هدفه ابدا أن يجده وضالته أن يعثر عليه . وقد حاول الشاعر الايراني المجدد ان يستنطق فى بحثه هذا كل الاشياء التى تحيط بالانسان حتى انفاسه التى تموج فى باطنه ، فهي خبر شاهد على حركاته وسكناته ، لذلك فقد بحث عن هذا الانسان فى نفسه هو ، ومنها اراد أن ينعتق من حدود الشخص وتجاربه . وظهر ذلك فى الاعمال المشتركة التى

تحدث عنها الشعراء في الحرية ، وكثيرا ما رمزوا اليها بـ « الفرس الابيض » وتجسمت هذه الحرية في المواضيع الحماسية الوطنية ، وكان طبيعي ان يعرف الشعر الجديد مثل هذه المواضيع ، وان يقف اناشيده على التغني بالحرية التي اصبحت امر ما سلبه الانسان اليوم . وكان طبيعي للشعر الجديد في ايران ان يستجيب للانتفاضات التي اهتز لها العالم الاسلامي الذي تشده به الف صلة ، امام التحديات الاستعمارية ، فيردد اصداء نداء الحريه في المغرب ايام كفاحه مع الاستعمار ، ومثالا على ذلك نذكر قطعة بعنوان : « اينجا مراكش است = هنا مراكش » وجسمت فلسطين في شعر ايران الجديد رمزا لهذه الحرية المسلوبة فصاغت منها حماسة وملحمة . وكانت الحوادث المهولة التي اصابت ارض فلسطين واهلها قد ادمت القلوب وايقظت آلام الجراح وارهفت العواطف ، وكان بزوغ «الفتح» انطلاقة دفعت بهذا الشعر في مسيرة الفداء واعمانه يتغنى بها ويخلد بطولات ابنائها . نذكر من ذلك هنا « الفدائيون العرب » لمحمد علي سبانلو و « الفدائي 46 » لعلي رضا نوري زاده .

وعالج الشعر الجديد الى هذا مواطن اخرى من مآسي الانسان . فبحث الموت كما في قطعة «دره مرك = هوة الموت » التي قالها صاحبها بين اطلال تاريخ ايران في « باساركاد » و « ترس = الخوف » و « تنهائي = الوحدة » .

فموضوع الشعر الجديد اذن هو الحياة ، بآلامها وآمالها . ويتسع نطاق الحياة في الشعر الجديد ، فهي ليست وقفا على الانسان ، فالكائن كله حي ، بل وذو شعور ، لذلك فهو يشارك بل انه ليعبر عن الابعاد التي لا يدركها الانسان من حياته هو ، وقد انطق الشعر الجديد الحيوانات ، « فمدينة الصباح » هي مملكة الديك ، وحده الذي يفصح القول عما فيها : « قوقولي قو .. الديك يغني قوقولي قو ... من تخلف في هذه الطريق المظلمة ، من تعب . قوقولي قو .. ان الليل الاعمى ليفر من العالم المفقود ، نحو الخفاء. قوقولي قو .. اتسع القلب والعقل .. »

وغناء الطائر السلوى هو افصاح عن قول : « بده .. بد بد (= قبيح ، قبيح قبيح) اي امل ؟ اي ايمان ؟ . بده .. بد بد ، كانت الابتسامة كذبا وكان القسم ايضا كذبا : كذب كل قسم ، وكل ابتسامة . بده .. بدبد ، اي ميثاق ؟ اي عهد ؟ » .

وللحجر ايضا حديثه للانسان كما في حديث قطعة « المرجان » في قعر البحار .

وقد لازمت نفس الشعر الايراني مع هذا تفاؤل، فنجده يترنم بآمال الايام المشمسة و « الصباح » المشرق ، كما نجد كلمات هذا التفاؤل تتردد هنا وهناك مثل : « الحياة جميلة » او « نعم ، نعم ، ان الحياة لجميلة » او « مدينتنا جميلة » او « ان العيش ، كدر كان ام رغد لهو جميل ، جميل .. » .

ثم حاول الشعر الجديد ان يقتحم عوامل لم تنل منها الفلسفة ليعطيها ابعادا زمنية ومكانية وصورا مرئية مسموعة وبذلك تعدى مقاييس الزمن والمكان المعهودة . فحاول بجرء أن يسلك مغاوز التفكير : « بندار انديشه = حجاب التفكير » ويستنطق السكوت « آتشكد خاموش = المعبد (بيت النار) الصامت » ويطرق باب « الغد = فردا » والتاريخ ، ويجالس « الجن = برى » . وهذا يدل على الخيال الواعي لدى الشاعر المجدد الايراني

وقد استفاد الشعر الجديد من الاسلوب القصصي في هذه المواضيع على الاخص لابراز شخصيات ابطاله ومحاولة اعطائهم روحا حية . واستغل ذلك بصورة واسعة فهناك :

1 ـ القصص التاريخية المحضة .

2 ـ القصص التاريخية الاسطورية ممزوجة بشيء من الخيال .

3 ـ القصص الاسطورية المبتدعة .

3 ـ حكاية الحوادث على شكل قصص ، كحكاية حوادث ايام الطفولة مثلا ، او الاقتصار على لمسات من القصة في نقل حادثة .

ونفذ من ذلك الى التعبير عن مكنون القصة والاسطورة وخفايا اشاراتها ، ودخل عالم الرموز ، كل ذلك في وحدة تامة للموضوع . كما حافظ على اللحن الاسطوري للابطال لذلك نجد هؤلاء الابطال يتكلمون في بعض القطع باسلوب الملحمة الايرانية الشاهنامة ، وزنا وقافية ومعنى .

واستفاد الى هذا من الاسلوب الروائي ، واستغل كثيرا الحوار ، والمتحدثون مفترضون في

الغائب ليس لهم وجود مشخص تام . وغلب هـذا الاسلوب القصصي على كثير من القطع حتى لنجد اغلبها تبتديء به . وهذا الشاعر بامداد مثلا يستعير افتتاحية القصة القديمة في قطعته « بريـا = ايها الجن » : « يكى بود يكى نبود = كان يا ما كان » وتنقل بعض القطع الاخرى ومن بينها هذه قصصا قديمة بتمامها او اجزاء منها . وطغى هذا الاساوب حتى ليمكن القول ان لكل قطعة محيط زمني ومكاني تبدأ بتصويره . فمثـلا نرى فـي قطعـة بعنـوان : آزار تنهائي = آلام الوحدة » الوصف التالي : « جو البيت ثقيل وفاسد . على الطاولـة وردة ذابلة في مزهرية بلا ماء ». ويقول الآخر : « القطة الصغيرة تقفز نحو الستار . الكـؤوس فارغـة بعـد سمـر الامس » .

ثم ينتقل التصوير من الزمان والمكان الى المعاني فيتغلغل الى اعماقها ويستخرج رسوما زاهية الالوان من التشبيهات والاستعارات مثل : « نزل الليل فزل بالجبل » . « كانت الغرف مغلقة الشفاه » . « جبين الجبال المليء بالتجاعيد والغم » . « على الرأس تاج من ابتسامة الصباح » . « اوغل الليل اصابعه في شعره » . « يتلألأ الليل من الرضاب النيلي لنور القمر » . « يامس الثلج الزجاج بجناحه » .

ومن بين هذه التعبيرات البديعة يتسلل ليصف ويحلل بواطن الاشياء ، ويصور الحوادث والمواقف ، فيسعى ليجمع الصور المتفرقة في الحياة ويوحـد بينها ، ويضع عليها هالة من الروعة في بيداء الخيال الواعي المبدع . غير انه يجب الاعتراف بان الوصف اغرق في بعض الاحيان حتى اضاع الارتبـاط بيـن الاشياء ، وفقد تجانس المعاني ، وانمحت صورها . اما اللغة التي سخرها الشعر الحديث لهذه المعاني والتراكيب فهي لغة بسيطة جدا منتقاة من السـواد الذي استفاد من محيطه الى ابعد الحدود . واستعان باللحن والوقع الصوتي لاداء حركة المعنى وانعاشـه وتشخيصـه . فمثلا يقول احد الشعـراء في وصـف الرقص : « سرت رعشة من القلب الى الاذيـال » وكقول الآخر : « ان قلبي ينفتح وينغلـق كاصابـع حبيبتي الجميلة » . كما انه يكرر اللفظ لبيان حركة الاشياء ويقطع احيانا الصـوت تمامـا ، فيقطـع التركيب الواحد او الكلمة الواحدة من دون ان يفقد هذا التقطيع المعنى اللغوي . وتختفي هذه الكلمة في بعض الاحيان مخلفة وراءها نقطا ناطقة بخفاياها. وعند نهاية القطعـة يعود الشاعر الى الفكرة التـي بدأ بها ليشد الموضوع بين فكين ، ويماسك البداية بالنهاية ، فيكررها بلفظها ، ويؤكدها ويثير الانتباه اليها .

لقد فتح الشعر الحديث في ايران طريقا تعدى بها مراحل التجربة ، واصبح ذا رسالة خاصـة في الادب الفارسي من غير ان يفقد الشعر القديم ميزته او ينزل من مقام ابداعه واسلوب بيانه . واذا شئنا ان نحدد مكانه اليوم في ايران فاننا نستطيع القول انه يقوم بدوره الادبي والفني .

ان للشاعر بصيرة تلتقـط دقائـق تموجـات الخواطر وتضبطها بمعقل القول . وان مهمة الشاعر الجديد هي ان يرسم القول بريشة خياله الثاقب ، الخيال الواعي المبدع .

ولقد حقق الشعر الايراني هذه الميزة ووحـد بين الواقع والخيال ، فنقل عالم الخيال المبدع الى الواقع ، وصبغ الواقع بالحقيقة التي تكمـن وراء الخيال .

فاس ـ الدكتور عبد اللطيف السعداني

منهج التاريخ للأدب العربي



للدكتور
جعفر الكتاني

يظل التاريخ المكتوب للادب العربي بلا وشاج قوي ، يربطه بكيان الامة العربية ، ما دامت العناية فيما كتب منه – منذ فجر هذا القرن ، حتى السنوات العشر الاخيرة منصبة على الابطال المحظوظين من أدباء الشعر والنثر العربيين . لان الاستفادة من ادب هؤلاء ، مهما كانت قيمة ونافعة ، فان ادبهم ليس وحده الصورة الكاملة الشاملة لادب مراحل الحضارة العربية والاسلامية جميعها .

وقد كان محتملا ان لا تفرد أسماء هؤلاء اللامعين من الشعراء والكتاب ، لو ان المحدثين من مؤرخي الأدب العربية اخذوا بمنهج غير المنهج المتبع منذ العالم المستشرق الالماني بروكلمان في اوائل القرن الحالي حتى السنوات المعاصرة ، اذ الرغبة في تفسير التطورات السياسية للدولة الاسلامية من ناحية ، والرغبة في تقييم اصالة اللغة وقواعدها وبلاغتها من ناحية اخرى ، ثم الرغبة الى ربط هذا وذاك بالاعراف والقيم الاجتماعية، تجاوبا او انفلاتا ، كان كل ذلك الهدف المنشود من دراسة هذه الآداب ، وكان ذلك هو الذي تحكم في منهج القدماء عند الكتابة عن بيئة الادب لديهم . وقد استخدم المحدثون هذا المنهج نفسه مقتفين به المقاييس التي كان الفقهاء والساسة معا يعتمدونها في تمييز الادب الجدير بالحفظ من سواه . فنشأ منهج هؤلاء المحدثين في كتاباتهم لهذا التاريخ الادبي يحذو حذو اولئك الاقدمين في تقديرهم وتقييمهم .

ومقاييس الاقدمين كان يحفزها ذوق محدود القيم في نظرته الى الادب . فان الادب الذي كان يحظى بالذيوع والشيوع بين اشياع الذوق القديم هو الادب الذي يقف مع أوشد الاعراف والقيم الاجتماعية واللغوية . فالادب الذي ينصر او يخذل بندا منها ادب مآله الشهرة والذيوع اما ان يرفع من شانه ان كانت نظرته الى الاصول الثلاثة نظرة المناصر ، واما ان يحط من قيمته ان كان موقفه معاكسا اما الادب للادب ، ذلك الذي اذا نظر للامور فيعيش الاديب المحض ويتذوق الانسان في انفعالاته بمسراتها واتراحها فانه كان ادبا خاملا لديهم ، لا امل له في الشيوع لانه لا يميل الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . وربما كانت هذه النظرة التقييمية للادب قديما نظرة شبيهة بنظرية الالتزام المعاصرة في الادب ولكن الفرق بينهما ان نظرية الالتزام تهدف الى خدمة جماعية بينما نظرة الاقدمين في التقييم تهدف الى ارضاء طبقة خاصة .

وقد حفز على اقتفاء منهج الاقدمين في التاريخ الادب – لدى المحدثين الذين كتبوا عن هذا التاريخ – عدة عوامل، من بينها :

اولا : ان النظام الاجتماعي لدى الشعوب العربية لم يتغير اسلوبه عما كان عليه الا في الشكل .

ثانيا : ان جلاوزة الاعراف والقيم ما تزال نظرتهم الى الادب هي السائدة .

ثالثا : ان المعموديين من سدنة اللغة صرفوا اهتمام المؤرخين المحدثين للادب الى نوع من الخدمة في حقولهم ، كما قد ساعد على تطبيق المنهج القديم في التاريخ الحديث للادب القديم ، عدم توافر المادة الخام ، للكتابة عن هذا التاريخ بحرية من جاذبية المنهج القديم . ونعني بذلك عدم توافر المخطوطات او ان المخطوطات التي تشكل جبالا مكومة على بعضها في كل مكتبات العالم ما تزال برغم كثرتها مجهولة وفي حكم المفقود ويرجع سر الجهل بها الى تلكم العناصر

الثلاثة التي عددناها من جملة الحوافز على اقتفاء منهج الاقدمين بين الذين كتبوا من المحدثين عن التاريخ الادبي القديم .

فالاعراف ، والقيم ، واللغة هدف غالـي كان الكبار الاقدمون ينشدونه من وراء الادب. لان المجتمع يومئذ كان في خدمة الابطال ، يقدرهم ويشيد بهم ، ويخطو في اثرهم . وكانت هذه العناصر الثلاثة حماية عظمى يحميها رجل السلطة بشتى الوسائل بمنح المنتجين عنها اموالا او جاها او نفوذا . وقد كانت الحماية لا تنقلب الى زراية بها عندما يعكس الادب الوجه الآخر غير المساند ، والخاذل . وكانت الطبقة المثقفة من الجمهور منقادة في هذا النظام لطبيعته ، فهي ترى البطل بعين غيرها ، بينما غمر الادباء المعاكسون تحت وابل من الالقاب المزرية ، فدعوا بالصعاليك تارة وبالموسوسين طورا ، وبالمتوهين او المجان احيانا ، وبالزنادقة والشعوبيين تارة اخرى او انهم ــ على الاقل ــ لم يصنفوا ضمن الطبقات المرموقة من الشعراء .

فلقد اهمل ابو الفرج الاصفهاني مثلا شعراء كثيرين من هذه الفئة فلم يحفل بهم ولم يأخذ بقولهم كما اهمل عبد الله بن المعتز ذكر ابن الرومي مثلا حتى في الوقت الذي اهتم فيه ببعض الموسوسين من طبقته .

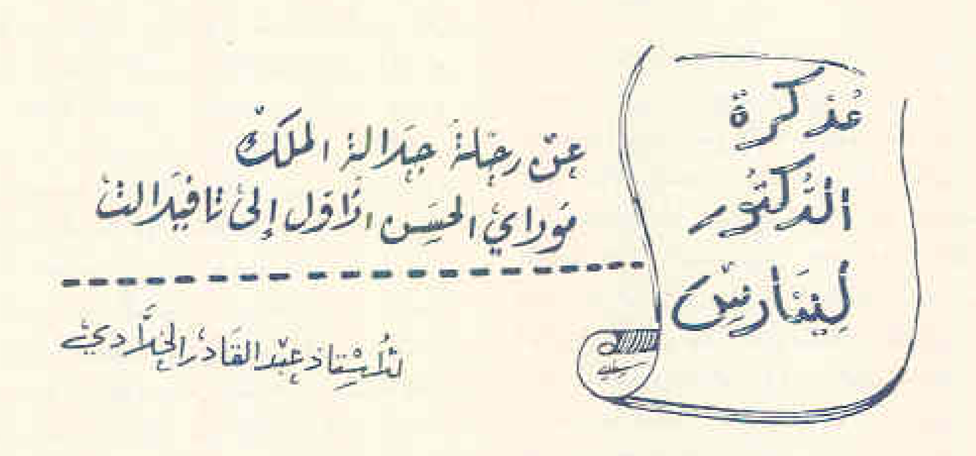
وماذا كان في وسع المحدثين ان يفعلوه والمادة التي بين ايديهم مشوهة وتالفة. كيف كان يمكن الاستفادة من ابن طباطبا مثلا قبل ظهور كتابه عيار الشعر منذ اربعة عشر عاما . ومثل هذا يقال عن عبد الله بن المعتز قبل ظهور كتابيه البديع وطبقات الشعراء في العقود الاخيرة من هذا القرن وماذا كان يعرفه المحدثون عن اسامة بن منقذ وعن ابن ابي الاصبع وابن ابي عون قبل ظهور كتب هؤلاء في النقد الادبي مؤخرا . وان اي وثيقة اخرى من التراث تظهر محققة من شانها ان تغير مفهوما وتحديدا لتاريخ الادب العربي . ولكن ماحدث بالتاريخ المكتوب للادب عما قبل الاسلام كان الاهمال فيه وعدم الاحاطة به اضعاف ما حصل بعديله فيما بعد الاسلام على يد المؤرخين المحدثين لادب العهود الاسلامية فان التاريخ الادبي المكتوب للعصر الجاهلي صور في شكل يجعله ادبا يخلو من المعاني الانسانية والروحية على الرغم من ان الباحث فيما هو اصول لهذا الادب يعثر في غير عناء على جوانب جلى من تلك المعاني الانسانية والروحية . ولكن امكان الربط بينها وبين الشاعر ومجتمعه يظل في حدود ضيقة بسبب الضياع الهائل الذي ما تزال فيه الدراسات التاريخية للادب وعصره .

وبعامل من ذلك كله ، فان المتطلعين من الجيل الجديد الى التاريخ المكتوب للادب العربي يجدون فيه ما يصدمهم ، ويعرقل تعاطفهم مع البداية التي نشات فيها ثقافة امتهم ، كما انهم لا يجدون فيه الصورة التي يمكنها ان تنسجم مع واقع مطامحهم الانسانية المعاصرة . ولذلك ترى هذا الجيل الجديد من طلبة العلم يعزفون عن تراثهم اعتقادا منهم ان ما كتب عن التاريخ الادبي لهذا التراث هو انعكاس حقيقي لاصول ادب امتهم وثقافتها وفن القول لديها. فيتهافت ــ بسبب ذلك الاعتقاد الموهوم ــ جيل الادب الجديد على ما يفد عليه من الخارج دون ان يستطيع الى ربطه بمشاعره وبناء حضارته وذلك بحكم الفرقة الفطرية بين الدخيل والاصيل من المفاهيم الحضارية على الانسان . فيتميع الذوق من جراء هذا الخلط بين حقيقة التراث وبين ما يعكسه التاريخ المكتوب عنه وذلك ايضا نتيجة لعدم ارتباطه بالواقع المعاش لجيل الامة المعاصر . وبذلك تضعف الهمة ، ويتقاعس الطموح الى الخلق وتفقد الشخصية القومية اصول التماسك بينها وبين وحدة مجتمعها . ثم تتكاثر الاسئلة المشككة التي ترمي الى التثبيط . وخلفها يتكون مفهوم خاطيء عن اديب ما قبل الاسلام بكونه كان رجلا قاصر المخيلة مادي النزعة ، او تكوين هذا المفهوم نفسه عن اديب ما بعد الاسلام بانه كان يبتاع بادبه مجدا او غنى . والحقيقة في هذا او ذاك غير ما ينتهي اليها هؤلاء المتطلعون من الشباب ، وغير ما وقفت عندها حتى الآن كتابة التاريخ الادبي لما قبل الاسلام ولما بعده .

فان في الادب الجاهلي فصولا من الماديات كما ان فيه ايضا فصولا من المعاني الانسانية والروحية. بعضها امكنه التقاطه مما هو معروف من مطبوعات المصادر . وبعضها ما يزال مجهولا ولكن يدل على وجوده الحتمي النزر المعروف منه.

كما ان الشعر في العصور الاسلامية لم يكن استجداء او استغناء الا بقدر ما يحتاج الانسان الحديث والمعاصر الى الشفوف والمال وهو يتعاطى الادب في العهد الحديث والمعاصر .

الرباط ــ جعفر الكتاني



كانت بعض ازقة وشوارع المدن المغربية ، الى عهد قريب ، تحمل اسماء اطباء وعلماء ، ومستشرقين وضباط فرنسيين ، كانوا من طلائع الاستعمار ومن المسهمين فى تركيز اركانه بما قاموا به من خدمات وانجزوه من دراسات ، وربطوه من اتصالات ، ظاهرها الرغبة فى الاصلاح ، وباطنها العمل على توسيع الرتق وجعل « المخزن فى أوعر المسالك واضيق المآزق »

والدكتور لينارس كان من اولئك الرواد ، وقد عاش بالمغرب من سنة 1880 الى سنة 1902 ، مهمته الرسمية معالجة الاجسام وديدانه فى الواقع خدمة سياسة دولته بما يبرر تدخلاتهم فى الشؤون المغربية (1) .

ولما بايع اهل الحل والعقد المولى عبد العزيز ، كان الدكتور لينارس فى عطلة بفرنسا فاوفدته الحكومة الفرنسية للتهنئة ، وعن هؤلاء الاجانب المهنئين قال صاحب كتاب الاستقصاء : « وقد تسرب جماعة من نواب الاجناس كعادتهم مع والده من قبله ، فقدموا عليه حضرة فاس مظهرين انهم قدموا للتهنئة ومرادهم خلاف ذلك ... وما ظنك بمن يزعم انه قدم للتهنئة وهو مقيم بالحضرة هذه مدة اربعة اشهر ، يتجسس الاخبار ، ويتطلع العورات ، ويترصد الغفلات ، ويحصي الانفاس لعله تظهر له خلة او تمكنه فرصة . » (ج 9 — ص 207) .

ولد الدكتور فرناند جان لينارس فى Limeuil مقاطعة Dordogne بتاريخ 3 يليوز 1850 ، وحيث كان ينتمي الى اسرة انجبت عدة اطباء فانه نهج نهج آبائه اذ التحق بكلية الطب بتولوز ، فكلية الطب بباريز ، ثم اضطر الى مغادرتها ليؤدي واجبه العسكري فى فرقة الممرضين التابعة لفيالق الجيش الفرنسي الرابضة بوهران ، ولما انجز اطروحته الطبية سنة 1874 اعيد ، سنة 1876 برتبة طبيب ، الى وهران ثم عين بجريفيل (البيض) حيث بدأ يتعلم اللغة العربية ويهتم بالشؤون الاسلامية .

كان ، فى اوائل سنة 1878 ، طبيبا لدى البعثة العسكرية الفرنسية التي وجهت الى مدينة وجدة ، ثم الى الرباط ، بناء على اتفاقات ابرمت آنذاك بين الدولتين المغربية والفرنسية ، وهكذا تيسر له الاتصال بوجوه الدولة واعيانها وتأتى له ان يصاحب المحلة المخزنية فى عدة رحلات من تلك الرحلات التي كان يقوم بها المولى الحسن الاول ، رحمه الله ، لتفقد احوال الرعية ولتلافي ما يحدث فى مختلف اطراف المملكة من ثغرات واضطرابات .

---

1) تردد اسم الدكتور لينارس فى الكثير من الكتب المؤلفة باللغة الفرنسية والتي تعرض اصحابها لذكر ما وقع بالمغرب من احداث وازمات فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي واوائل القرن العشرين ، نذكر منهم على سبيل المثال : Aubin, Loti, Harris, Arnaud, Weisgerber, Houel, Miège, Terrasse, Caillé, etc...

هذا ومن المعلوم انه كان يسبق تلك الرحلات ترتيبات واعدادات من جملتها المكاتيب الشريفة التي كانت توجه للمسؤولين لتيسير المؤونة للمحلة ، والاوامر التي كانت تصدر لمهندسي الدولة لمعاينة « الطرق الصالحة لمرور المحال المولوية ، وتقسيم مراحلها مرحلة مرحلة بالساعات والدقائق ، وتعيين الميادين الصالحة للمقام والكفيلة بالاستراحة ... وتقييد القبائل التي يكون المرور بترابها ، وعادة كل قبيلة في الحركة وما تقوم به من الخدمات » (2) .

لقد قام مولاي الحسن بحوالي العشرين رحلة في مختلف انحاء مملكته ، وكان بطبيعة الحال يصحب معه بعض رؤساء البعثات العسكرية الاجنبية ، الا انه ، لما عزم على التوجه الى تافيلالت ، سنة 1310 هـ ، قصد « مشاهدة آثار اسلافه الكرام ، ومعاينة معالمهم المنيرة ، وقضاء المتعين من حقوق المراحم الطيبة الجليلة . » كاتب نواب الدول التي لها بالمغرب بعثات عسكرية (وهي فرنسا ، واسبانيا ، وانجلترا) ليأمروا اتباعهم العاملين بها بالتوجه الى مراكش لانتظار عودة الرحلة الميمونة من تافيلالت اذ كان من المتعارف الا يسمح لغير المسلمين بمرافقة جلالة الملك الى مسقط رأسه الامين وعرين اجداده المكرمين .

وحيث ان الدكتور ليناريس لم يكن معدودا من « الحراية » وكان من جهة أخرى معروفا لدى وجوه الدولة واعيانها ، يأنسون بمكانه ، ويستشيرونه في المعضلات الدبلوماسية ، ويستفيدون من خبرته الطبية ، ويستطيبون نكاته الطريفة ويستحسنون محادثته باللغة العربية ، اذن له بمصاحبة الموكب الملكي مرتديا الزي المغربي الرسمي ، واعد له كل ما قد يتوقف عليه من زاد وعتاد ومطايا وخدم ، فكان المسيحي الوحيد الذي تسنى له ان يشاهد عن كثب ما وقع من مهم الاحداث في تلك الرحلة الصحراوية التي نظمها المولى حسن « ليجدد للاستقامة اساسا ، ويرتب الامور ترتيبا لا يبقى فيها انتكاسا » كما تسنى له ان يسجل ملاحظاته وانطباعاته حول مسيرة تلك القافلة » التي كانت تضم أكثر من ثلاثين الف نفر ، وكانت سعة مخيمها لا تقل عن خمسة كيلو مترات مربعة » .

وفعلا فقد اثبت ملاحظاته في سجل سماه الكاتب لوبل (3) « بمذكرة الرحلة » او « كناش الطريق » وقال عنها (4) « ان تلك المذكرة لا تتسم بصنعة ادبية او صياغة بلاغية ، فاسلوبها اسلوب بسيط واقعي ، الا انها بمثابة لوحة زجاجية صافية وشفافة ، يستطيع الرائي ان يتتبع المشاهد التي تتوالى خلفها ، وهكذا تتجلى امامه تفاصيل تلك الرحلة ذات الاهداف الروحية والمالية فيرى جميع المغامرات التي كانت تصحب عادة كل « حركة » مخزنية في المغرب القديم من مناوشات تأديبية وصعوبات التموين ، ومن المكائد التي تحاك للتقرب من الملك ، وكذا ما ينجم ، في القبائل ، من الوان ردود الفعل . انها عبارة عن شريط يعرضه شاهد عيان ، بل ممثل من ممثلي تلك المسرحية السياسية ذات الفصول العديدة ليجلى امامنا اطارها واطوارها » .

القى الاستاذ رولان لوبل بالرباط ، في اوائل العقد الرابع من القرن العشرين ، سلسلة من المحاضرات حلل اثناءها المؤلفات التي كتبت باللغة الفرنسية عن المغرب ومقوماته ، وتقاليد سكانه ، وبالخصوص منذ القرن التاسع عشر ، وقد ختم محاضرته عن الدكتور ليناريس بقوله : « اننا كثيرا ما ننسى ، ونحن منهمكون في البناء والابداع ، اولئك العمال النبهاء الذين كرسوا جهودهم بذكاء وتواضع ورباطة جأس ، وغالبا في ظروف حرجة ، لا الامر الا العمل على تمهيد الطريق للنفوذ الفرنسي بالمغرب . ولذا يعد طبع « رحلة الدكتور ليناريس تكريما لعمله الانساني الفرنسي واعداد مرجع مفيد للمهتمين بالتاريخ ... وحتى للادباء » .

لقد نشرت تلك الرحلة على حدة بفرنسا تحت عنوان « رحلة الى تافيلالت مع جلالة الملك مولاي الحسن سنة 1893 » ثم اعيد طبعها بالمغرب سنة

2) اورد مؤرخ الدولة العلوية المرحوم مولاي عبد الرحمن بن زيدان في كتابه « الاتحاف » (ج 2) معلومات هامة ووثائق طريفة تتعلق بهذا الموضوع .
وفي كتاب « العز والصولة في معالم نظم الدولة» (ج 1 — ص 189) وصف ضاف ودقيق لنظام التنقلات السلطانية .

«Les voyageurs français du Maroc», par Roland Lebel.

4) ص 219 .

رقاته ، في المجلة التي كانت يصدرها معهد الصحة (Institut d'Hygiène) وذلك سنة 1932 .

نعم يجوز للاستاذ لوبل ان ينوه بالدكتور ليناريس وبمؤلفه لانه اثبت فيه ، بدون ما أدنى تحفظ او تورية ما كان يقوم به من اعمال او يوحي به من سلوك لجلب النفع لدولته او لتحويل كل تصرف قد يلحق بها ضررا .

حقا فان الدكتور ليناريس وصف وصفا مقتضبا ما كان يشاهده وهو يتجول ممتطيا فرسه او راجلا وسط تلك الجموع من الجنود والمتطوعين والمرتزقة والاعوان والمغامرين في حلهم بين الاطناب والاوتاد وترحالهم بين قبائل مختلفة المشارب والمواقف وخلال سهول وطيئة فسيحة ، او جبال صعبة المرتقى او واحات صحراوية بظللها نخيل نضير يريح القلوب والابصار . .

وهو ايضا اثبت في مذكرته المراحل (5) واسماء القبائل التي قدمت الخدمات او تعرضت للعقوبات كما رسم بلمسات خفيفة ، في غير ما هزات رومنسية او احساسات وجدانية ، لوحات اما لفت انتباهه سواء كانت مناظر طبيعية او مظاهر عمرانية من قصور وزوايا أو معاملات تجارية أو زيارات لماثر تاريخية ، او حفلات دينية او افراح ترحيبية او جلسات مخزنية او اجراءات لتلافي المناوشات مع رعايا الدول الاجنبية كتلك التي وقعت « بين زناتة الريف وبين نصارى الاسبنيول من اهل مليلية وما والاها » الا انه كان يهتم كثيرا بتسجيل الاخبار او الاحداث التي لها صلة بالسياسة الفرنسية ويعمل كذلك ، كما قلت اعلاه ، على تلافي اضرارها او التخفيف من حدتها .

واليكم نماذج مما ورد ذكره في « مذكرته » من اخبار وأوصاف وانطباعات وتدخلات .

اخبرنا اولا انه كان يتوصل بين الفينة والاخرى بجرائد فرنسية كما كانت تصل جرائد مصرية للديوان الملكي وانه كان على اتصال مستمر بنائب الدولة الفرنسية المقيم بطنجة .

ففي العاشر من شهر غشت ارتأى جلالة الملك ان يكلف العلاف (وزير الحرب) محمد الصغير الجامعي ، الدكتور ليناريس بمكاتبة نائب فرنسا بطنجة ليطلب منه العمل على اقتناء مجموعتين من المدافع الجبلية لتزويد المحلة الشريفة ـ فحرر الدكتور ليناريس رسالة في الموضوع ووجهها الى طنجة مع « رقاص » البريد الرسمي .

الا انه لم يلبث ان اردف ذلك العمل الذي انجزه لفائدة الجيش المغربي باعمال لصالح وطنه وبني ملته : في ليلة 29 غشت ، وبنزالة فرس ، كان ليناريس يسمر مع الوزير فضول غرنيط اذ اخبره هذا الاخير ان جلالة الملك توصل برسالة من السيد قدور بن حمزة الجزائري مؤرخة بفاتح صفر 1311 هـ (14 غشت 1893) يعبر له فيها عن تقديره واحترامه ويلتمس منه ان ياذن له بالهجرة الى الايالة الشريفة وان يعتبره من رعاياه الاوفياء . واضاف الوزير ، حسب قول ليناريس « ان جلالة الملك كان مترددا في الاجابة بالقبول ، لانه لم ينس بعد المشاكل التي اثارها في الحدود الشرقية ، ابن عم المذكور ، سليمان بن حمزة بصفة خاصة وعشيرته ، اولاد سيدي الشيخ بصفة عامة ، ولانه يرغب ايضا في ان تبقى العلاقات بين المغرب وفرنسا سليمة ودية .

اشار اذ ذاك الدكتور ليناريس على الوزير بتاجيل الجواب الى ان يسال عن الاسباب التي حملت قدور ابن حمزة على طلب السماح له بالهجرة الى المغرب . فاستحسن الوزير رأيه ووعده بتقديم ذلك الاقتراح على جلالة الملك . ولم يلبث الدكتور ان قصد خيمته ليسجل ذلك الخبر في رسالة يوجهها لممثل فرنسا متيقنا حسب تعبيره «ان حاكم الجزائر العام سيستفيد، بدون شك من تلك المعلومات » .

هذا ومن جملة ما شغل بال الدكتور ليناريس في تلك الرحلة ، وجوه وفد من اهل توات ، وعلى راسه قائد تيمي (6) بوحسون الذين جاءوا بتاريخ 23 اكتوبر الى تعليلت لتقديم مراسم الولاء للعاهل الكريم » .

يبدو ان مجيء ذلك القائد اقض مضجع الدكتور اذ قيل له ان ذلك القائد زعم بمحضر قائد الطبجية ، مولاي احمد الصويري ، بانه كان له ضلع في اعداد الكمين الذي نصبه الطوارق للبعثة الصحراوية الفرنسية (سنة 1881) وقتلوا جميع افرادها ومنهم الضابط فلاتير Flatters .

5) انظر الخريطة المبينة فيها تلك المراحل .

6) انظر ما قيل عن « تيمي » في « تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات » حاشية رقم 2 من ص 7 .

فرغم طول الفترة الزمنية التي بين تاريخ هذه الحادثة وتاريخ الرحلة الشريفة لم يتمالك الدكتور لينارس من ابداء حنقه ، وهو يسجل انطباعاته ، حيث قال : « لو كنت حاضرا (اي في المجلس الذي ذكرت فيه تلك الحادثة) لما تاخرت عن مواجهة ذلك القتال بما يستحقه من لاستنكار لامره، والاستبشاع لفعله . . انها لفضيحة عظيمة ساعدني الحظ على طيها ! » .

ومما سجله الدكتور لينارس عن موضوع توات ذكر الاستقبال الذي خصصه جلالة الملك (في قصر اولاد حنابو بتاريخ 26 نونمبر) لقائد تيمي ابي حسون، يوم وداعه ، والذي علق عليه بقوله « غادر اليوم المحلة القائد او حسون قاصدا توات ، وقد وصله بهدية من جملتها جواد مطهم ، وخباء ، وثماني عشرة حلة ، وزوده بطابعين جديدين لختم المكاتيب ، وخمس عشرة رسالة (ظهائر) وربما تكون موجهة للخمسة عشر قائد ، **المزعوم انهم من رجال المخزن الشريف** والذين تعمدوا عدم المثول امام الملك ، لقد راى اولئك الرؤساء ، **ورايهم هو عين الصواب** ، انه من الاصلح لهم ان يبقوا بمراكزهم ، في اقصى جنوب عمالة وهران ! » .

هذه نماذج من الاخبار في مواضيع لها علاقة بالسياسة الخارجية ، فلنذكر الان ملاحظات لينارس حول بعض التدابير الزجرية التي كانت تتخذ في المحلة، او حول بعض الحفلات التي كانت تقام .

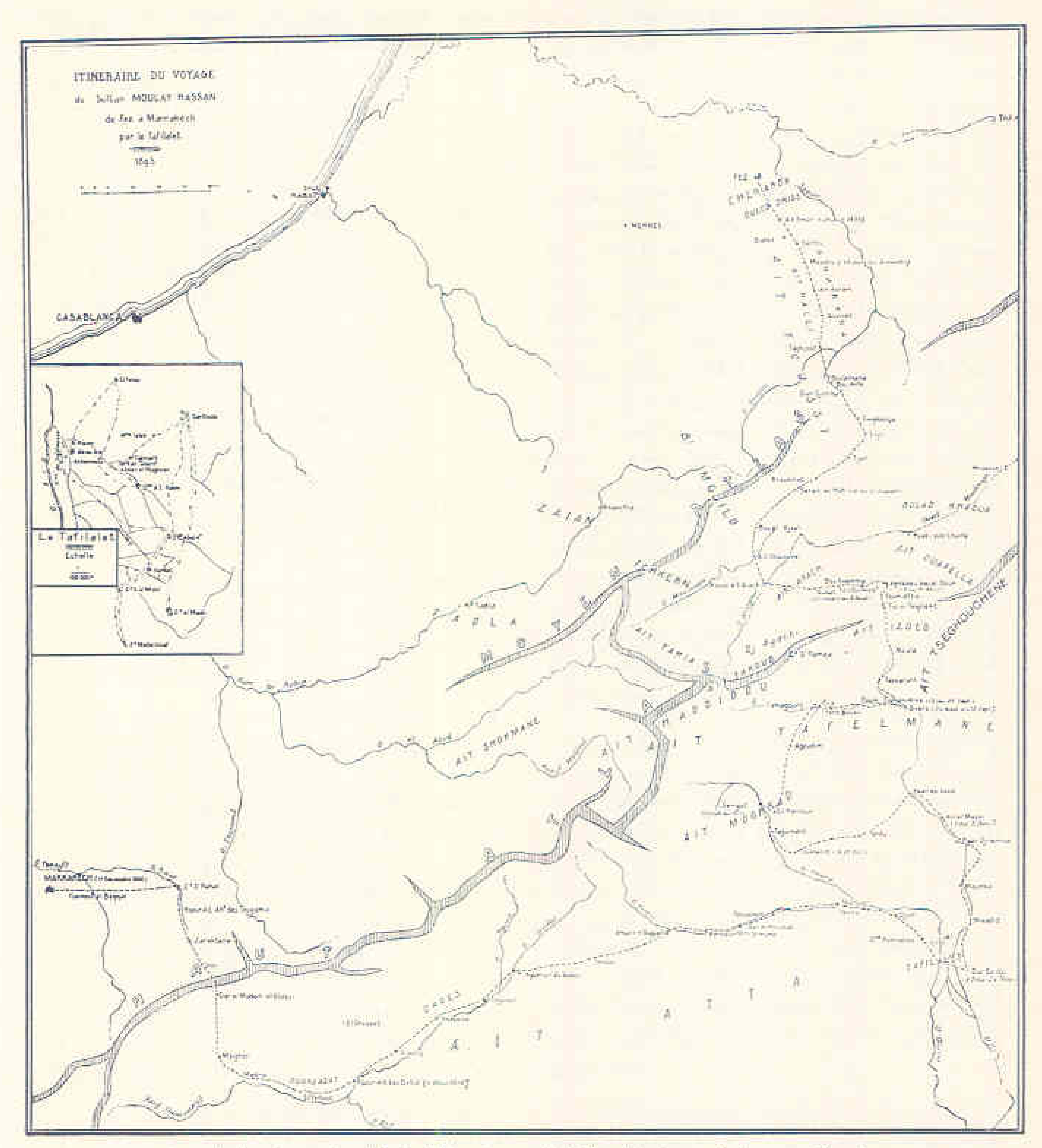
في فاتح يليوز تجمعت الجيوش بمسدو (قرب صفرو) فوزعت على مختلف الفرق الكساوي الجديدة وسلمت الصلات لاهلها حسب ما كان مسجلا في الدفاتر الملوكية ، وحيث لوحظ ، خلال الاستعراض انه وقع شيء من « اللبس والتدليس » في التقاييد التي قدمها قادة الجيش ، لم يبرح المدلسون المكان الا بعد ان نالوا حظهم من جلدات السياط « لتقصيرهم او تهاونهم في تجنب سبيل الشيطان ، ومما تجدر الاشارة اليه ان الدكتور لينارس طبع وصفه لتلك (العملية التاديبية) بطابع السخرية ناسيا ما يتبع التغاضي عن المفسدين من تماد في العصيان وتردد في مهاوي الخسران » ومن ارسل نفسه مع الهوى فقد هوى في هوى » .

وفي 25 يليوز ، كان الموكب المخزني مخيما بقرية اوطاط (ميدالت) اذ وفد وفود وجيها للملك القائد محمد احم الزياني لتزف له احدى بناته قصد المصاهرة ، وارسل معها هدية جليلة قوامها خمسمائة راس من الانعام للركوب وللذبح معتذرا في رسالة عن عدم مثوله بالاعتاب الشريفة بكبر سنه وتوعك صحته، الا ان الدكتور لينارس علق على ذلك بقوله : « ان ذلك القائد كان يقدر الخطر الذي ينتج عن تادية مراسم الطاعة والولاء من قريب » ويبدو ان الدكتور جاء بهذا الخاطر الطائش ليبرر ما كان يفعم قلبه من امل في استغلال ما قد يكون بين العرب والبربر من نزعات وحزازات ، ولكن لا يجوز لنا ان نساير الكاتب في سوء الظن بذلك القائد الابي الذي اظهر فيما بعد ، شدة مقاومته للاحتلال الاجنبي ، والذي وصف لقاؤه الاول بالملك مولاي الحسن ، سنة 1305 هـ . بالعبارات التالية : « . . ولما حل بجنوده بالجمل المعروف بسيدي بورمان ، وجد في استقباله هنالك القائد محمد احم الزياني فيما يزيد على الالف فارس . ولما اشرفت الجلالة السلطانية عليهم ، واشرقت انوار محياه بحيهم ، ترجل القائد المذكور وادى التحية المخزنية كما يجب ، وقبل الركاب كبقية اخوانه ، واعلنوا بالسمع والطاعة ، والتمسوا صالح الادعية ، وخامرهم من الفرح والارتياح ما لم يكن في الحسبان ، واحدقوا بالموكب الشريف يتمسحون ويتعلقون بالاذيال حتى حالوا بين السلطان وبين جل الخاصة من حاشيته ، والسلطان يهش في وجوههم ويبش ويظهر من الانشراح والتنازل ما زادهم غراء واغراقا في التهتك في حبه والميل بالقلب والقالب اليه . . . » (7)

ورد في مذكرة الدكتور لينارس وصف موجز ومرسوم بسمة التقدير ، لزيارة الملك لقصر الهيتي ، قرب قرس قصد تادية صلاة العصر بالمسجد الذي بناه مولاي علي الشريف فقال عنها : « وقف مولاي علي الشريف بقرس عندما كان متوجها من تافيلالت الى فاس ، فاستطاب المكان فاشترى قطعة من الارض واسس بها قصرا من القصور المخزنية ومسجدا ومكث هناك ليشرف بنفسه على البناء ولما طال به المقام رجع الى تافيلالت من غير أن يصل الى فاس . وهكذا كانت صلاة مولاي الحسن لذلك المسجد بمثابة صلاة وتبرك بمآثرة من مآثر اجداده ، وترحم على روحه » .

واشار لينارس الى الافراح التي نظمت بقم تفانمين (تغورين ؟) ، في 23 شتنبر الاحتفال بعيد

7) الاتحاف ج 2 ص 249 .



خريطة مبينة لاسماء تلك القبائل وبعض المراحل التى شهدها « لينارس »

المولد النبوي فتلك المناسبة احييت ليلة المولد ، في الصوان الملكي ، بترتيل القرءان الكريم وانشاد الامداح النبوية ، واهتزت الافاق فجرا باصداء الطلقات المدفعية ، كما باتت وظلت ضربات الدفوف ونغمات مزامير الطوائف العيسوية تتردد في رحاب المحنة ، فعم الناس يومئذ ، البشر والسرور ، وشملتهم معالم الفرح والحبور .

وكان ليبارس وخدمه من جملة المستبشرين اذ توصل « هو كذلك **بحق العيد** ، اى خمسين كيلو دقيقا ، وخابيتين كعكا ، وقربة سمنا ، وخمسة قوالب سكر ، وخمس علب اتاى » .

وعندما وصلت الحركة الملكية الى المعاضيد ا بتاريخ 7 نونمبر ، وهي المرحلة الثالثة والثلاثين ا ، وحل الموكب بقصر الدار البيضاء ، وهي مثوى اسر كثيرة من سلالة النبعة العلوية الطيبة ، لم يتمالك الدكتور ليبارس عن « تسجيل » اعجابه بما لقيه العاهل الهمام من حفاوة واكرام ، تلك الحفاوة التي ورد وصفها في كتاب الاتحاف كما يلي : « فاكبوا على ركابه الشريف ، شرفاء وطلبة ورجالا ونسوانا ، معلنين بضمائر المحبة والاشتياق ، ومظهرين من كمال الفرح ما لا يوصف حده ولا يطاق ، وكذلك جميع اهل الزوايا واصحاب الاحوال ، فكل طائفة تلهج برنات السرور ، وتضرب آلات الافراح ، وتنشر اعلام الاجلال ، حتى اسفرت ايام المسرات هناكم عن ابهج المباسم ، وغدت من ايام الاعياد والولائم والمواسم .. » (8)

واثناء هذه الحفلات ، بينما كان الدكتور ليبارس يتعجب من تلك الافواج المتماوجة من البشر ، اذ اشار اليه فتى فيلالي بسبابة يمناه وصاح في وجهه مستنكرا : « انت نصراني !! » فتجمهر الناس حولهما ، واتجهت الانظار الفاحصة نحو ليبارس ، الا ان هذا واجه الفتى بثبات ورباطة جاش وخاطبه قائلا : « الله ينعل الفضوليين الكذابين الي كيفك !! » فتعالت ضحكات الحاضرين وانب بعضهم الشاب على تدخله فيما لا يعنيه ، فتراجع وهو يغمغم « يعرف العربية ولكن هو نصراني ! » .

وهكذا نجا ليبارس من القتل ، ويعلم الله وحده ما قد كان ينتج عنه من مشاكل دبلوماسية !

ليس من اليسير تلخيص ما ورد في « مذكرة » ليبارس وهي في الواقع « يوميات » قيد فيها بصورة جد موجزة انطباعاته عما كان يشاهده ، وآراءه فيما كان يسمعه من اخبار .

ان متصفحها لا بد ان يعثر فيها على تقييدات قد تعتبر تافهة ، الا انها تلقي اضواء على بعض الاحداث التاريخية ، كذكر « جنود الفيف الاجنبي الذين فروا من جنان بورزق بالجزائر والتجاوا الى التراب المغربي ، وذكر الحيل التي استخدمها الصحفي الانجليزي هاريس للالتحاق بالموكب السلطاني بتافيلالت » ويجد معلومات لا تخلو من فائدة وان كان ينقصها التنسيق ، كتلك التي تتعلق بالاسواق ـ ومنها سوق عام بآيت حديدو ـ وما كان يقع احيانا في بعضها من تواطؤ لرفع اثمان المواد الغذائية ، او تلك التي تتعلق بالحزازات التي كانت بين آيت عطة وآيت افلمان ، او بالتدابير التي كان يتخذها الملك ، خلال الرحلة ، لاخضاع القبائل المتمردة ، وجبرها على تادية ما عليها من وظائف وخدمات .

ويجد فيها كذلك معلومات طريفة وان كانت سطحية عن نفوذ رجال الزوايا الدرقاوية ـ ومنها زاوية رحمه الله ـ في المداشر الفيلالية ، وعن لعب القمار في آيت حديدو ـ (لعبة بالفرد وبالزوج او بشنك) ـ وما كان يقدم عليه السفهاء منهم عن المقامرة حتى على نسائهم .

وخلاصة القول فان مذكرة الدكتور ليبارس تتضمن ملاحظات وتقييدات تشهد لمنشئها بالصبر والتيقظ ، ان لم تكن تشهد له بسلامة الطوية ، وهي على كل حال ، ملاحظات وتقييدات مفيدة للمؤرخ السياسي وللباحث الاجتماعي .

الرباط : عبد القادر الخلادي

8) الاتحاف ج 2 ، ص : 272 ـ وكانت هذه الاستقبالات والافراح ، حسب ما ورد في الاتحاف « بارجاء الجد الانور مولاي علي الشريف » . والدار البيضاء قصر من القصور المخزنية بوادي افلي .

ابتهالات قلب ...



لعل الرحلة القصيرة التى يرحلها المرء فى دنيا الشجن ، عبر اختلاف نفحات الانين ، هي غالبا ما تكون ادعى الى الاستلهام ، وتلقي الايحاء من اي طريق .

والشعراء الذين غابوا فى دنيا الايحاء ، او وقفوا مشدوهين حيال هذا الاستلهام كثيرا ، وان كانت غالبيتهم، قد اجتاحها الشوق، وصرفها عن تسجيل ما كان يتنزل عليها ، وهي تهتز خوفا ، او تختال عجبا بما استحالته ، او طاب لها من جني هذا الاستلهام .

كلنا لا نتجنى على واقع هذه العصبة التى آثرت التسجيل، وحلت لها تلك المناجاة، وان كان القديم كله ، لا يعطينا ما أعطاه الحديث فى الخوف والتطلع والمناجاة ...

ويكفي ان تكون سيدة التصوف كله ، « رابعة العدوية» ، فى مقدمة من سجل لها التاريخ ، ابياتا لا تزيد فى جملتها على الثلاثين بيتا ، هي الحصيلة فى جملة المناجاة ، او الخلاصة فى سر اولئك الذين اتجهوا الى الخوف ، او انجذبوا الى ذلك التطلع !!

ولست مغاليا اذا قلت : ان حصيلة الخوف ، او مجموع الخشية ، قد فاقت فى جملتها ، فى عصرنا الحديث ، أضعاف ما كان يذهب به المريدون، ويدعون له فى عصور سابقة، وايام خلت، الا من بقية «رابعة» واضرابها الذين آثروا العشق الالهي ، وأغرموا بذلك الغزل الرباني الحبيب ...

ولعل السبب فى تقديري، فى فوقان الحديث على تلك العصور فى هذا الحب الالهي، او تلك المناجاة، على اختلاف فى وجهاتها ، انما هو طغيان المادة ، وغلبة الآلة وتحدي العقول التى صرفت الى الخالق، والوقوف ضدها فى شتى المنازع، او جمنة الاتجاهات. والشاعرة روحية القليني التى اعجبت بتسجيل هذه العواطف اللذيذة ، وصرفت الى هذه الابتهالات ، ان هي الا امتداد لما كان عليه السلف ، او طبقة غير محرفة لتلك العاطفة التى جرفت فى طريقها قلوبا استصفاها الله لحبه ، واستخلصها من بين تلك الاشواك التى تقطع السبل على كل رائد ، او تمسك بتلابيب من يمضون على حب الحياة، او تتهرا نفوسهم على صفاء أمثل، ويبهرهم ذلك النور الذى هو طريق الايمان .

والصفحات القليلة التي بثت فيها الشاعرة لواعجها المهتاجة لا تنيف على التسعين ، وان عمرت بما يدور فى قلب المرء وروحه من عرفان لله ، وطلب المغفرة منه، والابتهال اليه، وذكره، وسره والخشوع له ، وحبه ، والخضوع له ، وقدرته ، وعزته ، وجماله والضراعة له ، وغير هذا من سائر الاوصاف والمسميات .

والذى يلفت الى بعض هذه السبحات ، ويشد اليه ، هذه الروح الشفافة التى املت :

ربي تعبت من الحيـــ
ـــاة فمد لي يدك الكريمه
واشـــدد يـــدي بقــوة
وانـــر ليالـــي السقيمـــه
واسق الفـــؤاد الصبر يا
ربـــي بكاســـاة رحيمـــه

وابتهال الشاعرة هنا ، لا يعدو ان يكون امتدادا للنور الذى انبثق امامها ، ورق حتى طلبت الحماية

والغفران ، وبخاصة اذ وقر فى سمعها ، وملك عليها حسها ، انه لا ينير لها طريقها ، او يسمع أناتها ، او يعرف ضعفها غير الله :

أجرنــــي يــا الـــه الكـــو
ن ، من فى الكون يحميني ؟

ومــــن للشــــر يقصيـــه
ومن للخير يدنيني ...؟

ومــــن يا رب يغفـــر لي
اذا خفت موازينـــي ..؟

ومن ســينيـــر لي دربـــي
اذا الظلمـاء تحويـنـي ..؟

ومــــن يسمـــع أناتــــي
بجنـح الليل تضنينـي ..؟

ومن اشكـــو له ضعفـــي
ســـوى ربـــي يقوينـــي

والاستشهاد هنا لا يغني عن الوقوف ، امام كثير من الاستفهامات التي حملتها هذه الصفحات ، والتي تطالع المصافح لها ايا كان مبتغاه فى هذه المطالعة ، ومقصده من هذه القروض .

ولا يعنيني ان ادل على هذه الاستفهامات فى جملة الابواب ، او تحت تعدد العناوين ، وانما تعنيني قصيدة واحدة، او ابتهال واحد، جمعت فيه الشاعرة سائر هذه الاستفهامات ، كانها تريد الجواب الذى وعته فى ختام شكرها للاله الذى اثبتت فيه عجزها عن التعبير ، ووقوفها ازاءه هذا الموقف المحبوب.

والشكر فى جملته كبقية الشكر ، ان فى جل قصائد المجموعة ، لا يعدو الخضوع والعجز والقصور، ورجاء العفو ، وطلب المغفرة . لكنني لا استمسك بالحرص عن الدفاع عن الشاعرة ، الا ان يكون لجوئها الى هذا النوع، او سلوكها هذا المسلك فى التعبير ، انما هو للتوكيد الذى يأتي بعد الفهم ، وسبر ذلـك اللنه الذى املى على الشاعرة هذا الاتجاه ، او هذا النهج المرتضى عند كثير من شعراء التصوف الذيـن اخذتهم الحيرة، ثم ثابوا الى رشدهم، بعد يقين مبني على دراسة وتأمل واستقصاء .

لكن هل كانت روحية القليني من هذا النوع الذى استعصى عليه الفهم، او وقع فى هذه الحيرة، هذا ما اضعه بين يدي القاريء ليشركني رايي ، او يخالفني فهمي فى الاستنباط والاستدلال :

لو انـــي قضيـــت عمـــ
ـــري فى التبتل والصلاة

وقضيت طول الليل ســا
هـرة لتسبيـــح الالـــه

واذا انـــا رتـلـــــت آ
يـاتــي بنـور من هــداه

واطعت ربــي عن رضـــا
انا ليـس لي رب ســـواه

وقضيت كل فروض ربـــ
ـــي من صيام او صـــلاة

والقلـب بالايمــان لبـــ
ـــى كل امـر ما عصــاه

... ...
... ...
... ...
... ...
... ...
... ...
... ...
... ...

اعجزت ثم عجـزت بالتعـــ
ـــبير عن شكـــر الالـه

ومثل هذا فى قصيدة : « سر الاله » التى تعبر اصدق تعبير عن هذه الروح الشفافة التى سكنت فى جسد كل نفس خالصة له سبحانه وتعالى ، اذ لا تنفك هذه التساؤلات تترى فى ابياتها اخذ بعضها برقـاب بعض ، مما يلفت النظر ، ويوجه الى الاهتمام .

والشاعرة التى ساقت ان تقول :

يا ليت شعري ما اقــول
اذا سئلـت عــن الالــه

أ اقول جل عن السؤال عـ
ـــن الحديث عن الـرواه

أ اقول اعبـــده بايمانـــي
ولا ادعـــو ســــواه

حـلا لها ان تقول :

واحبه فيما ترى عيني وفيما لا تراه

غير ان الخشوع هذا لا يمشي وليدا ، حتى نراه يتخذ لونا من الوان التبريـر المستطاب ، او السؤال والجواب اللذيـن يتجسمان حقيقـة ، ويتشكلان حسب هذا الخشوع ، او ينحوان منحى استهداليا على قلة في التالق ، او حيرة في الدلالة.

والنظر الى الاسلوب الشعري الذى تتسم به هذه المناجاة ، ان هو الا رد فعل لما تجـري عليه الشاعرة في ميسم حياتهـا الادبيـة ، او شعورها الجارف بحب الاله اينما تكون ، وان كانت الالفـاظ الناعمة التى استعملتها : « روحية » في هذه المجموعة على مستوياتها قد تفني في الرد عن كل تساؤل ، او يكون فيها اقناع المضطر الى الجواب ، اذا ما وقف يسائل نفسه عن :

الله في كل الوجود وما حوى هـذا الوجـود
اني اتجهت ارى الاله وباسمه الغالي أشيد
انا ما دعوت سوى الاله ومن سوى ربي اريد
الكل يفنى انما رب الوجـود هو الخلـود

وفي قصيدة : « انا ما انحنيت لغير وجهك » وكذلك قصيدة : «يقين» و : «يا رب» تتجه الشاعرة وجهة جديدة في يقينها ، وتضرب صفحا عن تلك الاستفهامات التى جـرت عليهـا فـي تعبيراتهـا السابقة ، ونبضاتها القدة ، تذكر القضايا ، ثم تاتي بالحكم الذى لا يقبل « الاستئناف » ثم تعمد الى التشبيه، ثم تعترف بالضعف، وتركن الى الاستسلام الذى تدفع اليه دفعا بكل طاقاتها عن وعي ورضى ويقين :

في نبض قلبي في دموع عيونـي
بضراعتـي في منطقـي وسكونـي

بتحملي تلك الحيـاة مريـرة
بالصبر اشربه بكاس شجونـي

مثل لايمانـي بانـك خالقـي
لك ما تشاء وما ترى يرضينـي

لكنني بشر ضعيـف واهـن
فانت اله الكـون ورب دجونـي

انـا ليـس لي الاك ربـي مسعـد
فاكشف اله الكون ليل ظنونـي

والدلالة الحقة على قدرة الشاعـرة ، وتفتح قلبها ، ما عمدت اليه حين تطرق الى جمال الخالق، ورنت الى علياه ، وصنعه في سائر الاشياء ، حتى انها عابت على البشـر لجوءهم الى غيره ، واتجاههم لسواه في قصيدتها : « مع الله »

على ان «روحية القليني» الذى شغلهـا حبهـا له ،لم تنس وهي في غمرات هذا الحب ، ان تسلم امرها اليه سبحانه وتعالى ، ترجو رضـاه ، وتبغـي تحقيق ما تريد ...

وتعترف الشاعرة في : « لبضات قلبي دعاء » بعجزها عن التعبير عن شكر الله الرحيم ، حتى ذهب بها العجز الى اجداب دموعها ، وعدم استجابتهـا : خشية ، او قصورا في التصوير :

ورفعت راسي اشكرالله الرحيم مع الخشوع فخانني التعبير
قد جل حب الله عن كلماتي الحيرى فحبي للاله كبير
حتى الدموع بمقلتي تحجرت من خشية وتعثر التصوير

والواقع ان ما احلى في هذه المجموعة ، تلـك الضراعة التى تجلت قدرة الشاعرة في تصويرها الذى ضمنته ضراعتها ابتغاء رضاه ، وطمعا في ثوابـه ، لاسيما وقد اتت «روحية» تائبة بعد ان طرقت جميع الابواب ، فلم تجد الا باب الله تدخل منه .

غير ان المسترجع لهذه الابيـات ، لا تاخـذه روعة معانيها بقدر ما يلفت نظره الحبك ، وتشـده الصياغة التى كان يعوزها المعاني الجديدة والتحليقات المبتكرة حتى يستكمل لهذه المجموعة ما كانت تريده لها الشاعرة : سموا وزيادة ، وبخاصة اذا عرفنا ان اتجاه « روحية » نحو هذه الابتهالات يعد فريدا في هذا العصر بل وفي كل عصر يعرف للاتجاه الديني قدره، وينزله منزلته :

انا عند بابك يا حبيبي لم اجـد الاه بابـا
انا ما لجات لغيره بضراعتي ارجو الثوابا
فاشمل بعطفك يا الهي من اليك اتى وتابا

ولا يخمرني شك في ان الشاعرة روحية القليني، بما اوتيت من براعة في الصياغة ، وقوة في الديباجة، وبهرة في المعاني في كل تصوراتها الدينية والدنيوية ، جديرة بان تقف في مقدمة شعراء الابتهالات بهـذه المجموعة وغيرها من شعرها المبثوث في انهر الصحف، وبطون المجلات .

القاهرة : ابو طالب زيان



« الكامل للمبرد قال ابو العباس : ومما يؤثر من حكيم الاخبار ، وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف وهو انه قال دخلت يوما على ابي بكر الصديق رضي الله عنه في علته التي مات فيها فقلت له اراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين اشد علي من وجعي ، اني وليت اموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم انفه ان يكون له الامر من دونه ، والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ، ولتالمن النوم على الصوف الادربي كما يالم احدكم النوم على حسك السعدان، والذى نفسي بيده لان يقدم احدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا ، يا هدي الطريق جرت ، انما هو والله الفجر او البجر ، فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا لا تاسى على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا » .

هذا الحديث رواه علوان بن داوود البجلي مولى جرير بن عبد الله ، ويقال علوان بن صالح وهذا الحديث حديثه ولا يتابع عليه ، ولا يعرف الا به . وقد مات علوان سنة 180 وقد قال فيه البخاري منكر الحديث، وقد نقل الحافظ الذهبي عن البخاري انه قال : من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل رواية حديثه .

ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 215 — ج 1 ص 412 وتاريخ ابن جرير الطبري ج 4 ص 52 — 53

وعبد الرحمن بن عوف احد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، واحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم واخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض قال لاصحاب الشورى هل لكم ان اثنى عنها واختار لكم قال علي انا اول من رضي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انت امين في اهل السماء وامين في اهل الارض وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه .

وكان ابيض اهدب الاشفار اقنى الاصابع طويل النابين الاعليين ربما ادمى شفتيه له جمة ضخم الكفين غليظ الاصابع جرح يوم احد احدى وعشرين جراحة وجرح في رجله وكان يعرج منها. وكان تاجرا مجدودا في التجارة وخلف مالا كثيرا خلف الف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع. وصولحت امراته التي طلقها في مرض عن ربع الثمن في ميراثه بثلاثة وثمانين الفا ، ولما حضرته الوفاة بكى بكاء شديدا فسئل عن بكائه فقال ان مصعب بن عمير كان خيرا مني توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ما يكفي فيه . وان حمزة بن عبد المطلب كان خيرا مني لم نجد له كفنا واني اخشى ان أكون ممن عجلت له طيباته في حياة الدنيا واخشى ان احتبس عن اصحابي بكثرة مالي .

توفي عبد الرحمن سنة احدى وثلاثين من الهجرة وهو ابن خمس وسبعين سنة بالمدينة ، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان بوصية منه .

« الاستيعاب لابن عبد البر » ترجمة عبد الرحمن بن عوف

« الكامل للمبرد : نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهي الوسادة ، وما ينضد من المتاع قال الراجز :

وقربت خدامها الوسائدا
حتى اذا ما علوا النضائدا
سبحت ربي قائما وقاعدا

وقد تسمي العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد ، انما هو ما نضد في البيت من متاع قال النابغة :

ورفعته الى السجفين فالنضد

ويقال نضددت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا اصله : قال الله تبارك وتعالى: «لها طلع نضيد» ، وقال عز وجل : «في سدر مخضود وطلح منضود» . ويقال نضدت اللبن على الميت » اهـ .

قال ابو الحسين احمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة : النون والضاد والدال اصل صحيح يدل على ضم شيء الى شيء في اتساق وجمع : منتصبا او عريضا ، والنضد المنضود من الثياب ثم استشهد ببيت النابغة السابق قال والنضد السرير ينضد عليه المتاع ، ونضد الرجل اعمامه واخواله الذين يتجمعون لنصرته ، والنضد الشرف واما نضائد الديباج فهي جمع نضيدة وهي الوسادة وما حشي من المتاع . اهـ . وهو من حد ضرب فهو منضود ونضيد ومنضد ، وقال الليث النضد في بيت النابغة السرير وغلطه الازهري قال انما هو بمعنى المنضود ، وفي المثل اثقل من نضاد وهو جبل في بلاد العرب يذكر ويؤنث ويصرف ولا يتصرف .

وقول المبرد : « وجماعة ذلك » يريد ما ذكره من الوسائد ومتاع البيت ، واما قوله والمعنى واحد اي في اطلاق النضيدة والنضد على ما ذكر ، وطلع النخلة نورها ما دام في الكافور الواحدة طلعة ، والسدر قال الراغب شجر قليل الغناء عند

الاكل ، وقد يخضد اي يثنى ليستظل به فجعل ذلك مثلا لظل الجنة ونعيمها في قوله تعالى : في سدر مخضود لكثرة غنائه في الاستظلال .

والطلح شجرة طويلة لها ظل يستظل بها الناس والابل وورقها قليل ولها اغصان طوال عظام وشوك كثير وساق عظيمة لا تلتقي عليها يد الرجل وهي أم غيلان تنبت في الجبل الواحدة طلحة وبها سمي الرجل ، وقيل انه شجر الموز ، والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة .

قال تعالى : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعه» .

والعرب كانوا يعيشون في ارض عراء بارزة للشمس لا يكنهم منها الا مساكنهم وقلما يلجونها الا عند القيلولة وفي الليل لمن كان له ماوى يظله ، واما سائرهم فقد كانوا يلجئون الى ظلال الاشجار وقلما تكون قريبة منهم فمن وجد ظلا يكنه من لهيب شمس بلادهم فقد وجد مستراحا عظيما فالله تعالى يقرب لهؤلاء نعيم الجنة من مستوى ما يتطلعون اليه في دنياهم فيذكر لهم الظل الظليل والماء المسكوب وقلما يجدونه فكيف به مسكوبا ثم فاكهة مشتهاة وفوق ذلك فرشا مرفوعة ، وكل هذا تقريب للنعيم كما يتصوورنه في الدنيا لان القرآن يخاطب قلوبهم ويتلمس الطريق الى ظمائرهم ليفهموا عنه

وما بيت النابغة فهو من قصيدته المعروفة :

يا دار مية بالعلياء فالسند
اقوت وطال عليها سالف الامد

الى ان يقول :

خلت سبيل اتي كان يحبسه
ورفعته الى السجفين فالنضد

يتحدث عن وليدته انها اطلقت سبيل السيل وهو الاتي بتنقيتها ما كان يحبسه من حصى وتراب ورفعت ذلك الى مقدم البيت لتمنع عنه وصول السيل اليه ، والسجفان بكسر السين وفتحها ستران يكونان كالمصراعين في مقدم البيت واحده سجف .

والنابغة هو زياد بن معاوية الذبياني ، وهو احد الاشراف الذين غض منهم الشعر ، وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء ، وكان خاصا بالنعمان ومن ندمائه واهل انسه فرأى زوجته المتجردة يوما وقد غشيها شيء شبيه بالفجاءة فسقط نصيفها فاستترت بيديها وذراعيها فقال قصيدته التي يقول فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه
عنم على اغصانه لم يعقد

وبفاحم رجل اثيث نبته
كالكرم مال على الدعام المسند

نظرت اليك لحاجة لم تقضها
نظر السقيم الى وجوه العود

وهي طويلة فانشدها النابغة مرة بن سعد القرظي فانشدها مرة النعمان فامتلأ غضبا ، وتهدد النابغة فهرب منه فأتى قومه ثم اتى ملوك غسان بالشام فامتدحهم .

وكان يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده لا يستعمل غير ذلك ثم رجع الى النعمان بعد ذلك وترضاه فرضي عنه، ومات النابغة على جاهليته ولم يدرك الاسلام .

« الكامل للمبرد : وقوله على الصوف الاذربي فهذا منسوب الى اذربيجان ، وكذلك تقول العرب قال الشماخ :

تذكرتها وهنا وقد حال دونها
قرى اذربيجان المسالح والجال»

اذربيجان من بلاد فارس ، اقليم واسع من اشهر مدائنها تبريز ، ويكثر فيها الجبال والقلاع وخيراتها واسعة وفيها فواكه جمة ، ما رأيت ناحية اكثر بساتين منها ولا اغزر مياها وعيونا ، لا يحتاج السائر بنواحيها الى حمل اناء للماء لان المياه جارية تحت قدميه اينما توجه ، وهو ماء بارد عذب صحيح ، واهلها صباح الوجوه حمرها رقاق البشرة ولغتهم الاذرية ، وفي اهلها لين وحسن معاملة الا ان البخل يغلب على طباعهم فتحت على عهد عمر بن الخطاب وتولى ذلك حذيفة بن اليمان وانتهى امده معها على الصلح ، وقال الواقدي بل الذي فتحها عنوة المغيرة بن شعبة سنة 22 ، والنسبة اليها اذري واذربي ، وهي اسم اجتمعت فيه خمسة موانع من الصرف : العجمة ، والتعريف ، والتأنيث ، والتركيب ، وزيادة الالف والنون ومع ذلك فاذا زالت عنه احدى هذه الموانع وهو التعريف صرف لان هذه الاسباب لا تكون موانع من الصرف الا مع العلمية ، فاذا زالت العلمية بطل حكم البواقي ولولا ذلك لكان مثل قائمة ومائمة ومصلية غير منصرف لان فيه التانيث والوصفية ، ولكان مثل الفرند والنجام غير منصرف لاجتماع العجمة والوصف فيه، وكذلك الكتمان لان فيه الالف والنون والوصف .

واذربيجان بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء وياء ساكنة وجيم هكذا جاء في شعر الشماخ . وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء ، ومد آخرون الهمزة مع ذلك . اهـ .. ملخصا من معجم البلدان .

واما النسب اليها فالقياس ان تقول اذري بغير ياء نسبة الى صدر المركب المزجي نحو بعلبك وحضرموت فتقول بعلي وحضري وهكذا النسبة الى المركب الاسنادي نحو تابط شرا ، وبرق نحره فتقول تابطي وبرقي واجاز الجرمي النسب الى العجز، فتقول نحري وشري ، واجاز ابو حاتم السجستاني النسب اليهما فتقول تابطي شري كما اجازه في المزجي والعددي واذربيجان كلمتان مؤلفتان من اذر بمعنى النار ، وبيجان بمعنى الخازن اي خازن النار ، قال ياقوت وهذا اشبه بالحق واحرى به لان بيوت النار في هذه الناحية كثيرة جدا .

واستشهد المبرد على نسبة الاذربي الى اذربيجان بقول الشماخ :

تذكرتها وهنا قد حال دونها
قرى اذربيجان المسالح والجال

وليس في هذا البيت شاهد للذى استشهد له ، والبيت من كلمة للشماخ يصف فيها غابة شهدها بسنجال وهي قرية من قرى اذربيجان ومعاد الضمير في البيت الى محبوبته ، والوهن نحو من نصف الليل ، والمسالح مواضع المخافة واحدتها مسلحة ، او هي القوم يحفظون الثغور من العدو سموا بذلك لانهم يكونون ذوي سلاح ، والجال اسم لجماعة

الخيل والابل اضاف اذربيجان اليهما اشعارا بانهما مملوءة بهما – من رغبة الامل –

والشماخ اسمه معقل بن ضرار الغطفاني وكنيته ابو سعيد وكان ممن ادرك الجاهلية والاسلام وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة وكان اوصف الناس للقوس والحمار وأرجز الناس على البديهة .

وهو الذي يقول لعرابة الاوسي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سيدا من سادات قومه وجوادا من اجوادهم وكان ابوه أوس من وجوه المنافقين

رايت عرابة الاوسي يسمو
الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما رايته رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة كقوله تعالى « لاخذنا منه باليمين » .

نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس ، فجلس رجل من اهل العراق على بعض تلك الموائد فنظر اليه خادم لعبد الملك فانكره فقال له اعراقي انت ..؟ قال : نعم .. قال : انت جاسوس ؟ قال : لا .. قال بلى .. قال : ويحك دعني اتهنأ بزاد امير المؤمنين ولا تنغصني به ، ثم ان عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل :

اذا الارطى توسد ابرديه
خدود جوازيء بالرمل عين

وما معناه ؟ ومن اجاب فيه اجزناه والخادم يسمع فقال العراقي للخادم اتحب ان اشرح لك قائله وفيم قاله ؟.. قال : نعم . قال : يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرمسي فذهب الخادم الى عبد الملك فقال يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرمسي فضحك عبد الملك حتى سقط .. فقال له الخادم : اخطات ام اصبت .. فقال بل اخطات ..! فقال يا امير المومنين هذا العراقي فعل الله به وفعل لقنني فقال له : اي الرجال هو ؟.. فاداره اياه ، فعاد اليه عبد الملك وقال : انت لقنته هذا ؟.. قال نعم . قال : افخطا لقنته ام صوابا ؟.. قال بل خطا ..! قال : ولم ؟ قال : لاني كنت متحرما بمائدتك فقال لي كيت وكيت فاردت ان اكفه عني واضحكك .. قال : فكيف الصواب ؟ قال : يقوله الشماخ ابن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جزات بالرطب عن الماء قال صدقت واجازه ثم قال حاجتك قال تنحي هذا عن بابك فانه يشينه – الاغاني ترجمة الشماخ .

قال في لسان العرب – مادة جزا – لا يعني به الظباء كما ذهب اليه ابن قتيبة لان الظباء لا تجزأ بالكلأ عن الماء أي لا تكتفي بالعشب الرطب عن الماء وانما عنى البقر ، ويقوي ذلك انه قال : عين ، والعين من صفات البقر لا من صفات الظباء ، والارطى مقصود شجر يدبغ به ، وتوسد ابرديه اي اتخذ الارطى فيهما كالوسادة ، والابردان : الظل والفيء سميا بذلك لبردهما ، والابردان ايضا الغداة والعشي ، وانتصاب ابرديه على الظرف ، والارطى مفعول مقدم بتوسد اي توسد خدود البقر الارض الارطى في ابرديه ، والجوازيء البقر التي جزات بالرطب – العشب الندي – عن الماء ، والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين .

والجزء : الاستغناء بالشيء عن الشيء تقول جزا بالشيء وتجزا قنع واكتفى به واجزاه الشيء كفاه ، والاسم الجزء .

« الكامل للمبرد : وقوله : اي ابي بكر الصديق لعبد الرحمن بن عوف ، على حسك السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره ، فمن امثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له . قال النابغة :

الواهب المائة الابطار زينها
سعدان توضح في اوبارها اللبد

ويروى في بعض الحديث انه يؤمر بالطافر يوم القيامة فيسحب على السعدان قال ابو الحسن قيل لرجل من اهل البادية وخرج منها : أترجع الى البادية فقال: اما ما دام السعدان مستلقيا فلا ، يريد انه لا يرجع ابدا ، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء ابدا ، وتقول العرب : مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك وماء ولا كصداء ، تضرب هذه الامثال للشيء فيه فضل وغيره افضل منه »

السعدان نبت ذو شوك، ومنبته سهول الارض، وتقول العرب أطيب الابل لبنا ما اكل السعدان

والحزيث ، واول من قال مرعى ولا كالسعدان الخنساء بنت عمرو بن الشريد وذلك انها اقبلت من الموسم فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة وهي تنشدهم مراثي فى اهل بيتها فلما دنت منها قالت على من تبكين قالت ابكي سادة مضوا قالت فانشديني بعض ما قلت فقالت هند :

ابكي عمود الابطحين كليهما
ومانعها من كل باغ يريدها

ابو عتبة الفياض ويحك فاعلمي
وشيبة والحامي الذمار وليدها

اولئك اهل العز من آل غالب
وللمجد يوم حين عد عديدها

قالت الخنساء مرعى ولا كالسعدان ، ثم انشأت تقول :

ابكي ابا عمرو بعين غزيرة
قليل اذا تغفى العيون رقودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا بدا
بساحته الابطال قبا يقودها

القب رئيس القوم وسيدهم والذى عليه مدارهم ، وقال ابو عبيد عن المفضل ان المثل لامرأة من طيء تزوجها امرؤ القيس ، وكان مغرطا فقال لها اين انا من زوجك الاول فقالت مرعى ولا كالسعدان اي انك وان كنت رضا فلست كفلان .

ومرعى خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا مرعى جيد وليس فى الجودة مثل السعدان . ـ مجمع الامثال للميداني .

واما البيت :

الواهب المائة الابطار زينها
سعدان توضح فى اوبارها اللبد

فمن معلقة النابغة ومطلعها :

يا دار مية بالعلياء فالسند
اقوت وطال عليها سالف الامد

والمائة الابطار هي النوق ، وتوضح : مزرعة باليمامة خصبة لا نخل بها ، واللبد ج لبدة مثل غرف وغرفة يريد الكثيرة المتراكمة يريد انها رعت السعدان فاخرج اوبارها فملحت الوانها وحسنت شارتها .

واما المثل الثاني : فتى ولا كمالك فهو لمتمم بن نويرة قاله فى اخيه مالك بن نويرة لما قتل فى الردة ورثاه بقصائده .

وكان متمم شريفا فارسا شاعرا وكانت فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة قصيرا اعور قتل اخاه خالد بن الوليد فى خلافة ابي بكر وكان مقيما بالبطاح ، فلما تنبأت سجاح اتبعها ثم اظهر انه مسلم فضرب خالد عنقه صبرا ، فطعن عليه فى ذلك جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب ، وابو قتادة الانصاري لانه تزوج امرأة مالك بعده ، وقال عمر لابي بكر : ان فى سيف خالد رهقا فقال هبه يا عمر تأول فأخطأ ارفع لسانك عن خالد ، وودى مالكا ، وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل واخبره بالذى صنع فعذره وقبل منه وعنفه لتزوجه من امرأة مالك .

وقدم متمم اخو مالك يطالب ابا بكر بدمه ورد السبي الذى سباه خالد ، فرد عليه السبي والح عمر على أبي بكر فى عزل خالد فقال لا يا عمر لم اكن لاشيم سيفا سله الله على الكافرين .

وجاء متمم عمر بن الخطاب فاستنشده رثاءه فى اخيه فانشده حتى بلغ قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر هذا والله التأبين ، ولوددت اني احسن الشعر فأرثي اخي زيدا بمثل ما رثيت به اخاك ، فقال متمم لو ان اخي مات على ما مات عليه اخوك ما رثيته ، وكان قتل باليمامة شهيدا ، وامير الجيش خالد بن الوليد فقال عمر : ماعزاني احد عن اخي بمثل ما عزاني به متمم ، وكان عمر يقول : ما هبت الصبا من نحو اليمامة الا خيل الي ان اشم ريح اخي زيد .

ترجمة متمم بن نويرة من الاغاني ج 14 ط ميري

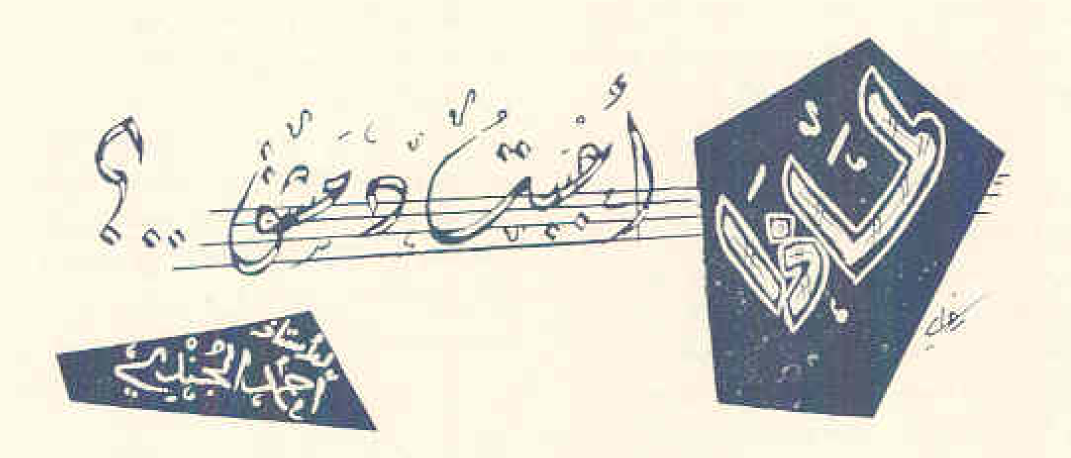
والمثل الثالث لابنة هانيء بن قبيصة تزوجها رجل من اهلها بعد مقتل زوجها لقيط بن زرارة ، فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا، قال لها ما استحسنت من لقيط قالت كل اموره حسن ولكن احدثك :

خرج الى الصيد مرة وقد إبتنى بي فرجع الي وبقميصه نضح من دماء صيد والمسك يتضوع من اعطافه فضمني ضمة وشمني شمة فليتني مت ثمة ، ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها وقال لها أين انا من لقيط قالت : « ماء ولا كصداء » ويروى على وزن حمراء ؛ قال المفضل : صداء ركية ــ يعني بئرا ــ لم يكن عندهم اعذب من مائها ؛ وفيها يقول ضرار السعدي :

واني وتهيامي بزينب كالذى
تطلب من احواض صداء مشربا

يريد ان لا يصل اليه الا بالمزاحمة لفرط حسنها كالذى يرد هذا الماء فانه يزاحم عليه لفرط عذوبته ــ مجمع الامثال للميداني .

محمد الناصر الكتاني



تسألني لماذا أحببت دمشق ، وهل يسأل المرء كيف عشق ولماذا احب ؟!

لقد احببت دمشق على مراحل ، لان معرفتي بها بدات مع الزمن وتطورت ، كالهوى العذري ، لقد انتقلت علاقتي بها عبر الحياة والتصور الى الحقيقة التى لا تزول ، ونمت محبتي لها فترة فترة وزمنا بعد زمن . لقد رسخت صورتها فى ذهني فهي جزء مني او هي بعضي كما يقول الشعراء .

كنت تلميذا فى بلدتي الريفية ، وكان لي رفاق من دمشق يعيشون معي ، وكانوا اكثر دهرهم يتحدثون عن بلدهم حديث الشوق والامل ، يعرضون ذكرياتهم وايام صباهم وكنت اصغي اليهم واعجب لالسنتهم كيف لا تهدا عن ذكر دمشق ، حتى حفظت اسماء المهاجرين ، الجسر ، الشيخ محي الدين وغيرها من احياء المدينة ، كما عرفت الشوارع والمنعطفات من مثل: شورى، والباشكاتب والشمسية والشطا ، والقيمرية وسوق ساروجة ، وكثيرا ما كنت ارى الدموع فى العيون ، واستمع الى اللهفات تند من افواه اولئك الرفاق ، وكنت احس باللذة فى ترداد هذه الاحاديث فالح فى معرفة الامكنة والاشخاص والحوادث وهي تمر خلال الحكايات والروايات ، وكثيرا ما كنت اسال احدهم ان يرسم لي مصورا للمدينة التى عشقتها على السماع : والاذن تعشق قبل العين احيانا . فكنت احفظ ما فيه بدءا بالبحصة مارا بسوق علي باشا الى المرجة مصعدا حتى اصل الى المهاجرين .

لقد عرفت الحياة الدمشقية قبل ان ارى المدينة الخالدة ، وعشتها فى خيالي فكان الشوق دليلي اليها ، وفى الليلة التى تقرر فيها ان ازور دمشق ، لم انم ، لقد كنت احلم بدمشق ، حتى منعني الحلم من النوم ، وايقظتني التصورات حتى الصباح .

وجئت دمشق، تلميذا مرهقا متعبا، انهكني الدرس وقلة النوم ، وخوف الفحص ، ومررت بالسيارة فى شارع بغداد ، واحسست انني افتح عيني اكثر مما يجب ، لارى اكثر مما يتسع له البصر ، وانحدرت من هذا الشارع الى سوق ساروجة ، **ثم جوزة الحدباء** حيث كان الفندق الذى اخترناه او اختير لنا .

وسرعان ما تركت الفندق لا الوي على شيء، اريد ان ارى دمشق ، اريد ان اطوف فيها على مهل، وخرجت الى سوق علي باشا لازور اول مطعم اراه. وهو مطعم (وردة) عليه وعلى اصحابه واياه رحمة الله . ودخلت مشدوها **اتامل الجدران المزوقة** والسقوف المطرزة والنوافذ الملونة ، فاعجب بكل ذلك ويخطفني الخيال ليعيدني الى بلدتي الصغيرة القديمة فيحرجني البون الشاسع والفرق البعيد .

خرجت من السوق الى (المرجة) المرجة الخالدة، ساحة الشهداء ، فوقفت حيران التفت يمينا وشمالا اسال عن كل شيء لاني اريد ان ارى كل ما تخيلته سنين طويلة من الشوق والامل .

ولقد جئت دمشق اثب مع الشوق وثبا ، ولكن فكرة الفحص كانت تعكر صفوي ، غير انـي نجحت وكان دمشق ابت ان تخيب ظني فيها ، وعشت سنة اخرى ، واخرى ، حتـى امتـدت بـي الفـدوات والروحات طوال اربعين سنة ، وحتى قطنت المدينة التي لم استطع تركها منذ ان عرفتهـا لقـد وجـدت مصداق ما كنت اسمعه من الرفاق فاطمأننت اليهـا واحببتها ، وضحك لي الحظ فيها وكان معرضا عني واستجاب لي الزمن فلم اعرف فيها خذلانا ولا بأسا فازداد حبي لها وثبت على الايـام ، ولقد قيـل ، يحمد السوق من ربح .

ورأيت في دمشق ما لا يمكن ان أراه في غيرها، انها العاصمة التي ظلت زمنا مهوى الافئـدة وغايـة الشعراء والادباء من البلاد العربية وغيرها ، لقـد عرفت فيها شوقي وحافظ والرصافـي والزهـاوي ومطران ، وكان هؤلاء رجال العبقرية والعلم ، وكانت دمشق تبدو في زينتها حين يمـر بها احد هـؤلاء ، فتزدان مقاصفها ، وتبتسـم حدائقهـا لاستقبـال الضيوف من العظماء فكنا نجلس اليهم ونتحدث معهم ونحن في نشوة من هذه الفرحة النادرة والمناسبـة العابرة .

جاء شوقي وعبد الوهاب ، وجـاء حافـظ ومطران ، عرفنا فيها الشعراء والممثلين والمطربيـن والعازفين ، وهل عند الاديب اعظـم من هـذا ؟.. لذلك كله احببت دمشق .

وكان في دمشق، يوم عرفتها، اصحاب النكتة البارزون ، وقد مضوا الى رحمة الله فلم يخلفهـم احد ، وكأن الزمن قد انقلب ، او كأن الايام قد دارت بنا لتريننا صفحة اخرى من هذه المدينة الخالـدة . كان ابو درويش سويد وعلي الزركلي ، ووجيه الزين وابراهيم نصري وعادل ياسين وسليم شاكر وحسـني تللو ورشدي القوتلي وغيرهم وغيرهم ، وكانت هذه الالوان تجتمع كلها في المنازه أو البيوت مثل بيت فخري البارودي الذي كـان بيتـا ونـاديـا ومكتبـة ومصدرا للاشعاع الوطني . وهـو الـذي وصفـه الرصافي فقال من قصيدة :

من رام منكـم ان يعـز بـلاده
فليسع سعي معزها البارودي

لم نكن نعـد السـاعات ولا الايـام . اذ كان الزمن فرحا كله وكانت الاوقات تمر وكأننا في ارجوحة من الفرح والسعادة . وكان من المستحيل علينا ان نجد هذه الوليمة الفخمة من الفن والانس والفهم في غير دمشق ، ولهذا احببت دمشق .

ودمشق واقعة في بقعة معتدلة الهواء والماء تكاد تكون فريدة بين بقاع الدنيا ، تجـد فيهـا الجبـل والسـهل وتلقي الهضبـة والوادي ، ويلتقي فيها الحر والبرد والاعتدال . فيها الصحراء والخضراء، وكل له طعم ، كالخمر كل مليحة بمذاق ، كما قال شوقي ، ولو ذهبت شرقا لنعمت بدفء الغوطة وظلها الظليل، فاذا التفت غربا ، وجدت الماء والخضرة والماء الزلال ولو توقفت قاسيون (1) لاحسـست نظافـة الهـواء ولذيت الحياة في جـدك ، فاذا احببت الاصطياف خرجت بعيدا قليلا الى الزبداني لترى صورة مـن مصايف لبنان ومجالي أوربا . ان دمشق مجموعة من الالوان في اطار عجيب يضم اليه مختلف الاقاليم والمناظر والاهوية ولذلك كنت مجبـرا علـى حـب دمشق .

فاذا عرجت على اسواق دمشق ، وجدت نظاما ودقة ولباقة ، وتتحدث فتلقى لطفا وصوتا يؤنسك ويربحك حتى تشتري وانت في غير حاجة ، ولن تجد كالاديب محتاجا الى الانس والملاطفة ، لذلـك احببت دمشق .

فاذا اضفت الى ما في دمشق مـن مغريـات ومحببات ، الذكريات الحسان والايام الماضيـة ، ادركت سبب حبي وايثاري لدمشق . لقد احببتها حتى لم استطع فراقها ، ولو اردت كرهها لما قدرت على ذلك ، وهل يكره المرء حياته وما فيه ، وقد بات الماضي اكثر مما بقي

الفجـع بالشبـاب ولا اعـزى
لقد غفل المعـزي عـن مصابـي

دمشق هي الام الرؤوم ، والوالدة الحنون ، لم تبخل علي بشيء ، فلا اقـل من ان امنحهـا حبـي ووفائي :

سـلام مـن صبـا بـردى ارق
ودمع لا يكفكـف يا دمشـق

---

(1) جبل دمشق الشهير

لقد احب حافظ دمشق حتى بكى سرورا :

شكرت صنيعكم بدمـوع عينـي
وذمع العين مقيـاس الشعـور

لاول مـرة قـد ذاق جفـنـي
علـى ما ذاقـه طعـم السرور

ولكن دمشـق قد اعتلت وتغيرت ، لقد مشـى الزمن بها كما مشى بغيرها ، فصرفها عن حياة الانس الى حياة الجد والوقار ، لقد غابت البسمة والفرحة، ليحل محلها الجد والعمل ، والعمل امر لازم شريطة ان لا يمنعنا من الحياة ، فانا اكره العبوس والتقطيب، واضيق ذرعا بالوقار ، لاسيما اذا كان متكلفا ، لقد كانت دمشق بسمة مرحة فاصبحت عبوسا ، حتى بت لا اعرفها ، كما عرفتها ، فاذا مـررت اليـوم بمواطن الانس ، اندبت عيناي بالدموع . انا فى حاجة الى المرح القديم . المرح الذى عرفته فى دمشق ، يوم كانت دمشق تعمل وهى تبتسم ، لقد فقدت فى دمشق حياتي الماضية ، فانتقلت من عالم الى عالم. ولم يبق لي غير الذكريات استعيدها واتاملها وكانني ارثي عزيزا او ابكي صديقا .

ولعل ايام دمشق ولياليها ومجالسها ان تعود، لعلهـا .

بلد صحبت به الشبيبة والصبـا
ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثل فى الضميـر رايتـه
وعليه اغصان الشبـاب تميـد

لقد احببت دمشق لانني وجدت فيها ما تطلبه النفس وما يرغب به القلب .

دمشق ــ احمد الجندي

ثـــــواب !

عمل سهل بن هرون كتابا يمدح فيـه البـخـل واهـداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره :

قد جعلنا ثوابك عليـه مـا امرت به فيه .

المجلات الإسلامية

بشتى لغات العالم

ترجمة عن الإنجليزية الأستاذ محمد علي

كتب الاستاذ عبد اتباسط فى مجلة ــ اسلامك لتريتشر ــ الشهرية التى تصدر باللغة الانجليزية فى مدينة لاهور بباكستان بيانا باسماء ما عرفه من المجلات الاسلامية التى تصدر فى العالم بشتى اللغات مع ذكر عناوينها ..

واعتبر الكاتب صدور هذه المجلات والصحف الاسلامية فى مختلف بقاع العالم فى السنوات الاخيرة دليلا بارزا ليقظة شعور المسلمين بعد رقدتهم الطويلة ولتجدد نشاط الحركة الاسلامية فى كل ناحية من نواحي العالم فقال :

لقد هب المسلمون الذين يبلغ عددهم بين سكان العالم ــ 650 ــ مليونا من غفلتهم الطويلة واخذ النشاط وشعور اليقظة يدب بين جماعاتهم وصفوفهم، واجلى اثر واضح دليلا على ذلك قيام الصحافة الاسلامية فى كل جهة وجهادها المتواصل فى بث الوعي الاسلامي بين الطبقة المثقفة .

انها أي الصحافة الاسلامية الممثلة فى الصحف والمجلات الاسلامية بابحاثها القيمة ومعالجتها للشؤون الاسلامية ودفاعها عن قضايا المسلمين فى الشرق والغرب لتعكس للعالم اجمعه الروح الاسلامية العالية التى دبت فى الشعوب الاسلامية وقادتها وعلمائها وكتابها فاخذوا يعملون جاهدين فى قوة وعزم لرفع معاني السمو والعزة الاسلامية فى نفوس افرادهم ومجتمعاتهم ...

ولما كانت الصحف والمجلات عنوان هذا النشاط الاسلامي فى كل بلد وفى كل جماعة احببت ان اقدم للقراء اسماء هذه الصحف والمجلات وأماكن صدورها ليطلعوا عليها وليقفوا ولو على جانب من ذلك النشاط بمعرفة اسماء الصحف والمجلات الاسلامية بشتى لغات العالم .

واعتقد ان كل مسلم مثقف سيأنس لمثل هذا البيان وانه سيفرح لاخوانه المسلمين ونشاطهم كما يتألم لالمهم فالمسلمون كما وصفهم الرسول الكريم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ..

ويطلب الكاتب من قرائه ان يضم كل واحد منهم الى هذا البيان ما لم يرد ذكره واسمه من الصحف والمجلات الاسلامية .

ثم بدا بيانه بالمجلات التى تصدر باللغة العربية وفى البلاد العربية ولم يذكر فى المغرب بعض المجلات الاسلامية التى تعنى بالدراسات الاسلامية كـ « دعوة الحق » و « الارشاد » التى تصدرهما وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ومجلة «الكلمة» التى تبشر بالمثل العليا ونور الثقافة الاسلامية ؛ و«الامانة» التى تصدرها بتطوان ، جمعية «عباد الرحمان»

وكذلك «الميثاق» التي تهتم بالدراسات الاسلامية والدعوة والتجديد ، وتصدرها رابطة علماء المغرب . كما لم يذكر من المملكة العربية السعودية غير مجلة — رابطة العالم الاسلامي — التي تصدر بمكة . ولم يذكر مجلة «الحج» بمكة وصحيفة « الدعوة » بالرياض ومجلة « الجامعة الاسلامية الدورية بالمدينة المنورة » وكلها تعالج الشؤون الاسلامية .

ثم أورد الكاتب الاسماء الآتية :

1 — البلاغ الاسبوعية بالكويت
2 — المجتمع الاسبوعية بالكويت
3 — الوعي الاسلامي الشهري بالكويت
4 — الميثاق الاسبوعية بام درمان بالسودان
5 — اليقين كل نصف شهر بالعربية والانجليزية من كراتشي بباكستان
6 — الشهاب نصف الشهرية ببيروت لبنان
7 — القبس الشهرية تصدرها وزارة الاوقاف الجزائرية .
8 — الايمان الشهرية الرباط .
9 — حضارة الاسلام الشهرية دمشق سوريا .
10 — البعث الاسلامي لكهنو — الهند
11 — الهداية الاسلامية الشهرية وزارة الاوقاف بالاردن .
12 — البريد الاسلامي كل نصف شهر اسكندرية مصر .

ولم يذكر الكاتب :

13 — مجلة الازهر الشهرية بالقاهرة .
14 — المسلمون مرة كل شهرين جنيف سويسرا
15 — الغرباء مرة في كل شهرين جمعية الطلبة المسلمين في انجلترا .

المجلات الانجليزية الاسلامية

16 — ورلداف اسلام — العدد الاسبوعي من جريدة باكستان تايمز من لاهور
17 — مسلم ورلد — الاسبوعية من كراتشي بباكستان
18 — يونج باكستان — الاسبوعية من — داكا — شرق باكستان .
19 — راديانس — الاسبوعية — دلهي — الهند .
20 — مسلم نيوز — كل نصف شهر — ائلون جنوب افريقيا .
21 — اسلامك جاردين — كل نصف شهر — جورج تاون غيانا جنوب امريكا
22 — مسلم نيوز — الشهرية — كراتشي — باكستان
23 — اسلامك ليترتشر الشهرية — لاهور — باكستان .
24 — فويس اف اسلام كراتشي باكستان
25 ذي منارت — الشهرية كراتشي باكستان
26 — الجهاد الشهرية — مدينة الكاب — جنوب افريقيا
27 — مسلم دائجست الشهرية — دربان — جنوب افريقيا .
28 — لائت اف اسلام ، الشهرية ، كادونا نيجيريا — افريقيا .
29 — فري مسلم الشهرية — يصدرها اتحاد الطلبة ببريطانيا .
30 — ذي اسلامك ريفيو — الشهرية — لندن .
31 — الاسلام ، شهرية ، كولمبو
32 — فليبين مسلم نيوز ، شهرية ، مدينة باسي بفيليبين .
33 — لائت اف اسلام ، شهرية ، بالانجليزية واللغة الصينية — كوالا لمبور — ماليزيا .
34 — نيوزليتر ، شهرية ، كلكتا — الهند
35 — نيوزليتر ، الشهرية — ولاية انديانا بالولايات المتحدة الامريكية
36 — زي منارت — الشهرية استراليا
37 — فويس اف اسلام ، الشهرية — غيانا جنوب امريكا .
38 — نيوزليتر ، الشهرية — جاكارتا — اندونيسيا
39 — ذى كريترين — مرة في كل شهرين ، كراتشي — باكستان .
40 — الاسلام — في كل نصف شهر — جزائر فيجي في المحيط الهادي الجنوبي
41 — فويس اف اسلام — في كل نصف شهر — طوكيو اليابان
42 — زي لائت — في كل نصف شهر — دار السلام تنزانيا .
43 — ذي كوريا اسلام — في كل نصف شهر — سيول كوريا
44 — لوتي بولتين — الدورية من جامعة نيروبي كينيا .

45 ـ اويك ـ الدورية لجمعية الشبان المسلمين ترنسفال جنوب افريقيا .
46 ـ مسلم افريكا ـ الدورية ـ جوهانسبرج ـ جنوب افريقيا
47 ـ نيجرين جورنال اف اسلام ـ الدورية نيجيريا .
48 ـ لائت ، الدورية ـ تصدرها جمعية الطلبة المسلمين فى تسمانيا باستراليا
49 ـ ورلد مسلم ليج، الدورية ـ سنغافورة .
50 ـ اسلامك هيرالد ـ ترينيداد ـ من جزر الهند الغربية .
51 ـ الاحبة ، الدورية ـ لاهور ـ باكستان
52 ـ بوليتين ، الدورية ـ سورابايا ـ اندونيسيا
53 ـ الاتحاد ، مرتين فى السنة ـ ولاية وسكونسن بالولايات المتحدة الامريكية .

مجلات باللغة الافرنسية

54 ـ فرانس اسلام ، فى كل نصف شهر ـ باريس .
55 ـ لايتون سلمان ، الدورية ـ باريس
56 ـ لايكو د اسلام ، مرة فى كل شهرين ـ جزيرة رتين بالمحيط الهندي .
57 ـ مسلم افريكا ، الدورية ـ داكا سنغال
58 ـ ليه كرواسان ـ الدوربورت لويس جزيرة موريش
59 ـ لافوا د اسلام، الشهرية ـ جزيرة موريش

باللغة الاسبانية

60 ـ فويس اف اسلام ـ كوردوفا الارجنتين .

باللغة الالمانية

61 ـ المسلم ، الدورية ـ المانيا الغربية

باللغة البنغالية

62 ـ بيرنيبي ، الشهرية ـ داكا ـ شرق باكستان

باللغة الصينية

63 ـ اسلامك ريفيو ، الدورية تايوان ـ فرموزا

باللغة التركية

64 ـ الاتحاد ، الاسبوعية ـ اصطمبول
65 ـ اسلامي مدنيت ، الشهرية ـ اصطمبول
66 ـ هلال ، فى كل نصف شهر ـ انقره
67 ـ اسلامك ثات ، الدورية ـ اصطمبول

لغة الملايو

68 ـ كلام ، الشهرية ـ سلانقور ـ ماليزيا
69 ـ قبلة ، الشهرية ـ جاكارتا ـ اندونيسيا
70 ـ ممبر اسلام، الشهرية ـ جاكارتا ـ اندونيسيا
71 ـ بمبنا ، الشهرية ـ جاكارتا ـ اندونيسيا

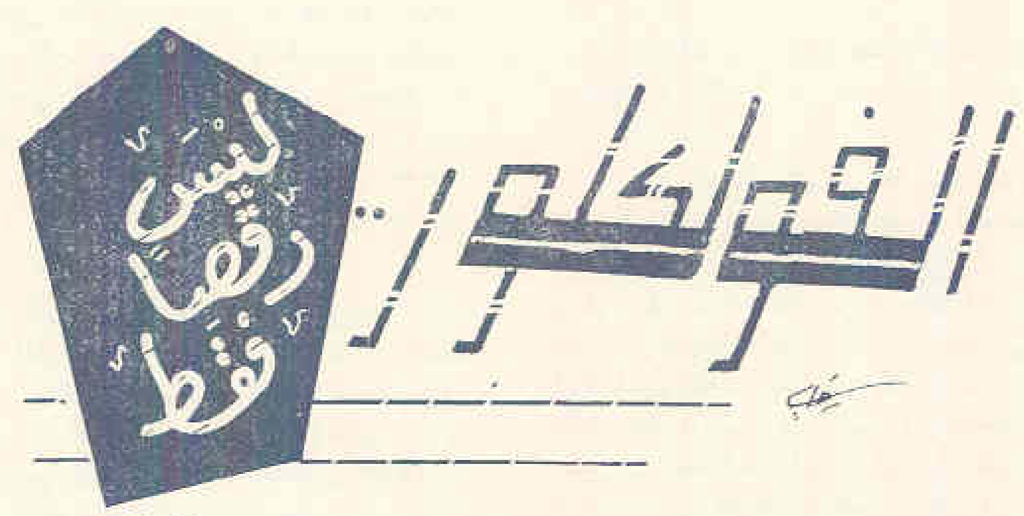
باللغة الاردية

72 ـ نداء الملت ، اليومية ـ لاهور ـ باكستان
73 ـ جسارت ـ اليومية ـ كراتشي ـ باكستان
74 ـ دعوت ـ الاسبوعية ـ دهلي ـ الهند
75 ـ زندكي ـ الاسبوعية ـ لاهور ـ باكستان
76 ـ ايشيا ـ الاسبوعية ـ لاهور ـ باكستان .
77 ـ ترجمان حيات ـ مرة فى كل شهرين حيدر اباد دكن ـ الهند .
78 ـ اردودائجست الشهرية ، ـ لاهور ـ باكستان .
79 ـ سيارة دائجست ، الشهرية ـ لاهور باكستان
80 ـ جراغ راه، الشهرية ـ كراتشي ـ باكستان
81 ـ ترجمان القرآن ، الشهرية ـ لاهور ـ باكستان
82 ـ تولو ، الشهرية ـ كشمير
83 ـ بيغام ، نصف شهرية ـ لندن ـ انجلترا .

والى هنا تنتهي هذه الاسماء ويرجو الكاتب ان تكون هذه الاسماء كنوع من التعارف بين المشتغلين بالشؤون الاسلامية فى مثل هذا الوقت الذى تعاونت فيه قوى الشر من النصرانية والشيوعية والصهيونية والمجوسية ضد الاسلام .

فالنصرانية تقوم بالحركات الصليبية فى الشرق الاوسط كثأر للهزيمة التى منيت بها فى الحروب الصليبية الاولى وذلك باتخاذ اليهود وسيلة لاغراضهم والمسلمون العرب فى الشرق الاوسط مشتغلون مع الاسف فى تقوية اواصر القومية العربية ونجاح المسلمين ونصرهم مضمون ـ باذن الله ـ اذا اخلصوا فى جهادهم لدينهم واسلامهم وانهم اذا صدقوا فى ذلك استطاعوا ان يستردوا قوتهم الدولية ويستعيدوا حقوقهم المسلوبة .

عن مجلة «اسلامك لترتيش»



للأستاذ محمد محمد الخطابي

الفولكلور كلمة جرمانية قديمة تعني معارف الشعب ، ومأثورات الشعب ، او كل ما يصدر عن الشعب من غناء ورقص وادب وحكمة ومثل وغير ذلك ، وبمعنى اجمالي هو روح الشعب النابضة او ضميرها الحي الذى يعكس لنا اهواء ونوازع هذا الشعب صاحب هذا الفولكلور ..

ولقد كانت بداية الاهتمام بهذا العلم الجديد فى فى اواخر القرن الثامن عشر ، واوائل القرن التاسع عشر ، فى كنف الثورة الصناعية الكبرى ، والثورة الفرنسية حيث بدات الدول تشعر بالقوميات ، والرغبة في الانتماء بعد أن تفتح الذهن البشري على الاكتشافات العلمية العديدة ، واطلالة العقل الانساني على الطرق والمناهج العلمية فى مباحثه التاريخية والادبية وغيرها ، فاتجهت من ثم العناية الى المأثورات الشعبية بصفتها احد مظاهر الشعوب، ولئن كانت هذه المأثورات — فى القديم — تروى وتتناقل متواترة من جيل الى آخر فقد جاء عصر التدوين والدراسة والتعليق ، فكانت العناية بهذا العلم ، بل بهذه العلوم المختلفة — ولقد كان لاستقرار العالم نسبيا من اهوال الحروب ، ولانحسار النفوذ الاجنبي ، ولقلة الفتن والقلاقل ، ولاتجاه الشعوب الى البحث عن مقوماتها الحضارية ، والضرب فى تراثها الضمير — كان لكل ذلك الاثر الكبير فى العناية بهذا العلم (كما كانت العناية ايضا بغيره من العلوم الاخرى) حيث ابدت تلك الشعوب رغبتها فى التعارف والتقارب فيما بينها ، فكانت من ثم حركات الترجمة والمبادلات الثقافية التى شملت جميع هذه الامور بما فيها الفولكلور .

غير ان هذا العلم الجديد لم يجد الطريق معبدا سهلا بل وجده طريقا صعبا كؤودا مليئا بالاشواك ، اذ قامت فى وجهه موجة من السخط ورمت اصحابه بالتفاهات والحمق ، وذهبت الى ان صنيعهم هذا ان هو الا مجرد هراء لا غير ، فكيف تجوز العناية — فى نظرهم — باشياء تافهة تصدر عن الشعب ! وهؤلاء انما يستندون الى هذه النظرة الخاطئة لانهم لا زالوا يطلون من «بروج عاجية» معتقدين ان كل ما ينتمي الى الجماهير انما هو ساذج بسيط وخال من القيم الفنية والمتعة والفائدة فى آن واحد ، وبطبيعة الحال فقد ذهبت ادعاءات هؤلاء ادراج الرياح وشق علم الفولكلور طريقه ومط هذه الصراعات ، واصبح الآن يدرس تقريبا فى جميع جامعات العالم كعلم قائم بذاته ، واصبحت له مجلات قيمة خاصة تعنى به وبالتعرف بمختلف فروعه ، واصبح له انصاره ودارسوه ، والمحبون له والمهتمون بـه .

والفولكلور ليس رقصا او طربا فحسب ، كما يخيل للبعض ، بل انه كما اسلفت تراث الامة الهائل الذى ورثته عبر الاجيال وهو يتمثل فى شتى مظاهر هذه الامة من انشطة فنية او ادبية سواء فى ميدان الغناء او الرقص أو الامثال او الازجال أو الحكايات

الشعبية أو السير وما اليها .. فكل هذه الامور تنخرط تحت اطار الفولكلور العام ، وهو العلم الذى يدرسها ، أقول هذا لان الشائع او المعروف لدى البعض ان الفولكلور يعني الرقص والطرب ، وبمجرد ان يقال مهرجان الفولكلور يتطرق الى ذهنهم انه مهرجان الرقص الشعبي أو الطرب الشعبي .. الفولكلور المرة الاخرى هو مجموعة تراث الشعب ، وكل ما يصدر عنه من فعل او قول ، في اللحن ، او الحركة ، أو الرواية ..

ولا يشك احد انه على اي امة أن تعني عناية فائقة بهذا التراث الشعبي الزاخر من مأثوراتها ، لانها واجدة فيها عديداً من الصور والملامح القديمة لهذه الامة ، وكل من اغانيها ، وامثالها ، وحكمها ، بل ورقصها ، وطقوسها ، كل هذه النفائس الشعبية (التى يظنها البعض خرافات ..) تحوي تاريخ هذه الامة ومعتقداتها ، وتعبر خير تعبير عن روحها ، وتلقي اضواء ساطعة على ما ابهم من ماضيها القديم ، وتعكس بطريقة او بأخرى آمالها وتطلعاتها نحو مستقبل الغد المشرق الذى تصبو اليه .

ثم أن الفولكلور — في الواقع — هو وجه اي امة ، فيه تعرف مدى ما يعتمل في نفوس افرادها من نوازع واهواء وانه ليمكننا أن نستشف بعض خفايا واسرار هذه الامة من طرائق رقصها ، ومن امثالها ، ومروياتها ، فانت ترى الرجل الافريقي يرقص على جلد حيوان مفترس تحت دقات الطبول المدوية المتوالية التى تعبر عن التصميم والانتقام او عن الشجاعة والنصر ، في حين ترى نقيضه الاوربي يرقص تحت نغم رخيم فيه انسياب وميوعة وهدوء ، وهذا يدل على رقته وليونته بحكم بيئته وماضيه ومزاجه ومعتقداته ، ثم اننا واجدون ذلك في الشعر والامثال والحكم (يقول المثل العربي الذى يعزى الى المتنبي : مصائب قوم عند قوم فوائد) .. ويقول المثل الانجليزي ويعزى الى شكسبير : (زوبعة داخل فنجان) وبعقد مقارنة سريعة بين بعض امثال الشعوب تعطينا مدى اختلاف الامزجة والطباع والاعتقادات بين هذه الشعوب ، وما الملاحم الكبرى التى انفرد بها الاغريق في القديم الا انعكاس لمزاجهم الذى يبيح تعدد الآلهة واجواء السحر والكهنوت ، الشيء الذى وقف بالعرب عند حد التجريد دون التعمق ، ومن خلال بيت واحد من ابيات النابغة الذبياني نستنتج المزاج العربي القديم فهو يقول في مجال الرثاء :

حسب الخليلين نأي الارض بينهما
هذا عليها وذاك تحتها بالي

انه وقف عند بداية تصور المأساة دون تعمق و تحليل ، والامثلة على هذه الامور كثيرة متعددة ليس الآن مجالها .

ثم ان الفولكلور ان هو الا تجسيد للماضي في صورة الحاضر الذى يشكل بدوره المستقبل ، وكما هو معلوم ان لا حاضر ينشأ من فراغ او عدم بل لابد ان يقوم على دعامات واسس ، والفولكلور احدى هذه الاسس والدعامات بدون شك ، لانه من الشعب واليه ، وتربطه به صلات وثيقة جداً نابعة منه ، صادرة عنه ، وتعبر عن مشاعره ومطامحه واهوائه . وليس من شك ايضا في ان دراسة الفولكلور تكشف لنا النقاب عن حقائق تاريخية لم تكن في الحسبان ، فبعد العثور على ملحمة « جلجامش » الشهيرة اخير ازاحت الحجب عن كثير من الحقائق المجهولة ، وغيرها من الملاحم التى تؤول تأويلا رمزيا فتعطينا نماذج من صور الشعوب واعتقاداتها وعباداتها وانماط حياتها في القديم .. الخ ..

ثم ان اشكال النحت والرسم والاقنعة التى نعثر عليها بين اليوم والآخر ، والتى تدخل في صلب دراسة الفولكلور ، لتعطينا مزيداً من المعلومات والمعارف المجهولة وكذلك الشأن في النقوش وما كتب عليها من رموز وحكايات ، كلها تخدم نفس الغرض .

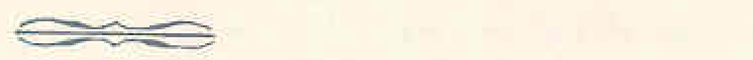
وفي الاخير الفولكلور : فن جميل حسب ميول واتجاهات المهتمين به من (رقص ، وغناء ، وامثال ، وحكم ، وسير ، وأساطير .. الخ) فكل يعشق لونا معينا من هذه الالوان ، وتثير فيه من الاحاسيس والشعور ما تجيش به النفس بالسعادة والغبطة ، والغريب ان هذا يحدث ليس فقط لابناء الشعب الواحد بل يشترك فيه عديد من الشعوب على اختلاف جالهم ونحلهم وتاريخهم ولغاتهم وموقعهم ، فانا لا اشك بتاتا في ان كلا منا يطرب لمعزوفة موسيقية هندية او روسية مثلا ، او يسر لرقصة الدبكة اللبنانية او الفلامنكو الاسبانية ، او رقصة الحصاد او الصيد عند الافريقيين ، او لقراءته الالياذة او الاودية ، أو الشاهنامة ، او المهاباهارتا ، او كليلة ودمنة وهلم جرا . فجميع الشعوب تشترك في الفخر والحفاظ على هذه الكنوز النفيسة من المأثورات الشعبية ، وهذا ما يزيد من تقارب هذه الشعوب ومعرفتها لبعضها ، وجعلها تترنم وتتغنى تحت نغمة واحدة الا

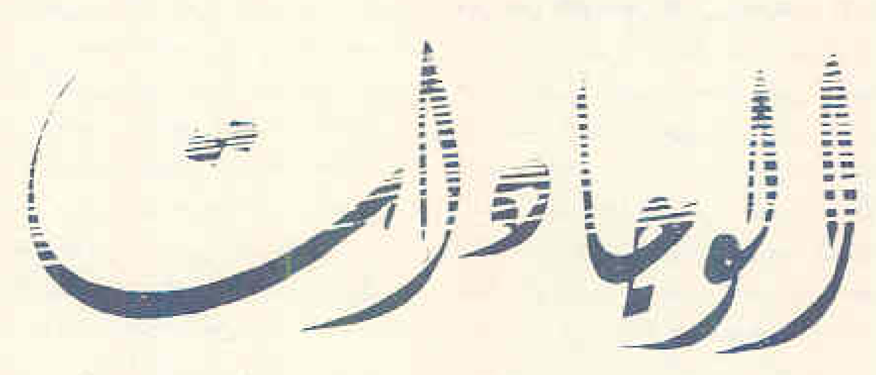
وهي نغمة الحب والمسرة والسلام. من هنا كانت مسالة التبادل الثقافي على مختلف اشكاله وصوره ضرورة من الضرورات المهمة بين الشعوب ليس فقط على الصعيد (الفني) كالرقص والطرب ، بل على الصعيد العام من حيث السير والقصص الشعبي الجميل ايضا الذى يلقي اقبالا كبيرا فى جميع انحاء المعمور . ولقد فطنت كثير من الدول الى هذه الحقيقة ، فانشات مدارس ومعاهد خاصة للرقي بهذه الفنون اولا ، ثم لتصديرها الى الخارج ثانيا ، على شكل تبادل ثقافي – فني بينها وبين غيرها من الدول الاخرى ، وهناك كثير من الفرق الشعبية من مختلف دول العالم تتنقل بين البلدان المختلفة ، وتقدم عروضا رائعة تسر الناظرين ، وتضفي عليهم السعادة والسرور على اختلاف اجناسهم والوانهم .

وثمة مسالة خطيرة للغاية بشان صاحب هذا الفولكلور او مبدعه ، فهناك من يقول أن صاحبه وواضعه هو الشعب، وهناك من يقول غير ذلك ، ولديه أن الشعب ككل لا يصنع شيئا بطريقة سحرية مبهمة تلقائية ، بل ان السر فى هذا الخلق يؤول الى عبقرية فردية هي صاحبة الفضل الاول فى ظهور العمل الشعبي (سيرة ، مثل ، حكمة ، ازجال .. الخ) ثم انتقل – هذا العمل – بعد ذلك عبر الاجيال بين الناس فتناقلته هذه الاجيال فيما بينها فزادت فيه احيانا، ونقصت واضافت وحذفت احيانا أخرى. ولكن مهما يكن من امر فان الفضل يرجع – فى نظري – الى مبدع فردي او الى عبقرية فردية ، وهذه حقيقة فلا يعقل ابدا ان يخلق الشعب شيئا ككل ، بل لابد ان يكون هناك مجهود فردي ثم اصبح جماعيا مشتركا بعد ذلك . وبقيت كلمة سريعة جدا **بخصوص مهرجان الفولكلور الذى يقام هذه الايام بمدينة مراكش،** وهي انه ينبغي الا تظل هذه الفرق فرقا قائمة بنفسها هائمة على وجهها تعتمد على اجتهادها الشخصي وحسب ، بل ينبغي ان توفر لها جميع امكانيات لتطوير والرعاية والتشجيع واخذها على مناهج الدراسات الحديثة فى الحركة والايقاع والصوت والتجديد ، ثم لا ينبغي أيضا ابقاؤها داخل البلاد فقط بل علينا ان نختار اجودها ونعنى بها حتى تكون سفيرتنا فى الخارج لتقدم عروضا هناك على غرار العديد من الفرق العالمية الاخرى .

ومما لا شك فيه ان الفولكلور المغربي زاخر بالمواهب والاصالة ولكنه يحتاج الى توجيه سديد ، وهو مطالب بالتجديد (اذا تكلمنا عن الرقص والغناء بصورة خاصة) فهذان اللونان محتاجان الى التجديد والتطوير حتى لا يمل منهما المستمع او المتفرج ، خاصة وانهما يعتمدان فى الغالب على النغمة الواحدة المكررة او الايقاع الواحد المعهود على عكس العديد من الفرق الشرقية العربية مثلا التى تتعدد النغمات فيها وتتنوع لتفادي التكرار الممل، فالتطوير والتجديد والتنويع والتشجيع كل هذه المسائل ضرورية جدا اذا اردنا لفننا الشعبي ان يرقى الى منازل الفولكلور العالمي الراقي الذى يسمو فوق الذوق والروعة والاعجاب .

الرباط – محمد محمد خطابي





للاستاذ : عبد القادر زمامه

336 ـ الشكـــاز ... !

وجدت فى كتاب « روح القدس فى محاسبــة النفس » للامام محيي الدين بن عربي الحاتمي . عنــد ذكره شيخه ابى علي حسن الشكاز ... ص 62 .

« خرج يوما الى دور بني صالح بجلود له ينقعها فى النهر .. ويبسطها فى الشمس .. فمرت به امراة من اهل اشبيلية .. ! وفيهم وفى نسائهم حــلاوة وظرافة .. ! فقالت لصاحبتها : تعالي نمازح هــذا الرجل فانه شكاز ... !

« والشكاز عندنا المشتغل بهذه الجلود الرقاق .. على نوع ما يبيضها ، ويلينها كثيرا .. بعد شدتهــا . فاتخذ اهل البلدة هذه اللفظة ، لفظة الشكاز لقبا للرجل لا يقوم بالنســاء ... ! »

« فوقفت عليه المراة .. ! وهو يذكر الله تعالى . وكان هو كثير الذكر .. ! لا يفتر .. ! فقالت : الســلام عليك يا اخي ... فقال : عليك السلام ... ورجع الى ذكـــره ... !

فقالت له : ما صنعتك .. ؟ وما حرفتك .. ؟

فقال : خلي عنك هذا .. !! وعلم ما تريده .. !!

فقالت له : لا بد من هذا ... !

فتبسم .. ! وقال لها : انا رجل ابل اليابس .. ! والين الشديد .. ! وانتف المشعر ... !

فولت . وهي تضحك ... ! وقالت اردنـــا ان نرميه .. فرمانا ... !

« وكان جليل الشان .. ! سليم الصـــدر .. ! ما اضمر شحناء لاحد قط .. ! لا يعلم ما الناس فيه . ولا يتخيل ان فى الوجود من يعصي الله تعالى ... !! »

337 ـ تلغنجـــة ... !!

وجدت فى كتاب « المزايا فيما احدث من البدع فى الزوايا » لمؤلفه الشيخ الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري المتوفى سنة 1239 هـ .

« ... ولا يفعله غالبا الا النساء والصبيان .. ! ومن لا خلاق لهم .. ! من السفلة .. ! انهم ان جــف الوادي من الماء ، وانقطع المطر ولاحت امارات الجدب، والغلاء . عمدوا الى مغرفة كبيرة يسمونها تلغنجــة بالبربرية ... ! يلبسونها الكتـــان والحريـــر ... ويزينونها . كالنبات من القصب .. !

ويخرجون بالآلة المذكورة فى ضوضاء وضجيج الى الوادي ويتضرعون . وربما بكوا وتخشعوا ... ! وفى نادر الاحوال يعقبهم السقي والمطر ... !

وقد اغنانا الله عن هذا ومثله بما سن لنا نبينـــا عليه السلام ... من سنة الاستسقاء ... ! »

338 ـ لابن حزم الظاهـــري ... !

وجدت في جذوة المقتبس للحميـدي ص 293 هذين البيتين وقد نسبهما المؤلف للامام ابن حـزم الظاهـــري :

لئن اصبحت مرتحلا بشخصــي
فروحي عندكم ابــدا مقيـــم

ولكن للعيان لطيـــف معنـــى
له ســال المعاينــة الكليـــم

339 ـ لابن الغلـــو .... !

ووجدت فيها ايضا ص : 177 لجهور بن محمد التجيبي المعروف بابن الغلو ... !

قلت يوما لـدار قـوم تفانـوا
اين سكانــك الكـرام علينـا

فاجابت هنا اقامـوا قليـــلا
ثم ساروا ولست اعلم اينـــا

340 ـ مختصر كتاب الفصوص ... !

في ترجمة سعد بن احمد التجيبي المعـــروف بابن ليون من درة الحجال ج 2 ص 469 انه اختصـــر عدة كتب من جملتها : «كتاب الفصوص لصاعد اللغوي»

341 ـ استخلفته العرب على لسانها ... !

في القسم المخطوط من ذخيرة ابن بسام ... ! يقول المؤلف اثناء ترجمته للشريف المرتضى ... ! في حق ابي عبيد البكري الاندلسي مؤلف سمط اللآلي وغيره من الكتب اللغوية والجغرافية ...

« وابو عبيد هذا كان آخر علماء افقنا بالاوان .. واولهم بالبراعة والاحسان .. ! حتــى كان العـــرب استخلفته على لسانها .. ! والايـــام ولتــه زمـــام حدثانها ... ! ! »

342 ـ حتى يكون بناؤه مقلوبا .. .!

وفي القسم المخطوط المذكور ايضا ... انشد ابن بسام في ترجمة ابي عبد الله بن قاضي ميلة قوله :

اشقى لجـدك ان تكـــون اديبـــا
او ان يرى فيك الـورى تهذيبـــا

ان كنت مستوفي ففعلــك كلـــه
عوج .. ! وان اخطات كنت مصيبا . !

كالنقش ليس يصح معنى ختمـــه
حتى يكون بناؤه مقلوبـــا (*)

343 ـ فما عندنا ... ! ولا عنده ... !

وفيه ايضا في ترجمة ابن عبد الله بن قاضـــي ميلة ... هذه الابيات ... ! قالها في ابن البواب الذي تولى وزارة المعز بن باديس ثم صرف عنها ...

اقول لــه ان طيشتـــه رياســة
انت غفلة .. ! مهلا فقد غلط الدهر

ترفق يراجع فيك دهـرك عقلـــه
فما سدت الا والزمان به سكـــر

فما برحت ايامــه ان تصرمــت
وما عندنا شكر .. !! ولا عنده عذر .!

344 ـ كتاب الفضائح لابن حزم ... !

وجدت في كتاب معجم البلدان لياقوت في مادة بربر ... ما نصه .. !

« ولهم في هذا فضائح ... ! ذكر بعضها امـــام اهل المغرب ابو محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي في كتاب له سماه (الفضائح) .. ! ! »

345 ـ جمل يدحرج فص ياقوته ... !

وجدت في القسم الثاني من كتــاب الخريـــدة للعماد الاصفهاني ... من الجزء الخاص بادب المغرب والاندلس ص : 679 .

(*) نسبت هذه الابيات في تعليقات جيش التوشيح ص : 261 ليحيى السرقسطي المعروف بالجزار .. !!

« وقال ابو القاسم الاسعد بن ابراهيم بن بليطة.. فى وصف أسود احدب يسقيه خمرا ... !

يارب زنجـي لهـوت بـه
شمس الضحى لدجاه ممقوتـة

وكأنـه والكـاس فى يـده
جعل يدحرج فص ياقوتـة

346 ـ أوتي العلم صبيـا ... !

ووجدت فيه ايضا ص 56 لابن الحسن الحصري فى ابى العرب الصقلي .. !

معجـب كالمتنبـي
وهو لا يحسـن شيـا

ان هـذا يحيـوي
أوتي العلـم صبيـا

347 ـ سكـري الاهـاب ... !

وجدت فى كتاب (محاضرة النديم) وهو ديوان شعري مخطوط بقلم صاحبه وهو المرحوم الشاعر ابو عبد الله محمد غريط ... به مقطعات شعرية رائعة المبنى والمعنى مرتبة على حروف المعجم وقد انهى جمعها سنة 1340 هـ .

اليـوم سكـرى الاهـاب
والروض مخضر الجنـاب

وعـرائـس الادواح قـد
لبست مطـرزة الثيـاب

وصـوادح الاطيـار تـر
قص فوق عاليـة القبـاب

تسلي المتيـم مـن تذكـ
ـرة لميـة والربـاب

فكأنهـا خـود مغنـ
ـية باصـوات عـذاب

فرحـا باقبـال الربيـ
ـع حبيب اخلاق الشبـاب

فعـلام تكتـك مفـردا
عن جمع أنس مستطـاب

فاغتنم صفـاء الوقـت مـن
قبل التصـرم والذهـاب

348 ـ فقيهان يحضران (ركبة) عروس ...!

وجدت فى نقول مجموعه من نوازل الزياتي ...

« وقد شاهدت بفاس سيدي علي بن هـارون ، والفقيه النبيه النبيل سيدي عبد الواحد الونشريسي دعيا معا الى « ركبة » عروس ... ! وحضراها معا . مع شبان امام العروسة ... ! والنساء خلفهما .. ! وهن يولون .. ! ولم ينكـرا .. ! ولم يغيـرا ... ! وكان حضور هذين الامامين بالقصد منهما .. ! فلـو كان هناك منكرا او بدعة ... ! معاذ الله ان يحضرا ..! لانهما ممن يقتدى بهما . ولا فى غربنا اكبر منهما ...! وكفى بهما حجة .. ! والنسـوة المذكورات متنقبـات ومتلحفات .. ! فاعلم ذلك اعزك الله .. ! وكن منه على يقين .. ! ولا يدخلنك فيه شك ولا ريب ... ! ! »

349 ـ بين نمام وواش ... ! !

وجدت فى فهرسة ابي القاسـم بـن سعيـد العميري ... ! ان شيخه ابا محمد عبد القـادر ابن شقرون المكناسي صاحب المنظومـة الشهيـرة فى الطب ... ! انشده هذه الابيات :

وشى روض البنفسج ثـوب روض
به النمام دب على الحواشـي

فلمت طيـوره لمـا اثـارت
خصاما قبل الفجـر فـاش

فقالت كيف السلو عـن خصـام
وانـي بيـن نمـام وواش

350 ـ فى عين ماضي ... !

وجدت فى ترجمة الشيخ اللغوي محمد بن الطيب الشركي محشي القاموس ... دفين المدينة المنورة ... من كتاب سلك الدرر للمرادي ج 4 ص 94 ... هذه الابيات لابن الطيب المذكور :

عين ماضي بها عيون مواضـي
فاعلات فعل السيوف المواضي

والتفات الغزال لمـا غزانـي
صائلا صولة الاسود المواضـي

وقدود تزهـــو اذا قـــدت القلـــ
ـــب ازدهاء الاغصان بين الرياض

351 ـ سكنى الشيخ سقين ... !

وجدت فى فهرسة ابي العباس المنجور التي اجاز بها المنصور الذهبي ... عند ذكر شيخه المحـــدث الرحالة عبد الرحمن سقين ... وما قراءاته من كتاب موطا الامام مالك .... !

« قرات بعض ذلك عليه بجامع الاندلس من فاس عند باب مصرية الخطيب التي بها سكناه ... وهـــو الخطيب بها اذذاك .. ! وبعضه باسطـــوان عرصتـــه بالزربطانة من طالعة فاس فى اوائل سنة 955 هـ » .

352 ـ دراسة العروض فى اسطوان الدار ... !

وجدت فى ترجمة محمد بن احمد بن الشاذلـــي الدلائي من السلوة ج 3 ص 47 .

« وفى البدور الضاوية وغيرها أنه يحكى أن علـــم العروض انقطع مرة بفاس .. ! ولم يوجد من يحسنه .! سوى صاحب الترجمة .. ! فطلب فى اقرائه . فأجاب الى ذلك ... بشرط ان يقرئه فى اسطوان داره .. ! حياء من التصدر ...!! فقرىء عليه هنالك وحقـــق عليه .. ! وكان كل واحد ممن قراه عليه من المحققين فيـــه .. !! »

353 ـ اقـــــوال ... !!!

وجدت فى كتاب (عدة المريد) للامام الصوفي احمد زروق رحمه الله ... هذه الاقوال التي كانـت رائجة فى عصره ... !!

قيل فى اهل الاندلس : انهـــم اهـــل حـــق وتناصـــف ... !

وفى اهل الجبال : انهم اهل وبال ... !

وفى اهل السواحل : انهـــم اهـــل لبـــن .. وقلـــة ديـــن ... !

« ويقال : المغربي كالجوزة . ظاهره قـــاس . وباطنه طيب ... !

والافريقي كالتمرة . ظاهرها لين ... وباطنها قـــاس ... !

والمصري مثل جنة التين .. ! طيبها طيب .. ولكنه لا يدوم ... ! وخبيثها لا يمكن خيره »

354 ـ ثلاثون الف عالم واديب ... !

وجدت فى المحاضرة التي القاها المرحوم الاستاذ محمد كرد علي فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى شهر مارس 1948 م ... والتي نشرت بمجلة كليـــة الاداب بالاسكندرية المجلد الرابع 1948 م ...

عند كلامه على المستعرب الايطالي الاميـــر .. كايتاني :

« وكان يعد للنشر تراجم ثلاثين الف عالم واديب من المسلمين فى الاندلس ... !!!

وهي جذاذات جمعها طول حياته المستشـــرق الاسباني ريبـــرا .... !!! »

فاس : عبد القادر زمامة



حسناء تختلب القلوب وتلقط   نبع المحاسن من ثراها ينبط (1)

كم عاذل في حبها قد لامني   فتركته في عذله يتشحط

كم قال لي : كيف استطبت مدينة   فيها بغربتك الاليمة تربط ؟

وعن النخيل ومائه وهوائه   أمسى بصدك في رباطك مربط

فاقول : لا تعذل ، فان صبابتي   بخريدة البحر البهيجة تفرط

لا غربتي اشكو ، ولكن عاقني   حب الرباط ، فأين مني المسقط ؟

فاقم هنا تنس الجنوب ونخله   وتر الرباط عن الجنوب تثبط

جرب ـ اذا انكرت صدق مقالتي ـ   سحر الرباط فانه لمورط

اين البسيط تغبرت ارجاؤه   من مربع بروائه يتربط ؟

يختال في ريف رطيب ناعم   وبكل باسقة الغصون يسمط

لا تجتلي فيه السراب ، ولا ترى   الا تموج خضرة تتمطط

غاباته مخضلة مخضرة   طول المدى ، من ريها لا تقنط

احراجها ملتفة ، ومروجها   من سندس بها ارضها تتنمط

لا كالرباط ـ اذا عرفت ـ مدينة   هي للمحاسن والمباهج مهبط

فالبحر هام بها فناجى قلبها   متوجعا ، يشكو هواه وينحط (2)

والنهر يلمسها برفق حاذرا   متثاقلا متلبثا يتثبط

خود تجاذب بالغرام فؤادها   بحر ونهر ، فانبرت تتوسط

هي بين حضني عاشقيها درة   مكنونة محروسة لا تلقط

---

(1) ينبط : ينبع

(2) نحط ينحط : زفر

او ما ترى لالاءها متلمعا   منتشرا فوق البطاح يحطحط (3)

يحنو عليها البحر حين يشمها   ــ شوقا ــ فتشعر بالحنان ينشط

وخطى «أبي رقراق» تقرع سمعها   فتروقها وتهزها وتغبط

وكانما وقع الخطى في اذنها   لحن به ملك المسرة يهبط

ومنارها يرنو اليها واعيا   احداثها متتبعا يتسقط

«حسان» ابقى منه اوثق حارس   يرعى حمى امجادها ويحوط

ويذكر الاجيال سر بنائه   ويبثهم خبر الفتوح ويبسط

فكانما « يعقوب » عنده حاضر   ومعسكر ، والجيش حوله يلغط

ولواءه المنصور يخفق عاليا ،   ومبشر بالفتح صاح يعيط

وكان نصر « الارك » ظل مرددا   اصداءه ، وطبول جيشه تخبط

ذكرى مخلدة ، مفاخر مجدها   قرط به اذن « الرباط » تقرط

ام الفتوح ، هي المجاز الى العدى   وهي المعاد المرتضى والمهبط

احبب ببنت المجد ، غرس مظفر   يده على الدنيا بها لا تغمط

«يعقوب» مفخرة السياسة والحجى   والقامع الشرك العتيد ــ المحبط

فلقد بنى لله معقل امة   ومباءة فيها علاها تضبط

ما زالت الايام ترهب عزها   ويذاد عنها غاصب متسلط

فالله بارك في بناء طيب   فلوجهه خط البناء مخطط

قد كان منطلق الجهاد ، ومربطا   يحمي ثغورا حوله تتبسط

فاذا به قد صار مأوى دولة   علوية ، لسريرها يتأبط

واذا به للفتح اصبح مطلعا   لما تولى غاصب متورط

فكانه بالفتح كان ولم يزل   قدرا به كيد الاعادي يحبط

واها لفال النصر في تسمية   ما كان يخلف وعدها او يغلط !

فاذكر «رباط الفتح» واذكر يمنه   واشهد بانه بالسعود منوط

واذكر مفاخره التي يزهى بها   وحضارة يدلي بها وينمط

واشهد بانه في المعارف والنهى   متقدم ان كنت ــ حقا ــ تقسط

جمع المحاسن كلها فسبى بها   من كان ربعه في الاقاصي يشحط

— * —

يا لائمي ! ان « الرباط » لجنة   طوبى لساكنها ، فانه يغبط

اني ببهجتها فتنت ، قصرت من   جرائها فيما ذكرت افرط

الرباط ــ المدني الحمراوي

---

(3) يحطحط : يهبط



كان ميلادك يا خير نبي
رحمة عمت جميع العرب
ومنى ترجم راس الحقب
زحفت فى الشرق ثم المغرب
حلما غنى بها كل ابي
ومضى يحيا بعيش طيب
لم يذقه قبل هذا ابدا

— ❋ —

كان ميلادا لمجد المسلم
ونشيدا حل فى كل فم
وهوى طاف بقلب المغرم
وضياء فى الظلام المعتم
ونداء فى ضمير النوم
وسحابا سح فى الروض الظمي
هلل الكون له حين بدا

— ❋ —

ليس ينسى الناس ماجئت به
من هدى قد كنت من اسبابه
آية كبرى لدى اصحابه
لم يدع قلبا الى اوصابه
بل سقاه البرء من اكوابه
فانتشى واختال فى اثوابه
يرفع الراس ويمشي سيدا

— ❋ —

لست انسى يوم قالوا قد تبدى
وجهه الحلو يضيء الآن مهدا
ما راى الراؤون ريحانا ووردا
فاح بالعطر ومنه كان اندى
ان فى برديه للتاريخ مجدا
سوف يروى كلما مر رويدا
حين يرجو الناس اسباب الهدى

— ❋ —

كانت الارض به مغنى سرور
تتجلى فى جمال وحبور
كعروس خطرت بين الزهور
تتهادى فى دمقس وحرير
كتهادي الغصن فى الروض النضير
يملأ الروح من الأنس الكثير
بهجة.. نفسي لها كانت فدى

— ※ —

لازمته شدة لا تنجلي
ورماه الدهر بالخطب الجلي
وسقاه من كؤوس الحنظل
وابتلاه بالعدو الأول
ذلك اليتم الذى لم يعدل
وهو والفقر كمثل المعول
وهو يزداد عليه سؤددا

— ※ —

لم يهن – رحمة مولاه عليه –
او ينل هذا وهذا اصغريه
او ليهدده فراق والديه
او يعوق زاحف المجد اليه
والأماني كلها طوع يديه
ترضاه وتمشي جانبيه
ترقب الخير الذي يأتي غدا

— ※ —

قد دعا الناس فلما اعرضوا
وفشا الجهل وهاج المرض
واستبدوا كلهم واعترضوا
وبدا الطيش وقالوا غرض
سوف يمضي.. وغدا ينقرض
وبواتيه النوى والحرض
والشباب الغض يطويه الردى

— ※ —

ثم ما زالوا على الكيد له
وهو لا يأبه مما حوله
او يداري عن كبير قوله
فعرى الباغين منه الوله
وانبرى للظلم يبري ذيله
فاختفى خزيان يبكي هبله
وينادي صار امري بددا

— ※ —

وكتاب الله تأتي آيته
كدوي الرعد تعلو صيحته
وله فى كل سمع نغمته
وله فى كل قلب رهبته
وهو وحي الله جلت قدرته
عالم الغيب تناهت حكمته
يصدع الجهل الى اقصى مدى

— ※ —

فتحوا الارض فلما ملكوا
وازدهى بالحكم هذا الفلك
وسواء سوقة او ملك
جعلوا القرآن فيما سلكوا
مشعل النور فولى الحلك
يسدل الليل على من هلكوا
ويحيل الكون منهم فرقدا

— ※ —

نحن ان عدنا الى ذلك الكتاب
فتح الله علينا كل باب
وهدانا – دائما – نهج الصواب
وحبانا بره يوم المآب
وتولانا اذا خطب اصاب
وحمانا من كلاب وذئاب
فلنعد لله.. فالله المدى

— ※ —

انهض العرب الى الشأو الفسيح
فسموا للخير والقصد الربيح
واستقادوا بحجاهم كل ريح
واصاروا الدهر كالثور الذبيح
وسموا بالدين عن فعل القبيح
وهو دستور من الراي الصحيح
لم يجئنا الله بالدين سدى

— ※ —

لم تقف فى وجهه دعوى دعي
او اباطيل حقود وغوي
بل مضى بالرغم منهم كالأتي
يبعث الخصب الى الجدب الابي
ويشيع الانس فى الربع الخلي
ويروي القلب بالماء الروي
كلما دوى له فيهم صدى

— ※ —

هل نرى ما كان قد عاد الينا
فاذا نحن ولا عيب علينا
والمنى كل المنى طوع يدينا
امرنا امر اذا كنا ابينا
وقف الدهر فلم يمش الهوينا
اين يا ايام هذا العهد اينا
صار ذكرى سوف ننساها غدا

— ※ —

سوف ننساها وننسى ما مضى
وضياء قبل هذا ومضا
واحاديث لجيل قد قضى
لم نجد من بعد منه عوضا
والليالي شأنها أن تعرضا
نترضاها وهيهات الرضا
فهي حرب نارها لن تخمدا

— ※ —

فرق الدهر هوانا فرقا
بعد ما كنا كغصن أورقا
اشعل النار له فاحترقا
وجرى بالخلف فينا ازرقا
يرسل الضغن ويوحي الارقا
ويربي فى النفوس الفرقا
والمواسي فى الايادي والمدى

— ※ —

رب الف ذلك الشمل البعيدا
وامنح الاسلام فى الدنيا المزيدا
واحبه نصرا وتمكينا جديدا
فلقد ذقنا وعانينا شديدا
وبتلك النار اصهرنا الحديدا
رب فارزقنا من الراي السديدا
قد بسطنا لك يا رب اليدا

القاهرة ـ د. ابراهيم ابو الخشب



حي المجيد الشاعر الفريدا   حي الاديب العالم الصنديدا

حي الذى زان البيان بسبكه   فجلا « بحلوي » يصوغ قصيدا

حي الذى جئنا نجدد عهدنا   بلقائه لما اقام بعيدا

حي السري الالمعي وقل له :   ترجوك فاس ان تكون سعيدا

وتود ان تحظى باوبة نازح   عنها لينقلب الصدود ورودا

ما ذنبها والذكريات بقلبها   ترسي لشاعرها البليغ عهودا ؟

ما ذنبها ولجامع فيها له   ذكرى تزيد مع الزمان خلودا ؟

فى مدحه املى « قصيدا » لم يزل   بين الروائع حاكيا عنقودا

حلقات اعلام المعارف ديمة   هطلت فكانت وردنا المنشودا

وتوثقت صلة الرفاق بظلها   يجنون من روض العلوم مزيدا

فى كل درس رغبة مجنوتة   بالعلم تطرد جهلنا المنكودا

فتتابع السير الحثيث الى المنى   بعزائم تستوحش التقليدا

لكن شاعرنا يفاخر دوننا   بعرائس تدع الخلي عميـ...

ويفوق فى صوغ البيان رفاقه   فيرون فيه الملهم المحسودا

واذا الربيع سخا ببسمة فحلنا   بـز «الربيع» على الطروس عقودا

فزهت على وادي «سبو» بخريدة   سحبت على تلك الضفاف برودا

واذا ابن يوسف زار جامعة لنا   وقف المجيد يغازل التمجيدا

وخرائد فى عيد عرش لم تزل   للشاعر الغطريف املد عودا

ما زال يهتف مبدعا في مدحه — ومخاطبا محبوبنا المفقودا :
« مولاي ماذا يبتغي الشعراء من — مدح يصاغ قلائدا وعقودا
يهدونك الشعر الذى ألهمتهم — عذبا وكنت معينه المورودا
حق عليهم ان يؤدوا شكركم — والله شكر ما يكون قصيدا »
يا أيها الخل الوفي تحية — لك من اخ يهدي اليك نشيدا
ولو انه وجد السبيل لصاغه — فنا يضارع فنك المحمودا

فاس ـ الحاج احمد ابن شقرون

وما قدر الدنيا ..!!

قيل لمحمد بن واسع :

هؤلاء زهاد ... فقال : وماقدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها ...



سالوا « ينبع » (1) عن نبع الكمال ... واكتبوا التاريخ ، من وحي الرمال

واقرؤوا الآثار في الواحها ... تقرا الدنيا به سفر المعالي

واسالوا ركب الليالي .. ما الذي ... لقن الامجاد سمار الليالي ؟

و (سجلماسة) من ارسى بها ... هرم المجد على عرش الجلال ؟

واسالوا (الداخل) من فاز به ... في الثرى (2) بعد خصام وجدال ؟

(وبقيعا) (3) قسموه اربعا — ... وترابا .. ذرعوه بالحبال (4)

نزل الداخل فيها (وسطا) ... مستقلا ، عن يمين وشمال !

واستوى (السد) على اعتابه ... شامخا ، في كبرياء واختيال

ركع السيل على اقدامه ... يتهادى في خشوع وابتهال

يسال النخل ؟ فمن باركه ... بعد عقم ؟ فاتى بابن الحلال (5)

ورمال البيد ، من حولها ... عرصات ، وارقات بالظلال ؟

ايها الداخل ، يلقاك بها (الحسن الداخل) في صحب وآل

والمطايا .. هاجها الوجد فضاقت بها الساح ، على رحب المجال

---

(1) اصل سلف المولى حسن الداخل من ينبع النخيل وكان اقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم جدهم علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه .

(2 ـ 4) لما توفي رحمه الله تنازع اهل سجلماسة في موضع دفنه حتى كادت نار الحرب تنشب بينهم فاجمع رايهم ان يدفنوه في محل وسط هم فيه سواء ، فمسحوا ارض سجلماسة بالحبال وقسموها ارباعا ودفنوه بمكان سوي يتوسط جميع النواحي .

(3) كانت مقبرة سجلماسة تسمى ببقيع المغرب لما دفن فيها من الاشراف المصطفين الاخيار .

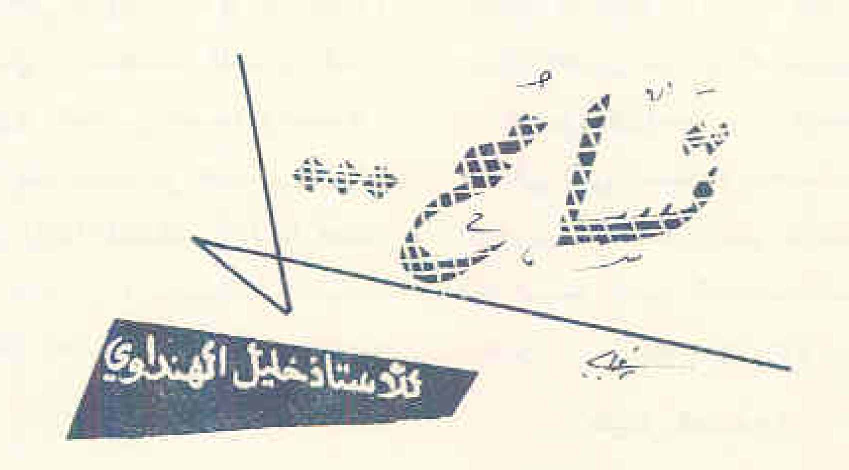
(5) قيل ان اهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فذهبوا الى الحجاز ابتغاء استقدام رجل من اهل البيت تبركا به فاتوا بالمولى حسن الداخل فحقق الله رجاءهم واصلح ثمارهم حتى اصبحت سجلماسة تسمى هجر المغرب .

والصحاري .. غارقات في السنا ... تلهم الافلاك اسرار الجمال
راقصات ... تتلقى (حسنا) ... وبه ، كل امانيها الغوالي
شامخات ... تتباهى بابنها ... وولي العهد ، والشعب المثالي !!
فيناجيه (رشيد) في الذرى ... ويناغيه (علي) في العلالي
ليس بدعا .. ان نري أسد الشرى ... في الثرى . تختال عرض الاحتفال
فالبطولات ، تحيي بطلا ... لم يزل يصنع أبطال النضال
جدك (الداخل) كم صان الحمى ... من دخيل ، غره طيف خيال (6)
ولكم حام صليب حوله ... فتهاوى تحت اشعاع الهلال (7)
جئت – مولاي – تروي تربها ... بزلال ، وسجايا ، كالزلال
وتقود (الثورة الخضرا) بها ... في نظام ، واتزان ، واعتدال
انت – والماء ينمي غرسها ... صنت ماء الوجه عن ذل السؤال (8)
(واد زيز) فاخر الدنيا بنا ... في اعتداد واعتزاز ودلال
وارو عن صحرائنا للمنتهى ... همسات الفجر في اذن الرمال
واحك للبدر حكايات الهوى ... واحاديث العشايا للغزال
انت يا صحراء – دنيا ، ما بها ... من خداع ، ونفاق ، واحتيال
صقلت صفحتك الشمس ، فلم ... تتلوث ببريق (الكرنفال)
وبرى طينتك الفضل ، فلم ... تتدنس بالخطايا والضلال
واستقام الطبع في ابنائها ... سالما من وصمات الانحلال
نزلت فيك النبوءات من السـ ... ـماء الاعلى ، على دنيا الخيال
وارتوى عبقر من ينبوعها ... فرأينا (حسنا) خير مثال !!
أنا أكبرت حجاه، والوفا ... وتعشقت به نبل الخصال
ومضى شعري في اوصافه ... يخجل الدر . ويزري باللآلي
انا ان احببته ... لا فضل لي ... انا بالابطال صب .. ما احتيالي ؟
باركوا حبي ... كما باركه ... رجل يكبر اخلاص الرجال
واسالوا الله له طول البقا ... كسؤالي .. يستجيبه ذو الجلال

تونس : مفدي زكرياء

---

(6) اشارة إلى انه انقذ المملكة المغربية من اطماع الدخلاء بعد تصدعها.
(7) اشارة الى انه انقذ بيضة الاسلام من الاستيلاء الصليبي .
(8) اشارة الى ان كثرة الانتاج تضمن للشعب الاكتفاء الذاتي وتغنيه عن الاستعانة (الكلية) بالقروض الخارجية



انت انسان ، وانسان انا ... فلماذا نحن خصمان هنا ؟

ولنا في هذه الارض مدى ... اتراها غصت الارض بنا ؟

تنبت الارض لنا ازهارها ... ثم لا ننبتها الا قنا ..

ارضنا ـ ان شئت ـ تغدو مسكنا ... واذا شئت استحالت مدفنا

ما جنت ارض علينا ، انما ... قلبنا المسعور بالحقد جنى

قد فقدنا الحب في مهجرنا ... ونصبنا البغض فينا وثنا

نحن في دنيا الاماني شيع ... همها ان تستثير الفتنا

تزدهينا دمن فاسدة ... ثم نروي بدمانا الدمنا

يا اخي ! قصرك قصر شامخ ... أكثير أن ترى الكوخ لنا ؟

يا اخي ! من انت لولا ساعدي ؟ ... وهوى ـ بالرغم منا ـ ضمنا

ايها السائل عني من انا ؟ ... انا ذوب الحب طيبا وجنى ..

انا من ارسلت قلبي عاشقا ... يرحم القبح ويهوي الحسنا

ساناديك ولو ضاع الصدى ... وادق الباب حتى تاذنا ..

كن كما شئت وخالف مذهبي ... لن تراني حاقدا مضطغنا

مذهبي الحب وايماني الهوى ... لا غنى كالحب في دنيا الفنا

لو رعيت الحب للحب لما ... كنت في شرعي الا مؤمنا

موطني الانسان لا لون له ... فاجعل الانسان مثلي موطنا

واخي الانسان لا جنس له ... لا حدود لا قيود بيننا

فى دروب الحب سل عنا الشذا ... هل غرسنا الدرب الا سوسنا

كم بذلنا للهوى من قلبنا ! ... ما أردنا لهوانا ثمنا

قد كفانا غربة أن الردى ... وحده يجمع يوما شملنا

يا أخي ما لوننا ؟ ما جنسنا ؟ ... نحن للارض رماد كلنا

محن أرصدها الدهر لنا ... فاذا نحن نعين المحنا

بورك الدهر فما أرحمه ! ... اننا أصل الرزايا ... اننا

لا تحاول وخز قلبي ناقما ... أنت فى قلبي مسيئا ، محسنا

ان زرعنا البغض يأكلنا معا ... ان غرسنا الحب يزهر حولنا

أدن مني ! ستراني دانيا ... فاذا أنت مع الحب أنا

واذا نحن على هام الدنا ... نتحدى ... نتحدى الزمنا

خليل الهنداوي





في هداة الليل البهيم — وطهارة القلب السليم
اسجد لربك خاشعا — فالله ذو الفضل العظيم
فهو المهيمن اذ له — في خلقه السر العميم
احد يقوم بذاته ؛ — وجلاله سكن الصميم
وخضوعنا لله فيه لروحنا العز المقيم
فاصقل فؤادك يا اخي ؛ — ولتنهج النهج القويم
فالله في عليائه ؛ — رضي الصراط المستقيم .
واثبت على نهج الصوا — ب ورتل الذكر الحكيم
فالروح تعشق جوهرا — من ذلك الدر النظيم
مهما يطل ليل الهمو — م ؛ فان ذلك لا يدوم
فالله يبريء علة — ويخفف الداء الاليم
وهو العليم بما تكن صدورنا ؛ وهو الحليم
والنور من لالائه — قد اشرقت كل النجوم
سبحان من يحيي الموا — ت ؛ ويبعث العظم الرميم
فجماله سر يحير في روائعه الفهوم
وفنونه قد جللت — بفتونها كل الرسوم
في كل شيء آية — لبدائع الرب الكريم
داود في مزماره — نغم وترديد رخيم
ترويه اصداء الخلو — د ؛ وروعة الازل القديم
خمر المحبة خير ما — يسقيه في الكأس النديم
اذ نشوة الرضوان لم — تحلم بها خمر الكروم
من كان مثلي فهو في — شرع الصبابة لا يلوم

اني على العشاق اعطف عطفة الحدب الحميم :
في الحب ، بين رحابه ،   كل بليلاه يهيم !
رقصت على ذكر الحبيب قلوبنا ، وغدت تحوم
حول الضيا فراشه   لا تتقي نار الجحيم
والشمع ذاب ، ولم يقم   من نفسه صوت مليم
يفنى ليحيا غيره ،   ولسره دوما كتوم
والنور جذاب يؤلف حوله أهل النعيم
والحب لولاه لصا   ر المرء يحيا كاليتيم
لم ندر نحن ، ولا الذين تقدموا ، منه النخوم
وأرى الفناء به حيا   ة ليس فيها من رجوم
من كان في حصن الاله ، فليس يخشى من هجوم!
لا ينكر الاحسان الا جاهل ، وغد لئيم
والله مقتدر صبو   ر ، يستر الفعل الذميم
نفحاته سبحانه   لا تغفل العبد الاثيم
يا ويحنا اذ لا نرى   كم في اللذة من سموم !
ما بالنا نحيا على   نهج الغرور المستديم ؛
نبقى على الاوهام نر   عى رغبة الطبع الظلوم
وننام في الغفلات ، والاهمال مرتعه وخيم
ما اجهل الانسان فهو بكفره قط غشوم !
وهو الضعيف ولو طغى ،   ولو اغتنى فهو العديم
ملكا تراه ، وتارة   يمسي كشيطان رجيم
لا حكم الا للاله المبدع الفرد الحكيم
انا لنبرأ من وسا   ئلنا فنحن لها خصوم
اذ اي تدبير لعبد في خصاصته غريم ؟!

— * —

يا ايها الانسان لا   تملا فؤادك بالهموم
ان التفاؤل شيمة   للعاقل الشهم الرحيم
وانظر الى الدنيا بمنظار التأمل يا فهيم
فالعبرة الكبرى جلت   عنك الوساوس والغموم
والشمس تشرق حين تنقشع الدياجي والغيوم
وبدون ايمان أتجديك التجارب والعلوم ؟

لا يبعد الجسم القوي بقلبه الفحل السقيم
فالروح اشراق يزيل بصحبه عنك الوجوم
والعطر يحمله اليك من البساتين النسيم
فاخضع الى صوت الضمير ، وجانب الجدل العقيم
والدين والدنيا لاجلك حكمة صارت تقوم
صنوان ، فافهم يا فتى ، بهما تحقق ما تروم

— ❊ —

يا رب ، يا نبع الصفاء ، وطلعة الأمل الوسيم
مهما تكن خلجاتنا فلانت بالنجوى عليم
فبحق ذاتك يا مهيمن ، يا مدبر ، يا قديم ،
وبحق طه والمسيح ، وصنوه موسى الكليم ،
والمرسلين الانبياء الاولياء على العموم ،
وبحرمة الشهداء من كانوا فداء للحريم ،
والمسجد الاقصى ، ومكة مهبط الذكر الحكيم ،
وبطيبة الفيحاء ذات الفضل ، والروض الفخيم ؛
ادرك بلطفك امة كادت قيامتها تقوم !
واجبر كسور المسلمين بمحق صهيون الزنيم
في القدس اعداء نردها بزمزم والحطيم
فلقد طغى من لا يهابك ، او يصلي او يصوم
واضيعة الحرم الذي قد داسه الوغد اللئيم !
تكل السلام حماته في ذاك العهد القديم
فابعث (صلاح الدين) فينا ، يكسح الليل البهيم
وانظر الى شتى الجراح ، وقد كست منا الاديم
وانصر جنودك ، واكشف الاهوال والرزء الجسيم
واحفظ لنا (الحسن) العظيم ، فانه شهم زعيم
للحق امسى رائدا ، وسما بمنطقه السليم
واكلا (ولي العهد) بالبركات ، والذكر الحكيم
وامنن علينا بالخلاص ، فانت تواب رحيم
واختم بخير ، ان فضلك ليس ينفد ، يا عظيم !
ما احسن الظن الجميل بمحسن بر كريم !!

الرباط — محمد بن محمد العلمي



نور قديم على آفاقنا اتقدا   كأنه ليس الا اليوم قد ولدا

لا الليل يحجبه ، لا الفجر ينسخه   لقياه عيد لآليه تشع هدى

يراه منتشرا فى كل آونة   يهديه من دنا منه ومن بعدا

حرارة الشوق تذكي فى جوانحنا   هوى اليه ولفح الشوق ما خمدا

يا مصدر النور ، فى مسراك اخيلة   ينهل منها هوانا ما نريد غدا

كأن وجهك مشكاة يمازجها   نور الاله وليست تنطفي ابدا

ما بال من قد يروم اليوم طمس ضيـ   ـاء الله وهو يراه اينما قصدا ؟

كالحب تجمعنا ، كالعزم تحفزنا   كالوحي تلهمنا الايمان والرشدا

من خصب سدرتك الخضراء عاد الى   قلبي اليقين بهي الوجه متقدا

عبير ارضك اشهى فى نسائمه   من كل طيب اذا ما الطيب فاض ندى

يا مصدر السحر ، ياوجها يطل ولم   يترك بلا بسمة من نوره احدا

الف ارتعاش الى دنياك يحملني   تطلعا له فى الوجدان الف صدى

لقياك عيد سرى جذلان فى جسدي   وحرك اليوم ما فى عمقه همدا

رفت غلائلك الشقراء والتمعت   كالحب حين يروي الروح والجسدا

الف ارتعاش يدب اليوم فى كبدي   ويملأ الروح والوجدان والخلدا

يعربد الطهر فى روحي كأن لها   عينا ترى الله فى عليائه صعدا

مستعجل الخطو امشي نحو غرته   يا ما صحاري سرت فيها منفردا

حتى رأيت ينابيع الضياء على   آفاق «يثرب» لما جاوزت «أحدا»

هبت على افقها الانسام ساحرة ... الكون من فيضها القدسي قد وردا

فيها تلاشت خطايا النفس وارتحل الشيـ ... ـطان حين رأى فى شهبها الرصدا

يا مصدر النور ، يا فجرا توهج فى ... الدنيا وبدد ما فى افقها احتشدا

يلملم الحب احساسي وينعشه ... عطر الحنين واشواقي تمد يدا

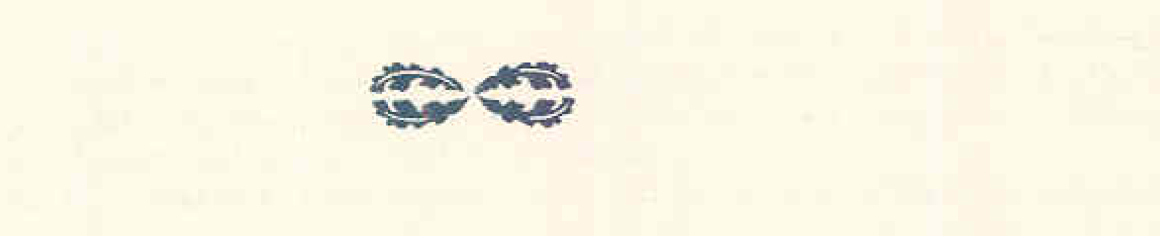
دم، فالسهوب توالى والأسى غمرت ... استاره افقنا، واسود كل مدى

وفى الجوانح نار ليس يطفئها ... الا صباح مقيم اينما وجدا

دم فى سراك ففى مسراك امنية ... رشفت من سحرها ما يطفىء الكمدا

دم، فالرؤى فتقت فى الروح اودية ... تحنوا على شطها اشواقنا ابدا

العرائش ـ حسن الطريبق







- 3 -

حاولت في العرضين السالفين مرتكزا على مختلف الاعتبارات والاحداث أن أوضح أن الاسلوب الدبلوماسي المغربي الواضح الذي خطه المغرب لنفسه ، والذي يرتكز على التفاهم والتعاون المتبادل ، ويستقطب التعايش السلمي قد مهد له الطريق ، وأوضح له المسالك مما جعل دبلوماسيته تحقق له خطوات منظمة ولو انها تبدو هادئة .

وعلى أساس هذا الاتجاه ، واستمدادا من روحه في العمق والشكل ، انطلقت دبلوماسية المغرب الجديد .. ومنها استوحى اهدافه البعيدة بعد ان فجر انطلاقة افريقية سنة 1961 .. وسار في المقدمة يخطط لتاسيس منظمة الوحدة الافريقية ، ويبلور اهدافها ، وينطلق منذ البدء في تحقيق أغراضها ، وجعل مراميه القريبة والبعيدة حقيقة واقعة ..

واذا كانت الضرورة التى دعت الى تاسيس منظمة الوحدة الافريقية هي ضرورة الوحدة التى تؤمن بها شعوب افريقية ، وهي الضرورة التي تمهد لهم الطريق للاجتماع حول مائدة مستديرة واحدة ، فان الاجتماعات التى تعقدها هذه المنظمة منذ ابتدات حتى الآن لها عاملان اساسيان لهما اثرهما في :

- البعث الافريقي .
- وفي القضاء على المخنفات الاستعمارية .

والذين تتبعوا اعمال كل المؤتمرات الافريقية منذ وضعت الخطوط الاولى لاجتماعها لا شك انهم لاحظوا الخيوط الجديدة التى نسجتها اعمال هؤلاء الاقطاب في هذه المؤتمرات ، وهذه الخيوط تمس مختلف الجوانب التى استطاعت دول افريقية المستقلة والمتطلقة ان تحقق فيها الخطوات المطلوبة لتركز استقلالها وتخليصها من التبعة الاستعمارية .. ومما لا زال يهيمن عليها او يحاول السيطرة عليها من الايديولوجيات المتصارعة بين الشرق والغرب بغية اهداف اخذت مراميها تتضح للعيان .. وتتكشف مخططاتها ..

واذا كان المغرب ينتهج اسلوبا دبلوماسيا يعتمد في عمقه انه جزء من افريقية ، بل صلة وصل بين هذه القارة وبين العالم الخارجي .. فان هذه القاعدة تفرض عليه ان يرتكز اسلوبه الدبلوماسي على الوفاء لهذا المبدا في كل الحالات ، وعلى جماعه اساس النهج الذى يسلكه الدبلوماسي المغربي في اي بقعة من بقاع العالم ، وعلى اي حال يوجد في مركز من حيث هو صلة وصل ، وملتقى بالنسبة لكثير من الاعتبارات .

صراع الوضوح

واذا كان السلوك الدبلوماسي المغربي منذ عشر سنوات او اكثر .. اي منذ سنة 1956 قد

اوضح وجود وضوح فى الاختيار منذ البدء فان الموقف المغربي كنا نتأكد مسبقا ــ وقد اكدت التجربة ذلك ــ من اصالته اولا ، لاننا وكما عودتنا الحياة والتجربة ان لا نقف موقفا لا يتفق والواقع الانساني والوضوح لاسباب مفروضة فى اختيارنا الموروث ايمانا من المغرب بانه يعلم ويحس بأن موقفه دائما هو موقف كل مواطن افريقي ، وهو طريق افريقية ، وما دام الاعتقاد هو الوصول الى النتائج التى تنتظر البعث الافريقي المنتظر ايمانا منه ان طريق المستقبل هو طريق الوضوح والعمل الجدي ، وهو الطريق الموصل الذى يحتم علينا ان لا نترك الفرصة لاستعراض الاساليب والخطب والاصوات مرة اخرى خصوصا وان تاسيس منظمة الوحدة لا يعني التجمع او التهدئة ؛ ولكنها تعني تنظيم الوحدة المنشودة ، وتركيز البعث ، وتخليص القارة بمفهوم افريقي واسلوب منبعث من اعماقها..

وتلك هي حقيقة الاتجاه المغربي دائما ، وحقيقة اسلوب عمله الذى رفض المواقف الاستعراضية فى كل المؤتمرات التى يشارك فيها ، او المرتجلة ..

وعلى كل حال فالذي يجب ان لا ننساه ، كيف ينظر العالم اجمع وعالمنا الثالث الى هذه المؤتمرات التى تدعو اليها والتى تجمعنا على مختلف المستويات الى نتائجها ؟

اننا ونحن نتاهب دائما لاجتماع جديد لابد ان نذكر ان المؤتمر الاخير اكد انه :

1) لا يوجد بين الدول الحديثة اكثر من الرغبة فى تحرير الآخرين ..

2) وكان الهدف الرئيسي فى الخطابات والقرارات تستهدف الحملة على الاستعمار

3) وبدات جهود جديدة لحمل جميع البلدان الافريقية على قطع علاقاتها الديبلوماسية والتجارية مع جنوب افريقية والبرتغال .

4) ثم ان منظمة الوحدة الافريقية وضعت وسيلة طيبة على اي تدخل اجنبي ، ولعزل القارة عن الحرب الباردة ..

5) ولتحقيق الاستقرار الذى تحتاج اليه افريقية للتخلص من القبلية والفقر .

وهكذا ستبقى اهمية منظمة الوحدة الافريقية لا تمكن فيما نفعل او نتحدث عنه ، وانما فى وجودها الافريقي المخطط بوضوح لنصل الى ما نهدف من ورائه حتى تكون لهذه المنظمة الفعالية والقدرة الممكنة للوصول الى الاهداف المخططة نحو قيام وحدتنا الحقيقية .

قبل ميلاد منظمة الوحدة :

واذا ما انتقلنا لتحديد مواقف المغرب من المشاكل الافريقية قبل ميلاد منظمة الوحدة الافريقية التى تبلورت فيها مختلف المواقف ، وتوحدت فاننا نجد ان للمغرب مواقف محددة نحو هذه المشاكل قبل ميلاد المنظمة :

أ) فى مجال مقاومة الاستعمار فى افريقية :

يسجل بكامل الفخر ، وبكل اعتزاز للديبلوماسية المغربية ادراكها المبكر للدور الذى كان على المغرب ان يقفه من القضايا الافريقية على اختلافها، ولذا فقد سجلت الديبلوماسية المغربية منذ سنة 1956 :

اولا : مساندتها المساندة المطلقة للحركات الوطنية والتحريرية فى جميع نقط القارة الافريقية على الصعيد الدولي ودافع عن حقها فى التخلص والسيادة .

ثانيا : لم يتاخر المغرب عن تقديم اي عون مادي او معنوي الى هذه الدول بدون قيد او شرط « والعالم كله يعرف ما قدمه المغرب للجزائر فى كفاحها الطويل ، وما عاناه من متاعب ومضايقات انتقاما منه لمساندته هذا الكفاح (21) » مما لا يتسع له المجال فى هذه الدراسة .

ولقد اتسمت مواقف المغرب دائما فى هذا المجال كما حددها كتاب وزارة الخارجية المغربية : **« الديبلوماسية المغربية فى عشر سنوات من مارس 1956 الى مارس 1966 »** بواقعية وبروح واضحة فى مرماها واهدافها وهو ما جعل مساعدته « للحركات التحريرية الوطنية الافريقية شاملة عامة،

(21) كتاب « الديبلوماسية المغربية فى عشر سنوات » صفحة : 65

ففي الوقت الذي كان يؤيد ويمد الجزائر بالعتاد والمال والفداء ، ويرفع صوته عاليا من اعلى المنابر الدولية في الدفاع عن حقها في الاستقلال والحرية ، لم يفته ان يولي نفس العناية لاخوانه الافريقيين في انجولا، وفي موزمبيق وكينيا ، وروديسيا كلها ، ايمانا منه بوحدة الكفاح ، ووحدة المصير .

ففي كينيا ابى صاحب الجلالة الملك المعظم محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ الا ان يرسل تعليماته الخاصة الى سفير جلالته في لندن بالاتصال المباشر مع وزير خارجية بريطانيا لسراح الزعيم الافريقي الرئيس جوموكنياتا في سنة 1960 ، وساهم جلالته بقدر مهم من المال في الحملات التي نظمت في بريطانيا للدفاع عن هذا الزعيم ، وعلى هدي هذه السياسة ، وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ وفدا للمشاركة في اعياد استقلال كينيا ، والاعتراف بها ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها » .

وقد توج جلالة الحسن الثاني بزوغ عهده بالرعاية التي شمل بها « مؤتمر المنظمات الوطنية للمستعمرات البرتغالية ، الذي عقد في الدار البيضاء 18 ـ 28 ابريل 1961 ، وكانت رعايته لهذا المؤتمر اكبر مشجع للمكافحين الافريقيين الذين ما زالوا يرزحون تحت نير الاستعمار البرتغالي على الاستماتة في الكفاح ، ومنذ ذلك اليوم حققت هذه المنظمات انتصارات عسكرية ، وسياسية ، في انجولا ، وموزمبيق ، ولذلك يعتبر تاريخ هذا المؤتمر نقطة تحول وانطلاق في كفاح هذه المستعمرات .

تم استقبل المغرب في مناسبات مختلفة ، زعماء روديسيا ، ومد اليهم المساعدة المادية ، واعلن تأييده لهم في مقاومتهم للاستعمار (22) »

ولم يرتكز اهتمام المغرب على نوع من المساعدات المادية والادبية لحركة التحرير ، بل اهتم ايمانا منه وثقة بالمصير المختار ـ بتكوين الاطارات التي ستملأ المراكز المحتلة من طرف الاجانب بعد تخليص البلاد فقدم لهم منحا دراسية (23) لمتابعة دراستهم في المعاهد والجامعة المغربية مخططا بذلك آفاقا جديدة نحو تعزيز الاواصر والتعاون الثقافي مع الاقطار الافريقية دفعت المغرب الى الاستمرار في تخصيص المنح الدراسية ، واستقبال وفود الطلبة لعدد من الدول الافريقية هي : السينغال والسودان والجزائر ومالي وغينيا ونيجيريا والصومال والحبشة وكينيا والنيجر .

وفي نطاق تركيز هذا الهدف السامي البعيد الاهداف والمرامي امر صاحب الجلالة نصره الله الوفد المغربي في المؤتمر العام لليونسكو (24) ان يطلب انشاء « مركز افريقي للتكوين والابحاث الادارية من اجل التنمية » بالمغرب بالتعاون مع هذه المنظمة وايدت هذا الملتمس تسع دول افريقية وهي : الجزائر وتونس والسينغال والكمرون والجابون وغينيا ومالي والجمهورية العربية المتحدة . وقد تم الاتفاق بين المغرب يوم 13 مارس 1964 وبين اليونيسكو على الوجود القانوني لهذا المركز الذي يحمل اسم « المركز الافريقي للتكوين والابحاث الادارية من اجل التنمية » . الذي تقرر انشاؤه بمدينة طنجة حيث تم عقد اول مؤتمر دولي له ما بين 23 ـ 27 مارس 1965 وكانت الغاية من هذا المؤتمر التدشين الرسمي له ، وقضية مشاركة الدول الافريقية في الاتفاقية المؤقتة (13 مارس 1964) بين الحكومة المغربية وبين اليونيسكو ودراسة موضوع تطبيق ترتيبات الادارة العامة في افريقية على اعمال التنمية » (25)

ب ـ وقوفه في وجه الميز العنصري :

ـ اعلن المغرب استنكاره لسياسة الميز العنصري في كل من جنوب افريقية وروديسيا واتخذ قراره بهذا الموضوع في مؤتمر ميثاق الدار البيضاء، كما ايد المغرب الوطنيين الافريقيين في حقهم في الحياة الكريمة في بلادهم وكان صوت المغرب دائما بجانب الحركات المضادة للميز العنصري في الكتلة الافريقية الاسيوية ، في منظمة الامم المتحدة وفي منظمة الوحدة الافريقية مما لا يتسع المجال له في هذا العرض .

---

(22) كتاب (الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات) صفحة : 67
(23) مثلا سنة 1961 قدم 200 منحة للطلاب الافارقة : 20 منحة للتعليم العالي و150 للتعليم الثانوي بالاضافة الى 25 منحة اخرى خصصتها المدرسة الادارية المغربية لهذه الغاية .
(24) في اجتماعه الثاني عشر سنة 1962 .
(25) «كتاب الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات» صفة 67 .

ج ـ استنكار التجارب الذرية فى افريقية :

عندما اجرت فرنسا تجربتها النووية فى الصحراء سحب المغرب سفيره من باريس ، وكان لهذا السحب اثر على العلاقات المغربية الفرنسية وقد كان المغرب يرمي الى تسجيل احتجاج صارخ ضد القيام بتجربة ذرية فى افريقية التى يجب ان تنأى عن ان تكون حقلا للتجارب الذرية ، ولان استعمال دولة اجنبية ارضا افريقية للقيام بتجاربها ، مساس بكرامة افريقيا كلها وكان لموقف المغرب اثر محمود فى افريقيا كلها (26)

التبادل الدبلوماسي :

الملاحظة التى تمتاز بها الدبلوماسية المغربية وتسجل لها هي ان المغرب يسارع دائما الى توسيع تمثيله الدبلوماسي مع كل دولة افريقية بمجرد اعلان استقلالها رغبة منه فى خلق مجال واسع للتعاون. حيث تربطنا اليوم علاقات وطيدة باغلب الدول الافريقية على اختلافها ، ولم تقف علاقاتنا بهذه الدول عند حد ، بل تشهد تطورا محسوسا فى مختلف المجالات ومتطورا يجعل المغرب قريبا منها ، ومواكبا لكل خطواتها .

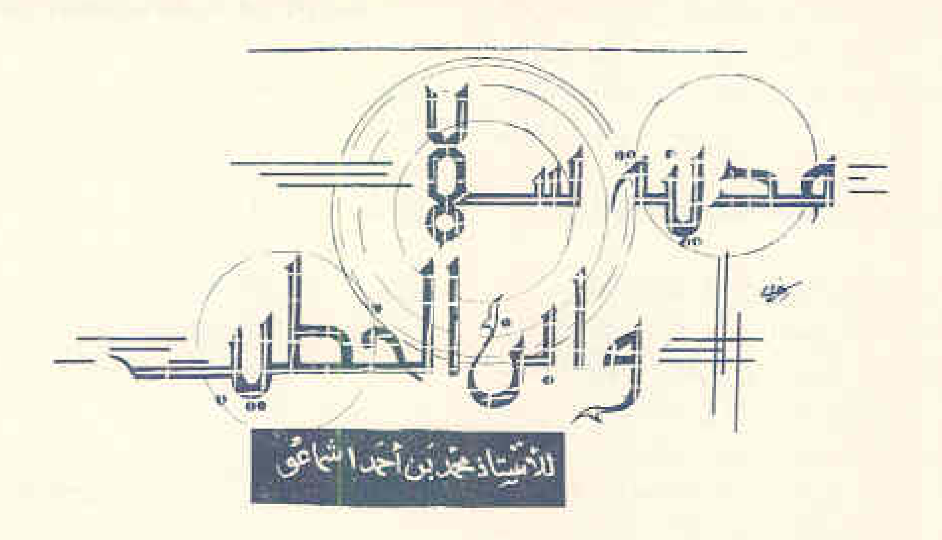
الزيارات المتبادلة فيما بين دول القارة والمغرب

ولقد ابتدا تبادل الزيارات فيما بين المغرب والدول الافريقية وبين الدول الافريقية والمغرب منذ سنة 1958 ، وكان اول رئيس يزور المغرب هو رئيس جمهورية غانا الذى زار المغرب فى يوليوز سنة 1958 ، وتختلف هذه الزيارات المتبادلة حسب الظروف والمقصود منها ونوع الوفود التى تقوم بها مما يطول عنه الكلام فى هذا المقام ، ويعتبر المغرب هذه الزيارات ذات فائدة ملموسة لانها تستطيع ان تحدد نوع الاتصال وقيمته فى كل ابعاده وتعتبر الدبلوماسية المغربية الحديثة تبادل الزيارات من اهم الاتصالات التى يرتكز عليها تطور المفهوم الدبلوماسي .

الرباط ـ زين العابدين الكتاني

---

(26) نفس المصدر بتصرف
مشيرا الى ان الوزير الاول التونسي السيد الحبيب بورقيبة (رئيس الجمهورية) زار المغرب فى 6 مارس 1957 .



أديب بارع ، وعالم مشارك ، وفقيه متقلف ، ومؤرخ متبصر ، ووزير محنك ، ومسؤول نافذ الكلمة ، ورجل ذو شخصية مؤثرة وذكاء وقاد ، وحامل قلم سيال بحر النثر ويبدع الشعر ... تلكم بعض مزايا الرجل اللامع الخالد الذكر ، محمد بن عبد الله السلماني أو (لسان الدين بن الخطيب)

نشأ في زمان مضطرب الاحوال ، ومكان تهزه عواصف الاحداث ، فتسلح بالعلم والخبرة بالقدر الذى يكفيه لمواجهة الايام ، واحتلال المكانة اللائقة بين قوم حيارى ، يحيط بهم خصمهم الاسباني العنيد ، ويتربص بهم الايام والاحداث ، يشتم كل فجوة ، ويستغل كل مناسبة ، فيجعل من نفسه المسعف والمنقذ حينا ، والمهاجم المقارع حينا آخر ، لذلك فهم يخشونه فيستعدون له ، وتبقى قبضاتهم على سيوفهم وأرجلهم في ركاب خيولهم ، أو يسالمون فيعقدون معه الاتفاقيات ويؤدون الجزيات .. وينتهي بهم انزعاجهم وعدم اطمئنانهم الى ارتكاب الحماقات ، فهذا امر يدس لامير فيسقطه ، وذاك وزير يغار من زميله فيكرهه ويتربص به ، وتلك اميرة تبحث عن امضى سلاح واخبث اسلوب ليحتل صغيرها عرش البلاد ، واولئك وجهاء يتوددون ويتقربون ليحتلوا مكانات سامية ، ولا عليهم من ان يهينوا النفوس ويتذرعوا بالاساليب الشيطانية .

فمجتمع غرناطة ، على هذا ، مجتمع منهار ، انعدمت فيه المقومات السامية التى جاء بها الدين الحنيف ، وراح كبراؤه بتصرفاتهم يسيرون به الى النهاية المؤسية المحتومة ، وقد اعمت ابصارهم الاغراض الشخصية ، وتنكروا لكل مبادىء الشرف ، لكانهم ما عرفوها ، والذين تمسكوا منهم بالمثالية راحوا في الزوايا المنسية !

لا عجب ، اذا ما لوحظت على رجلنا العظيم (ابن الخطيب) بعض التصرفات فهو ابن زمنه ، ولاعب دور في مسرح وطنه ... لقد آذى واوذي وهاجم وهوجم ونفي وابعد ... ولكنه كان امام الاحداث على نمط فريد : فهو في اشد ظروف المحنة يقتني ويعمر ، ويكسب ويتفنق ، وهو في منفاه يحرر وينشىء ، بل يمعن بحماس في الانشاء والتحرير ، وهو عند ظهور الانفراج غنام للفرص ، متحكم في الظروف ، قابض على الزمام ، ماض في القيام بالمسؤولية الى الامام ، لكن متى توقع احداثا غير مرضية احتال لترك المكان ، وانصرف الى ما فيه هدوء البال ، وارضاء هوايات الشعر والنثر ، والاقبال على التعبد والتنسك ... وهكذا لما طورد لامير ابن الاحمر (الغني بالله) من عرش غرناطة التجا الى المغرب المتجا لامين ، ومعه حاشيته الخاصة ، ووزيره ابن الخطيب ، وقد اخذ منهم كل شيء .. فما كان من (ابي سالم ابراهيم المريني) امير المغرب ، الا ان احسن الاستقبال ، وعزز الجانب ، وانسى القوم انهم في ارض المنفى أو أنهم ملتجئون .

وفضل الوزير النابه ، الا يترك الفرصة تفلت ، فاغتنم المناسبة للتجول في طول البلاد الكريمة وعرضها ، لمعرفة الارض والناس ، وكان له ما اراد .. واختتم المطاف بأن اخذ استقراره بمدينة سلا .

وسلا مدينة عتيقة ، لها مقام واعتبار — على صغرها — عند الجميع ، لم تكن من العواصم الكبرى

ولكنها كانت تحظى من الامراء المتعاقبين بان يتخذوها مقاما ودارا في بعض الاحيان ، او مجتمعا لجيوش الجهاد ومنطلقا لها ، ثم انها تفوز من آن لآخر بحلول عالم كبير او باحث شهير ، او ناسك متعبد ، يتخذون منها سكنا ومستروحا للتأمل والتآليف ، او خلوة للتعبد والتفاني في التقرب الى الخالق الاعظم ...

وبدورها هوت نفس (ابن الخطيب) الاديب ، العالم ، المتبحر ، الصوفي الى المقام في مدينة سلا فاقام بها ، وحظي بعطف البيت الشهير بيت (بني العشرة) وفاز برضى المتنسك الزاهد (سيدي احمد بن عاشر) ، ومعاشرة الفقيه (القاسم بن داود الفخار) وغيرهم من رجال المدينة وكبرائها ، ولا عجب في هذا فقد وجدها :

« العقيلة المفضلة ، والبطيحة المخضلة .. ذات الوسامة والنضارة ، الجامعة بين البداوة والحضارة ... القطر الامين عند الرجفان ، والمصير العظيم الشان ، والاسواق الممتازة حتى برفيق الحبشان ، اكتنفها المسرح ، والخصب الذى لا يبرح » (1)

وتأدبا مع الامير المقيم بفاس ارسل يستأذن في ان يقيم بهذه المدينة فوافقه وعندئذ كتب :

« واسعد قصدي في تهيؤ الخلوة بمدينة سلا ، منوه الصكوك ، مهنأ القرار ، متفقدا باللها والخلع ، محول العقار ، موفور الحاشية » .

وليس هذا فقط بل :

« خمسمائة دينار في كل شهر ، مرتبة له ولاولاده من مجبي مدينة سلا ، وان يرفع الاعتراض من بابها عن كل ما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها ، من حيوان وسواه ، وما يستفيده خدامه من خارجها واحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ، فلا يطالب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ، ولا يتوجه اليه بتكليف ، يتصل له حكم ما ذكر في كل عام تجديدا تاما ، واحتراما عاما » (2) .

وهكذا وجد انه لم يسيء الاختيار ، فقال :

« وترجح لدي السكون الى العافية والتمتع بالبقية ، اذ جنحت الى السكنى بمدينة سلا ، حيث طنبت الحرمة رواقها ، واقامت الحسنة بسبب الضريح المقدس اسواقها ، تجري علي بها النعم ، يظللني المجد والكرم ، فلا أعد من عمري الا ايام مقامي بها وسكناي فيها ، تفرغا الى ما اريده من دنيا وآخرة وعافية شاملة وجنة عاجلة ... » (3)

وجاءت نعمة الاستقرار ، ووافر الاحترام بالنتيجة الباهرة وهي تآليف :

- كتاب نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب باجزائه الثلاثة .
- كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية .
- كتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان .
- كتاب السحر والشعر .
- ارجوزة تاريخية بعنوان (رقم الحلل في نظم الدول) .
- ارجوزة فقهية بعنوان (الحلل المرقومة) .
- ارجوزة طبية بعنوان (الارجوزة المعلومة) .
- ارجوزة سياسية بعنوان (تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة) .
- ارجوزة في التغذية .
- كناش (منظم في عروض الرجز) .
- كناش (مثلي الطريقة في ذم الوثيقة) .

كل هذا الانتاج الغزير ، الخالد على مر الدهور ، والذى لم يستغرق الا نحو السنتين ، كل نتاج الخلوة الهادئة السعيدة بمدينة سلا ، فلا بدع اذا ما تغنى الاديب ، الشاعر الرقيق ، بمقطوعة طويلة من جملتها :

(1) انظر كتاب (لسان الدين بن الخطيب — حياته وتراثه الفكري ص 76 للاستاذ محمد عبد الله عنان ط . 1 .

(2) من مقدمة كتاب (نفاضة الجراب) للسان الدين بن الخطيب الذى حققه الدكتور احمد مختار العبادي .

(3) نفاضة الجراب لابن الخطيب ص 77 . طبع دار الكتاب العربي .

يا حادي الجمال — عرج على سلا — قد هام بالجمال — قلبي وما سلا

عرج على الخليج — والرمل والحمى

في المنظر البهيج — بالبيض كالدمى

والابطح النسيج — من صنعة السما

لله من جلال — تختال من حلا — لم تلق في اعتدال — منهن معدلا (4)

طيب ، هذا تقدير واضح من (ابن الخطيب) لمنزله الجديد :

وارجو ان تدعوني ارجع الى بعض اقواله متأكدا، قبل ان تنتقل الى الجزء المقابل مما كتبه :

ـ البطيحة المخضلة ... ذات الوسامة والنضارة ... اكتنفها المسرح ، والخصب الذى لا يبرح .

ـ القطر الامين عند الرجفان ... حيث الحرمة ضربت رواقها ... يظللني المجد والكرم .

ـ لا أعد من عمري الا ايام مقامي بها وسكناي فيها ، تفرغا لما اريده من دنيا وآخرة وعافية شاملة وجنة عاجلة .

وانتهت ايام (المنفى) والح الامير ابن الاحمر على وزيره (ابن الخطيب) ان يرجع الى غرناطة حيث ينتظره منصبه السامي ، فرجع ، ورجعت ايام الرياسة والسمو ، ومع ذلك لم يترك الاديب المثابر قلمه ، فكتب طرفة ادبية تحت عنوان (مفاخرات مالقة وسلا) ونال سلا دار الاقامة والاكرام السابقة هذه المقتطفات :

ـ سلا بلد الرمال ومرعى الجمال ، بطيحة لا تنجب السنابل ، وان عرفت المطر الوابل ... عدمت الفاكهة والمنتزهات النابهة .

ـ واين سلا من هذه المزية والشنعة العلية ، اين الجنود والبنود ، والحصون تزور عنها الوفود ؟

وان كان بعض الملوك ذهب الى اتخاذها دارا ، واستيطانها من اجل الاندلس فرارا ، فلقد هم وما الم ، وطلله نم .

ـ سلا ، احوال رقيقة ، وثياب فى غالب الامر خليعة ، وذمم منحطة ، ونفقات تحصرها من التقتير حطة ، ومساجدها فقيرة ، وقيسارية حقيرة ... وتشهد بالسجية البربرية الاصوات واللغات والاقوال والافعال .

ـ سلا بلد عديم الظلال ، اجرد التلال اذا ذهب زمن الربيع ، والخصب المريع صار هشيما ، واضحى ماؤهما حميما ، وانقلب الفصل عذابا اليما .

ـ سلا، وان كان بها للملك دور قصور ، ولاهل الخدمة بناء مشهور فنهل قليل ، وليس للجمهور اليه سبيل .

ـ سلا ، المسكينة لا توجد لعشرها الا (ابن عشرتها) (5) مهملة الذكر والاشادة ، عاطلة من حلي السيادة ، وان كان بها اهل عبادة ، وسالكي سبيل زهادة .

ولكن لا يظن ظان ان ما كتب هو من قبيل فوران السجية الادبية ، وابداع التفكهات المسلية.. اكد رحمه الله :

ومن شاء فليؤثر الخلاف وسجايا الخلاف ، فانا يعلم الله قد عدلت لما حكمت ، ورقمت لما المت ، وسكتت عن كثير ..

---

(4) نفاضة الجراب ص 169 .

(5) بنو العشرة اسرة شهيرة ، كان لها جاه كبير بمدينة سلا لفترة طويلة من التاريخ ، وقد انقرضت الآن ، اذ ماتت منها سيدتان عجوزتان منذ اعوام ، احداهما كانت جدة لامي ، رحمهن الله . وهذا جواب عن تساؤل الاستاذ بنشريفة سبق ان وضعه فى مقال نشرته مجلة (البحث العلمي) العدد العاشر .

وكأنه سمع همسا من ضميره يستكثر عليه ما كتب ، ويستبشع هذا التجني القادح فتدارك :

« وتسلا ، الفضل لكن على امثالها ونظرائها من بلاد المغرب واشكالها ، اذ لا ينكر فضل اعتدالها . وامنها من الفتن واحوالها عند زلزالها ، ومدافن الملوك الكرام بجبالها .. » (6)

ولم يكتف ــ سامحه الله ــ بالحط بقيمة البلاد التي آوته واكرمته ، بل تصدى الى السكان بدورهم ، ناسيا ما اعترف به قبل ذلك من ضروب تعزيزه وتكريمه فانشد :

من طلب الود من سلاوي
انشاه الله من مساوي (7)

هاوية امه ، وفيها
أبوه بعد ذلك هاوي

راوية الفضل فى انقطاع
عنهم ، اذا ما فرضت راوي

حمقى ، فما شئت من دماغ
قد عدم المخ فهو خاوي

مرضى من الجهل لا حكيم
ولا طبيب مداوي

ليس لهم فى المشاق ند
ولا نظير ولا مساوي

قبحها الله من وجوه
ادحضها الله من دعاوي

يا ليتني اذ سكنت فيهم
فى أرض (والاتن) قناوي (8)

والآن، يجب التوقف لتدبر اسباب هذا التناقض فى الاقوال والاحكام ، وتفهم اسباب هذا التحامل او التهجم

هل هي فلتة من فلتات العبقرية ، من حيث يستطيع الكتاب ان يحسن الاشياء وان يقبحها فى نفس الوقت ، مظهرا براعته فى كلا الموقفين ؟

ام هو اعتزاز بالوطن الأم ، الى حد ان يرى الانسان ــ ولو كان فى مستوى اديب نابه المعي ــ ان ما عدا وطنه ليس الا ارضا ناقصة جمال وخير وبركات ؟ .

ام هو استرضاء للزملاء اولياء الامور فى الدولة النصرية المنحدرين من مدينة مالقة ، ومنهم قاضي الجماعة الفقيه النباهي ؟

ام انه اقناع للنفس النزاعة بان ارض الوطن ــ لو ساءت احوالها المعنوية والمادية ــ خير من ارض الالتجاء والنفي ، حتى ولو وجد فيها اناس طيبون مكرمون اوفياء ، خوفا على هذه النفس من ان تنزع وترغب فى العودة الى البلاد الاخرى طلبا للسلامة والامان ؟

ام ان الواقع هو ما ذكر ، وان ما قيل ذلك انما كان من باب المجاملة والتحبب ولا نقول النفاق ؟

ام ان الاختيار فى باديء الامر كان حسن ظن وتوقع خير ، وكانت المجاملة تقتضي الصبر والسكوت ، فلما تحققت العودة الى ارض الوطن ، فلم يبق هناك مانع من قول الحقيقة ، واخبار اولئك الناس انهم ليسوا احسن ناس ولا ارضهم احسن ارض ؟

ام ان الحالة النفسية السيئة التى تولدت عن وفاة (ام الاولاد) العزيزة الغالية ، تركت ظلها القاتم فى الخاطر ، فارتبط ذلك بالمدينة التى دفنت فيها ، وغدا الكل من الذكريات السوداء ؟

ام ان النزاع مع بعض علماء مدينة (سلا) وعدولها ، غطى على العلاقات الطيبة الاخرى وترجح عليها ، بقيت النفس متقبضة من اجل ذلك ضد الجميع ؟

لنفترض كل هذا واسوا منه ، فذلك خير من أن نظن بالرجال الظن السيء ، ونعده ناكرا للجميل ، وانه سيء الطوية ، وانه ليس جديرا بكل ما بذل فى حقه من تكريم واعزاز .

انما هناك مواقف خطيرة ؛ ليست فى صالح الوزير الاديب غفر الله له ، اوردتها الكتب التاريخية ، منها ان (ابا سالم ابراهيم المريني) ملك المغرب الذى بذل كل جهده فى اكرام ابن الاحمر سلطان غرناطة

(6) مدينة سلا بالذات لا توجد بها جبال ولا مدافن ملوك !؟ .
(7) نفاضة الجراب ص 362 .
(8) والاتن قناوي مناطق من الجنوب .

المنفي واكرام حاشيته ، ومن جملتها (ابن الخطيب) حتى ان (ابن الخطيب) كان يكلمه هكذا :

« مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الارض عن حجة ، ومعدن الثقة والحرمة برهان وحكمة ، أبقاكم الله عالي الدرجة في المنعمين ، وافر الحظ عند جزاء المحسنين .

مولاي يا فتاح الاقطار والامصار ، قائد الازمان والاعصار ، قدوة الايدي والابصار ، ناصر الحق عند قعود الانصار » (9) .

هذا الامير انزل عن عرشه ونكب ...

فلما تبدلت الاحوال . وحلت المصيبة بهذا الامير الشهم وبلغ ذلك (ابن الخطيب) كتب :

« وقعت بامير المغرب ابراهيم (ابي سالم) بن امير المومنين ابي الحسن الدرة ، واخذته بين عشية الصيحة ، لتوفر اسباب البغضة ، وتكاثر دواعي الخلعان ، اذ كان هذا الصبي ذاهلا عن الحزم ، مثلا في البلادة ، وكلا ، مؤثرا للحجبة ، معرضا للبطالة مسلوب الغيرة على المال ، قنوعا من الامرة بالاسم ، مجتزئا من انفساح الخطة بالكسر ، كاسد سوق العطاء (10) .. »

الواقع انه شيء مذهل ، فهذا الامير المنكوب تحمل الكثير من اجل سلطان ابن الخطيب المنفي ومن اجل (ابن الخطيب) نفسه بل حمل المواطنين الكثير من اجلهما وحاشيتهما ، وما بالك بمن يفرض على بلدة صغيرة كـ (سلا) ان تعطي من جباياتها شهريا قدرا مهما من العملة الفضية لنزيلها (ابن الخطيب) وحده ، وان تعفي وارداته من المكوس ، وان تيسر له اسباب الاقتناء الواسع والعيش الرائق ، وان تعطاه الظروف الملائمة لجودة الانتاج ... ومع ذلك يكون الجزاء جزاء (سنمار) ، وهنا يجب تامل آراء بعض المفكرين المحدثين :

قال الاستاذ احمد مختار العبادي :

« من العجيب ان نلاحظ ان (ابن الخطيب) رغم حبه لبلاد المغرب ولمدينة (سلا) التى لجا اليها في اوقات محنته الا ان شعوره الوطني جعله يتغاضى عن كل هذه الاعتبارات ويتحيز الى المدينة الغرناطية مالقة فيجعلها المفضلة على طول الخط ، وقد يرجع هذا الشعور الى روح المنافسة التقليدية القديمة ، التى كانت سائدة بين الاندلسيين والمغاربة ..» (11)

وكتب الاستاذ محمد عبد الله عنان :

(ثمة خلة واضحة في خلق (ابن الخطيب) هي الحقد والحفيظة ، فهو يضطرم حقدا ضد كل من كان بالامس من اصدقائه ، متى انعكست الآية وتحولت الظروف ، وهو عندئذ لا يتحفظ ولا يتورع عن نقض ما ادلى به بالامس ، بل يذهب في ذلك الى ابعد الحدود ..) (12)

وعلق الاستاذ عبد الله الجراري :

« ومنها (من انتاجاته الادبية) مفاضلة بين مالقة وسلا ، طائشت بين سطوره وفصوله سلا الشقيقة ، اذ كان منه ذلك كملحق لما سجنه في المعاهد ، والذي يبدو من وراء هذا الاندفاع ان الرجل كانت له مع بعض علماء سلا وعدولها حزازات ومنافرات نشات داخل مدة السنتين اللتين قطعهما بهذه المدينة العتيقة .. »

ثم زاد فعلق :

« ومن آثار ابن الخطيب الخالدة كتابه معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، كتيب قيم برهن فيه عن علم واسع، اكتسبه من جولاته الاستطلاعية ، وتعمقه الدقيق في معرفة احوال وعادات المدن والقرى التى زارها ، وقد افرغ ذلك في قالبه الادبي الشيق ، الذى قد لا يعرى عن الاصابة ، وان كنا نرى في بعض مبالغات تخرج به احيانا عن الحقيقة التى يتوخاها المؤرخ الامين ..» (13) .

---

(9) كتاب لسان الدين بن الخطيب ــ حياته وتراثه الفكري ــ للاستاذ عنان . ص 92 .

(10) كتاب (لسان الدين بن الخطيب) كذلك ص 93 .

(11) كتاب (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد الاندلس والمغرب) ص 11 تحقيق الاستاذ العبادي ، ط 1

(12) لسان الدين بن الخطيب ــ حياته وتراثه الفكري ، للاستاذ عنان ، ص 173

(13) مجلة (دعوة الحق) السنة التاسعة ــ العدد السابع ص 111 .

وبعد ، يظهر ان الاديب الوزير لم يكن مقتنعا كل الاقتناع بالاوصاف التي اضفاهـا على مدينتـه المختارة لهدوء باله وتحقيق آماله ، بدليل انـه لما تأزمت الاحوال ــ مرة اخـرى ــ من حولـه ــ في غرناطة احتال على الرجوع الى المغرب ، متذرعا بانه يريد حج بيت الله الحرام الا انه في واقع الامر :

« كانت النية صرف الوجه الى مدينة سلا ، حتـى أبلـغ النفـس ريقهـا ، واخطـب لافكـاري هدوءها .. » (14)

وضايقه ــ لسوء الحـظ دائمـا ــ ان وزيـر السلطان المريني في مدينة فاس ، كان يحول بينه وبين الظهور في المجلس السلطاني وسعى بكل وسيلة ان يبعده الى خارج فاس ... لذلك يقول :

« سألته ان يجمع (أي الوزير) بين الغرضين بانصرافي الى سكنى سلا » (15).

لكن للاسـف لم يتحقق هذا الامل الكبير ، فقد كانت الاحداث الهائلة تسابق (ابن الخطيب) اذ تبدل كل شيء من حوله ، وانفلت الامر من يـد انصـاره بنزولهم عن مرتبهم السامية ، وجاء قوم آخرون ، فتجمع الاعداء وتكالبوا ــ في شناعة ــ ليحبسوه ، ويحاكموه ، ويخنقوه ، ولم يستنكفوا من ان ينبشـوا قبره ــ ميتا ــ ليحرقوه !

وهكذا، فحياة ابن الخطيب كحياة اكثر العباقرة سلسلة من الانتصارات والانهزامات ، صـعود الى القمة ونزول حتى الحضيض ، لكن صفحات المجد الخالدة لا تستطيع يد الدهـر ــ فأحـرى أيـدى الناس ــ ان تمحوها .

فرحمة الله على (ابن الخطيب) الشهيد .

سلا ــ محمد بن احمد اشماعو

---

(14) كتاب تاريخ اسبانيا المسلمـة: او اعمال الاعلام) لابـن الخطيـب ص 318 تحقيـق الاستـاذ بروفنصـال ، ط . 2

(15) نفس المصدر ص 321 .

* * *



- 8 -

ومن ذلك فى وصف :

76 – ابي عمرو بن عباد – من اهل رندة (1)

صوفي محقق ، ومريد عن صبوح المحبة مرقق . كان ببلده – رحمه الله – عينا من اعيانها ، وقريع بيت من بيوت احسانها . شام للقرب بارقا ، فاصبح لدنياه مفارقا ، فنزح عن بلاده ، وخرج عن طريفه وتلاده ، وشمر لمقارعة الهوى وجلاده . وخاض بحار تلك الاهوال ، حتى صار معدودا فى أهل الاحوال . وظهرت عليه سمات الحضرة ، وسطعت له انوار الكرامة الالاهية. ولم يزل يعبر عن وجده، ويكني بحاجره ونجده ، حتى حفظت (103 : ب) اقواله ، واشتهرت احواله .

---

(1) ما زالت المدينة تحمل نفس الاسم بالاسبانية Ronda تقع غرب مالقة ، وقد كانت من اهم القواعد الاندلسية ، وتعتبر الحصن الذى يحمي مالقة من ناحية الغرب ، ونتيجة لهذا فانه عندما سقطت رندة فى ايدي الاسبان فى جمادي الاولى 890 هـ (ابريل 1485 م) اضحى الطريق سهلا وممهدا لاستيلائهم على مالقة ، وهكذا سقطت هذه الاخيرة فى ايدي القشتاليين بعد قليل (شعبان 892 هـ / اغسطس 1487 م) .
وتشرف المدينة فوق منطقة عالية من الربى ، يشقها من وسطها وادي ليبين Guadelebin
ولم يفت ابن بطوطة ان يتناول المدينة بالوصف حينما زارها خلال رحلته الى الاندلس عام 1350 م فقال عنها :
« وهي مدينة من امنع معاقل المسلمين ، واجملها وصفا » . ويبلغ سكان رندة حاليا اكثر من 35.000 نسمة ، فهي مدينة متوسطة المساحة ، تبدو عليها مسحة القدم والبساطة ، ويغلب عليها الطابع الاندلسي .
اما اهم المعالم والآثار الاندلسية الباقية بها ، فهي اطلال القصبة العربية الشهيرة ، والقنطرة العربية الواقعة عند مدخل المدينة من الناحية الغربية ، وهي ذات عقد واحد بالغ الارتفاع ، ثم الحمامات العربية التى لم يبق منها الا اطلال دارسة بالقرب من الكاتدرائية العظمى كذلك من آثار المدينة «المنارة» عند نهاية البلدة ، وهي ذات ارتفاع يبلغ حوالي 12 مترا ، ويرجح بعض المؤرخين انها من العصر الموحدي ، لتقارب هندستها المعمارية مع هندسة العصر فى المآذن ، ومن آثارها ايضا قصر الامير ابي مالك ، وباب المقابر . هذا ، وينسب لهذه المدينة الفقيه ابن عباد الرندي .
راجع : ما كتبه ليفي بروفنسال عن هذه المدينة الاسلامية في : ENC, ISI, III, p. 1254
ثم مجلة الاندلس . ص : 492 عام 1949 م .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

77 ــ أبي الوليد بن هاني ــ من اهل غرناطة

شاعر ينحت من طود ، وماطر صاب من الكلام بحــود (2) . عــدل عن اللفــظ القريب ، الحوشي الغريب . فاذا اجهد طبعه ، ووصف حيه وربعــه ، وكيف ظعن القطان ، وتغيــرت الاوطــان ــ قلت : حجازيا فصيحا ، او تميميا ينشق لنبــان ريحــا ، ونجديا شكا بثا وتبريحا .

نشـا ببلده غرناطة مطلع نور حسبه الباهــر ، وروضة بيته الانيق الازاهر . فنـأى حلبة الطلب ، وفاز بالغلب ، واجتهد وعكف ، واستـمـطر وابـل العلم لما وكف ، حتى جلى من المشكلات كل حالك ، واستظهر موطأ مالك . ثم رمى السـفـار بعزمتــه ، وخاض القفار بجرفه وجزمته. واستقر بعداعتساف المجاهل ، ومزاحمة المناهـل ، وخـوض الغـمـار ، والبـشام بحماة الشام (3)، واتخذها دارا، وارتضاها لفضله مدارا .

(104 : ا) ومن ذلك فى وصف :

78 ــ ابي عبد الله الكفيف ــ من اهل مالقة

ضرير زاد لور بصره نور قلبــه فاجتمعـا ، وكفيف سارت الامثال بذكره فصدق مـراى منـه مستمعا . صادق اللهجة ؛ سلك سبيـل الفضـل وانتهج نهجه . ادهن من راود المشكلات وافترعها ، وصادم الغوامض فصرعها . وله فى علم اللســان قدم راسخة ، وفى احكـام المعانـي آية ناسخـة . وكان معري عصره ووارث علمه الذي يعجـز عـن حصره . وله فى العلوم العقلية ذوق ، والى تلك الفنون شوق ، تسبته الالسن ، واستقبـح عنه ما يحسـن . ونظمه دون قدره ، ومعانيه تكثر عن نفثات صدره .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

79 ــ الاديب الحاج الرحـال أبي اسحـاق الساحلـــي

جواب الآفاق ،ومحالف الرفاق ، ومنفق سعر الشعر كل النفاق . رفع ببلده راية الادب لا تحجم، واصبح نسيج (104 : ب) وحده فيما يسدي ويلجم. فان نسب جرى قلب ما كسب ، وان مدح وقدح من انوار فتنته ما قدح ــ حرك الجامد ، ونظم نظـم الجمان المحامد . وان ابز او رثـا غبر فى وجـوه السوابق وحثا .

ولما انف لكساد سوقه ، وضياع حقوقه ــ اخذ بالعزم ، وادخل على تعلاته عامل الجزم . ولم يزل يسقط على الدول سقوط الغيث ، ويحتل كناس الظبي وغاب الليث . ويركض النجائـب ، ويتتبـع العجائب ، حتـى استضـاف بمصـر الكـرام ، وشاهـد البـرابـي والاهـرام ، ورمـى بعزمتـه الشام ، فاحتل ثغوره المحوطة ، ودخـل دمشـق وتفيا الغوطة (4). ثم عاجلها بالفراق ، وتوجه الى العراق ، فحيا بالسلام مدينة السـلام (5). وأورد بالرافدين (6) رواحله ، ورأى اليمن وسـواحله . ثم

---

(2) حود : بفتح فسكون ، مصدره حاد ، بمعنى : الميل .

(3) حماة : مدينة لها شهرتها واصالتها فى سوريا، تقع على نهر العاصي ، احدى المراكز التجارية ، تتبعها كمحافظة من المحافظات سلمية ومصياف ، ويبلغ تعداد سكانها حوالي 395.000 نسمة ، ويرجع تاريخها الى القرن الألف الخامس قبل الميلاد تقريبا ، احتلها الميتانيون عام 1.550 ق. م ، ثم الآراميون نحو 1.100 ، ثم دمرها الحيثيون ثم الآشوريون عام 720 ق. م ، ولكن الحياة عادت اليها فى عصر السلوقيين ، الذيـن دعوهـا «ابيفانيا» ، حتى احتلها الرومـان عـام 64 ق. م وتلاهم البيزنطيون ، واخيرا دخلت التاريـخ العربي عندما فتحها القائد ابو عبيدة عام 639 م . هذا، وتشتهر حماة بنواعيرها، ومن آثارها المعروفة الجامع الكبير ، وجامع ابى الفداء .
راجع : د. ابراهيم العدوي وآخرين فى «تاريخ العالم العربي وحضارته » ص 238 وما بعدها ،. طبعة القاهرة 1965 م.

(4) الغوطة : هي مجموعة البساتين المحيطة بدمشق ، ترتوي من نهر بردى ، تشتهر بوفـرة وجـودة مشمشها ، وكانت هذه الجنات قديما سكنا للفساسنة .

(5) مدينة السلام : بغداد .

(6) الرافدان : دجلة والفرات .

عدل الى الحقيقة عن المجاز . وتوجه الى مثابة الحجاز . فاستلم الركن والحجر ، وزار الترب الكريم لما صدر . وتعرف بمجتمع الوفود بملك السود . فغمره بارفاده ، واستصحبه الى بلاده . فاستقر بأول اقاليم الارض ، واقصى ما يعمر من هذا العرض . فحل بها (105 : ا) محل الخمر فى القار ، والنور فى سواد الابصار . وتقيد بالاحسان ، وان كان غريب الوجه واليد واللسان .

وقد اثبت من شعره ما يشهد بجلالة آدابه ، وتعلق الاحسان بأهدابه .

ومن ذلك فى وصف :

80 ـ القائد ابي جعفر احمد بن خير

قائد مليح الشيبة ، ممتزج المباسطة بالهيبة . يجمع بين الدعابة والوقار ، ويدير من الفكاهة كؤوسا تزرى بكريم العقار . وله اصالة قامت على العلم اركانها . واشتهر ـ بحمص اعادها الله ـ مكانها ، ووسائل الى السلف الكريم عظم ذمامها ، وثبتت احكامها . وحظوة ظفر منها بالامل ، وارتضع اخلافها بين القيادة والعمل .

تناول خطة المدينة فاجراها ، وراس نبل الاحكام وبراها ، وبشرى بشار اولى الفساد وقراها ، وفرق بين الجفون وكراها . فكم عاشق انتجز للوصل ميعادا ، وارتقب للسعد اسعادا . وظفر بمثير غرامه ، وموقد ضرامه . فى مجلس تجلت فيه عروس الكاس ، على فرش الورد والآس ، وعقد سجود الابريق ، ومزج المدامة بالريق ـ وثب ابن خير هذا وثوب الليث ، وسقط عليه سقوط الغيث ، لا سقوط الغيث ، فراع غزال ذلك الكناس . حتى ذعرت القلوب لسطوته ، وتشدقت الآذان الى احساس خطوته . كل ذلك بعدل ميزان قائم ، وجزالة لا يثنيها فى الحق لائم . وبسالة تشهد المواقع بعضائها ، وتثنى عليها السيوف عند انتضائها .

واسطنعه المقام اليوسفي (7) اعلاه الله وارتضاه ـ للامانة العظمى ، وقلده حفظ ابواب معقله الاسمى . فاعطى القوس باريا ، وقلد الخطة حساما فاريا . وهو لطيف المحل لديه ، وحظي بين يديه ، يستظرف نادرته العذبة ، ويبدي له القبول والمحبة .

وله ادب عذب الجانب ، سهل المذانب ، لا يزال ينفث بضريبه ، ويستقر عند نظمه عوالة طريبه .

ومن ذلك فى وصف :

81 ـ أبي جعفر بن غفرون ـ من الجند

(106 : ا) نير ما طلع حتى افل ، وما جد فى حلل الفضل رفل . الطف الناس فى معاشرة الاكفاء ، وثاني السمول ابن عاديا فى الوفاء . الى حمل لا يضيق له صدر ، وعهد لا يتطرق احماءه نكث ولا غدر . ونفس عظيمة النفاسة ، واخلاق مولعة بذكر الحماسة .

توجه مع الحصة الى حراسة ثغر بيرة (8) وقد اشتعلت نيرانه ، وكلب جيرانه . وكانت من المسلمين جولة فى بعض المواقف ، ميز الله بها الخاص من الزائف . ولم يرض حاجبنا ـ رحمه الله ـ على الفرار امام الكفار ، ولم يزل يقدم اقدام الغضنفر ، ويقيم هامته مقام المغفر (9) . فقضى شهيدا مقداما ، وشرب للحمام كاسا كانت لها السعادة مداما .

ولم اظفر من كلامه الا بنزر ، ولا حطت من مده الا على جزر .

---

(7) المقام اليوسفي : نسبة الى يوسف الاول ابن الحجاج ابن الاحمر سلطان غرناطة ، وسابع ملوك بني نصر (733 ـ 755 هـ = 1333 ـ 1354 م) .

(8) بيرة : تدعى الآن فى الاسبانية Vera تقع شمال شرق غرناطة ، وهي بلدة مرتفعة ، تشرف على ساحل البحر المتوسط مما اكسبها اهمية بحرية حربية .
وصفها ابن الخطيب فى « معيار الاختيار » مشيرا الى مجاورتها للنصارى ، وما كان من تعرضها لمناوشاتهم ، وانتهاك حرماتها بين حين وآخر ، حين يقول : « .. الا انها قليلة المطر ، مقيمة على الخطر . مثلومة الاعراض والاسوار ، مهطعة لداعي البوار » هذا بالاضافة الى فتنها بالداخل « قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشرور ، برها انذر من برها فى المعتمر والبور ، وزهد اهلها فى الصلاة شائع فى الجمهور » .

(9) المغفر والمغفرة : ج مغافر ، عبارة عن زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة لاتقاء الضربات .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

82 ـ ابي جعفر الروية ـ من اهل بليـش

ناظم الفقر الشاردة ومنتضى المعاني الصادرة والواردة ، وصاحب قريحة ملتهبة الوقـود ، وبديهة منتظمة العقود ، وبيت ينمى الى مجد ، واصالة اطيب من عرار نجد (10) .

نشأ ببلده (106 : ب) بليش قرارة ميلاده ، مقتصرا على انتجاع تلاده . صان بذلك وجهه عن اراقة مائه ، وهتك حجاب حيائه .

ولم اظفر من شعره ـ على استرسـالـه ـ الا بقوله يهني السلطان ـ ايده الله ـ باحد اولاده .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

ابي عبـد اللـه العبـدري المالقـي

اديب نار ذكائه يتوقد ، وعارض لا يعترض كلامه ولا ينقد . واما الهزل فهو طريقته المثلى ، التي ركض فى ميدانها وجلى ، وطلع فى افقها وتجلى . فاصبح علم اعلامها ، وعابر احلامها . ان اخذ بها فى وصف الكاس ، وذكر الورد والآس ، والم بالربيع وفصله ، والحبيب ووصله ، والروض وطيبـه ، والشمام وتقطيبه ـ شق الجيوب طربا ، وعل النفوس اربا وضربا (11) . وان اشفق لاعتلال العشية ، فى فرش الربيـع الموشيـة ، ثم تعداهـا الى وصـف الصبوح ، واجهز على الزق المجروح ، واشار الى نغمات الورق ، وقد اشتعلت فى عنبر الليـل نـار البرق ، وطلعت بنود الصبـاح (107 : ا) فـى شرفات الشرق ـ سلب الحليم وقاره ، وذكر الخليع كاسه وعقاره . وحرك الاشـواق بعـد سكونهـا ، واخرجها من وكونها ، بلسان يتزاحم على مـورده الخيال ، ويتدفق من حافاته الادب السيال . وبيان يقيم اود المعاني ، ويشيد مصانع اللفـظ محكمة المباني، ويكسو حلل الاحسان جسوم المثالث والمثاني. الى نادرة لمثلها يشار ، ومحاضرة يجني بها الشهـد ويشـار .

وقد اثبت من شعره ـ وان كان لا يتعاطاه الا قليلا ، ولا يجاوزه الا تعليـلا ـ ابياتا لا تخلـو من مسحة جمال على صفحاتها ، وهبـة طيب تنـم فى نفحاتهـــا .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

84 ـ ابي القاسم الشريف الحسني (12)

ما شئت من قدرة وايد ، ليـس من عمرو ولا زيد . اكرم من عمر للبلاغة مجالا ، واطوع من دعا

---

(10) العرار : واحده عرارة ، وهو بهار ناعم اصفر طيب الرائحة . وعرار نجد الذى يلمح اليه المؤلف هو الذى عناه الشاعر قديما بقوله :

تمتع من شميم عـرار نجـد فما بعد العشيـة مـن عـرار

(11) الأرى : بفتح الهمزة وسكون الراء مصـدرارى ، واري النحل : عمل العسل ، فالاري (بفتح الهمزة وسكون الراء) هو : العسل .

(12) هو الشيخ محمد بن احمد بن محمد بن بن محمد بن عبد الله الحسني السبتي . ولد بسبتة فى 6 ربيع الاول 697 هـ (22 ديسمبر 1297 م) حيث نشأ بها ، وقرا القرآن ، وتملأ من العلوم ، واخذ بحظ وافر من المنظوم والمنثـور ، ثـم انتقل الى غرناطة ، حيث التقى بشيخ الكتاب ابـن الجياب ، الذى ضمه الى الكتابة الديوانية ، وهو احد شيوخ ابن الخطيب المعدودين فى مفاخـر صفحاتـه العلميـة .

تقدم للقضاء فى انحاء شتى من الاندلس ، ثم اختير قاضيا للجماعة بغرناطة ، وخطيبا للمسجد الاعظم فترة من الوقت ، ثم عزل ، ثم اعيـد مرة اخرى ، كما جدد السلطان الغني بالله الولاية له بعد وفاة ابيه السلطان ابي الحجاج . وللمترجم له مؤلفات ما زال معظمها مخطوطا لم ير النور بعد، مثل « الجواهر الثمينة ، فى صفات القاضي العادل » وكذا مؤلفه الضخم « رفع الحجب المستورة، عن محاسن المقصورة » شرح بها مقصـورة اديب المغرب الامام ابي الحسن محمد القرطاجني التى مدح بها المستنصر بالله ابي عبد الله محمد الحفصي ، وذلك فى مجلدين كبيرين .

توفى هذا الفقيه الكبير بغرناطة فى 21 شعبان 760 هـ (18 يوليو 1359 م) عن 63 عاما .

راجع : يوسف الاول ابن الاحمر للمحقق ص 78 ـ 79 (لجنة البيان العربي بالقاهرة 1969 م)

ابيات المعاني فجاءت عجالا ، وابرع من ادار كؤوس البيان المعتق ، ولعب بأطراف الكلام المشقق روية وارتجالا ، واجل من اشار اليه الشاعر بقوله :

« وخير الشعر اكرمه رجالا »

قدم على (107 : ب) الحضرة هذا القاضي الشريف ، وقذف بدرته النفيسة لها الريف . روض ادب وظرف ، لما شئت من حسن وعرف . يدير من الحاضرة جريالا ، ويسحب للبدائع الروائع اذيالا. ذا نفس كريمة ، واخلاق كالروض غب انسكاب ديمة . وقعد بمسجدها فدرس وحلق، وسطع نوره في افقها وتألق . واستأثرت به الكتابة السلطانية لاول وروده وسبقت عليه من الاحسان سوابغ بروده . وترشح بخلاله المرتضاة ، الى قضاء القضاة. وهو – الآن – قاضي الجماعة وامامها (13) ، وقيم الشريعة الذي في يديه زمامها ، بلغت به تلك المثابة آمالها ، واستأنفت بعد الكبرة جمالها ، وقالت له : هيت لك (14) فلم تكن تصلح الا له ، ولم يكن يصلح الا لها . والقت له الخطابة قيادها ، فانسى قسها ، ووسم بعد الاغفال بسيمة الاحتفال جمعها واعيادها . واما شعره فينازع الرضى نسيبه، فخره وتشبيبه .

(108 : أ) ومن ذلك في وصف :

85 – الشريف ابي عبد الله بن الحسن الحسني

كريم الانتماء ، مستظل بأغصان الشجرة الهاشمية الممتدة الافياء ، التي اصلها ثابت وفرعها في السماء (15). من رجل سليم الضمير ، ذو نفس اصفى من الماء النمير وشهامة تثني عليها الرجال ، اذا ضاق المجال ، وتقوضت الآجال. وله في الشعر طبع يشهد بعروبية اصوله ، ومضاء نصوله . وقد اثبت من شعره ما يتضح في البلاغة سبيله ، ويشهد بعتق الجواد صهيله .

ومن ذلك في وصف :

86 – ابي القاسم بن الرئيس ابي زكرياء العزفي (16)

فرع تأود من الرياسة في دوحه ، وتردد ما بين غدوة في المجد وروحه . نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله (17) ، والدهر ييسر أمله الاقصى ويسهله . حتى اتسقت اسباب سعده ، وانتهت اليه رياسة سلفه من بعده ، (108 : ب) فالقت اليه رحالها وحطت ، ومتعته بقربها بعد ما شحطت وشطت. ثم كلح له الدهر بعدما تبسم ، وعاد زعزعا

---

(13) جرت عادة الاندلسيين ان يختاروا من بين قضاة المدن « قاضيا للجماعة » وهو المعروف بـ « قاضي العاصمة » أو « قاضي الحضرة الملكية » ويعد منصبه من ارفع المناصب الدينية ، ولهذا يراعى في اختيار صاحبه السمعة الطيبة، والكفاءة والتبريز في ميدان القضاء ، الى جانب التاليف في هذا ، والشهرة في الفتاوي . فلم يكن ليشغل هذا المنصب سوى العلماء المشهورين ، او الفقهاء الكبار ، مثل الشريف السبتي ، وابي البركات بن الحاج البلفيقي . ويقوم قاضي القضاة عادة بالخطابة في المسجد الاعظم بالعاصمة ، ويتم هذا الاختيار السامي بمقتضى ظهير ملكي خاص ، حيث تقام حفلة تنصيبه بالمسجد الاعظم او مسجد الحمراء ، وقد اورد ابن الخطيب في كل من «الاحاطة واللمحة البدرية» اسماء من تولوا القضاء بالحضرة الملكية ، وخاصة من عاصرهم ، مرتبا ذكرهم غالبا حسب تاريخ اعتلائهم هذا المنصب .
راجع : المصدر السابق ، ص 74 .

(14) اقتباسا من قوله تعالى : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغلقت الابواب ، وقالت : هيت لك ، قال : معاذ الله ، انه ربي احسن مثواي، انه لا يفلح الظالمون » . سورة يوسف ، آية 23 .

(15) اقتباسا من قوله تعالى : « الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفرعها في السماء » سورة ابراهيم ، آية : 24 .

(16) نسبة الى بني العزفيين المتأمرين بسبتة في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).

(17) العل : (بفتح العين) شرب الخمر المرة تلو المرة. والنهل: (بتشديد النون مع الفتح) أول الشرب

نسيمه الذي كان يتنسم . وعاق هلاله عن تمه ، ما كان من تغلب ابن عمه . واستقر بهذه البلاد نازح الدار ، بحكم الاقدار ، وان كان نبيه المكانة والمقدار . وجرت عليه جراية واسعة ، ورعاية متتابعة .

وله ادب كالروض باكرته الغمائم ، والزهر تفتحت منه الكمائم . رفع منه راية خافقة ، واقام له سوقا نافقة . وعلى تدفق انهاره ، وكثرة نظمه واشتهاره — فلم اظفر منه الا باليسير التافه ، بعد انصرافه .

ومن ذلك في وصف :

87 — ابي عبد الله بن الشيخ الحاجب بتونس ابي الحسن بن عمر

عدي نعمة هامية ، ورقي رتبة سامية . تقلد ابوه حجابة الخلافة بتونس — وهي ما هي من سمو المكان ، ورفعة الشان — فصرف اليه الوجوه ، ولم يبق الا من يخافه او يرجوه . (109 : ا) وبلغ ابنه — مدة ذلك الشرف — الغاية في الترف . ثم قلب لهم الدهر ظهر المجن ، واشتد بهم الخمار عند فراغ الدن . وبزتهم الايام بزتها ، واسترجعت عزتها . ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوب مبيرة ، وشدة في البحر كبيرة . فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم ينله في اوطانه . واكتسب الشمائل العذاب ، وكان كابن الجهم بعث الى الرصافة (18) ليرق فذاب .

ثم حوم على وطنه تحويم الطائر ، والم بهذه البلاد المام الخيال الزائر . فاغتنمت صفقة وده لحين وروده ، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده .

فحططت منه على درة تقتنى ، وحديقة طيبة الجنا . فيالله من ساعات انس قطعناها ، ولذات اطاعتنا واطعناها !! ما كانت الا كاحلام نائم ، او افاقة هائم ! رحلن وما ابقين الا الاسى ، والتعلل بعسى . .

والفقيه ابو عبد الله هذا ذو فهم حديد ، وفضل سديد ، وباع من الادب مديد . ولو تفرغ للتحصيل — بمقتضى (109 : ب) طبعه الاصيل — لعلت قداحته ، وكان بحرا لا يساجل ضحضاحه .

ومن ذلك في وصف :

88 — ابي عبد الله ابن الحاجب بتونس ابي عبد الله بن القشاب

جواد لا يتعاطى طلقة ، ولا يماثل بالفجر فلقة . كانت لابيه — رحمه الله — من الدول التونسية منزلة اطبقة المجل ، ومفاوضة في العقد والحل . ولم تزل تسمو به قدم النجابة ، من العمل الى الحجابة . ونشا ابنه هذا مفدى بالانفس والعيون ، مقضي الديون ، حالا من الضمائر محل الظنون . والدهر ذو الوان ، ومارق حرب عوان ، والايام كرات تتلقف ، واحوال لا تتوقف . فالوى بهم الدهر وانحى ، ولد غمام جوه بعقب ما له صحا . وشملهم الاعتقال ، وتعاورتهم النوب الثقال ، واستقرت باخره بالمشرق ركابه ، وحطت به اقتابه . فحج واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر . وعكف على كتاب الله فجود الحروف ، (110 : ا) وقرا الخلف المعروف . وقيد واسند ، وتكرر الى دور الحديث وتردد .

وقدم على هذه البلاد قدوم النسيم البليل ، على كبد العليل . ولما استقر بها قراره ، واشتمل بجفنها اغراره — بادرت الى مؤانسته ، وثابرت على مجالسته . فاجتليت للسرور شخصا ، وطالعت

---

(18) مدينة في بادية الشام ، تبعد بنحو اربعين كيلومترا من نهر الفرات ، لها اصالتها وشهرتها ، حيث وردت في الكتب والآثار القديمة ، وقد سكنتها الغساسنة قبل الفتح الاسلامي ، كما اقام بها الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (724 — 743 هـ) .
اما ابن الجهم هذا فهو علي بن السامي القرشي ، كان شاعرا مجيدا ، سخر شطرا كبيرا من شعره في هجاء آل ابي طالب والاغراء بهم ، فسخط عليه الخليفة المتوكل لذلك ولكثرة سعايته بين القوم ، فنفاه الى خراسان ، وهناك قبض عليه طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وصلبه يوما كاملا مجردا ثم حبسه ، فقال شعرا فيما حدث له من صلب وحبس ، توفي مقتولا عام 863 م بيد اعراب من بني كلب ، وكان في طريقه من حلب الى العراق . هذا ، وينسب اليه بهذه المناسبة قوله :
عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

ديوان الوفا مستقصى ، وعلمت معنى الكلام تأويلا ونصا . فحيا الله زمن اقترابه ، فلقد جاد وأجاد ، وافاد ما لا أخاف عليه النقاد .

واما شعره فليس بحائد عن الاحســان ، ولا غفل عن غرر البيان .

ومن ذلــك فــي وصــف :

89 ــ صاحب القلم الاعلى بالمغرب أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي (19)

الفذ الذى يعدل بالالوف ، والبطل المعلم عند مناجزة الصفوف ، والمتقدم بذاته وأدواتــه تقــدم الاسماء على الحروف .

نشأ بسبتة ــ حرسها الله ــ بين علم يفيده ، ومحل يشيده . وطهارة يسحب مطارفها ، ورياسة يتفيأ وارقها . وأبــوه ــ رحمه الله ــ (110 : ب) قطب مدارها ، ومقام حجها واعتمارها . فسلــك الحزون من المعارف والسهول ، وبذ ــ على حداثة سنه ــ الكهول . ولما تحلى من الفوائد العلمية بما تحلى ، وبرز فى ميدان المعارف وجلى ، واشتهر اشتهار الصباح اذا تجلى ــ تنافست به همم الملوك الاخائر ، واستأثرت به الدول ــ على عادتها ــ فى الاستئثار بالذخائر . فاستقلت بسياستها ذراعه ، واخذم السيوف والذوابــل يراعــه (20) . وهــو ــ الآن ــ عينها التى بها تبصر ، ولسانهــا الــذى تسهب به وتختصر .

وقد تقدمت له ــ الى هذه البلاد ــ الوفادة ، وجلت به لديه الافادة . وكتب عن بعض ملوكهــا ، وانتظم فى سموطها الرفيعة وسلوكها .

وله فى الادب الرايــة الخافــقــة ، والعقــود المتناسقة. فما شئت من لفظ طاب عرفه، ومعنى سحر الالباب ظرفه . وقد اثبت من كلامه فى « ريحانــة الكتاب » ما تتمناه النحور بدل قلائدها ، وتجعلــه الحور تمائم على ولائدها .

ــ يتبــع ــ

مكنــاس ــ د. كمال شبانه

---

(19) هو الاستاذ الرئيس ابو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي النسب ، السبتي النشأة ، يتصل نسبه بالصحابي العلاء بن الحضرمي ، وقد وفدت الاسرة من اليمن الى الاندلس ، ثم نزح والد المترجم له الى سبتة ، حيث شغل منصب القضاء بها على عهد بني العزفي امرائها . وفيها ولد صاحبنا عام 676 هـ ، ولما شب عن الطوق وحفظ القرآن الكريم قرأ على شيوخ المغرب البارزين ، امثال ابن رشيد والغافقي وابن الغماز وغيرهم ، حتى بلغت مشيخته نحــو الالف . وقد تولى منصب الكتابة بالمغرب للســلطان ابي علي بن ابي سعيد المريني عام 712 هـ . وصفه الامير ابو الوليد ابن الاحمر بقوله : « بيتــه بيت علم سحب من التحصيل ذيلا ، وتضوعت من عرف عرفانه نواسم التفنن نهارا وليلا ، وطوقته المفاخر طوقا ، واذاقه الفهم من حلاوة العلوم ذوقا »

توفى ــ رحمه الله ــ بتونس بمرض الطاعون الجارف فى 12 شوال عام 749 هـ .

راجع : أبي الوليد ابن الاحمر فى « مستودع العلامة ، ومستبــدع العلامــة .. تحقيــق محمــد التركي التونسي ، ص 50 (ط معهد مولاي الحسن للبحوث بالمغرب 1964 م) .

وكذلك : الاستاذ عبد الله كنون فى « ذكريات مشاهير رجال المغرب ــ عبد المهيمن الحضــرمي » نشر دار الكتاب اللبناني (بيروت ط 1 مايو 1960 م)

(20) يعني بالعبارة، ان قلمه جعل السيوف والذوابل تقر بالذل وتسكن ، كناية عن رفعة الشأن .



ان من الشخصيات النادرة المثال فى بيئتها باتساع الافق العقلي فى اكتمال ، ذات الطاقة الفذة المتسمة بالبراعة فى حسن التبليغ والايضاح المطلوب ، والدراية المحكمة فى انتقاد الكيف الجيد من الكم الهزيل ، الفريدة النظير — بالبلد — فى دقة البحث ونضج الادراك وحذاقة التنسيق ، فى الموضوعات المتباينة بكامل التوفيق ، المتقلبة بالجهود الخاصة فى الكد المستديم والاطلاع المتواصل على الحديث والقديم — رغم تقاعس البيئة — بما رفع عن مستوى الاقران المعاصرين بالفكرة الحية والنظرة الهادفة وسمو الغاية ، ذات الملكة النابهة والسجية الحادة المتقدة باشراف عن فهم عميق وحكمة وادب ، متطلعة للعلاء — منذ الشباب اليافع — متفتحة فى تبكير عن روح فلسفية علمية اتصفت بنهج منطقي سليم سامى العبارة فى اسلوب لا تحرز فيه ولا جمود بين كلماته متناثرة بانتظام للوضع الحقيق . امتازت فى الغالب بـ « بصمات » العصر ، لاحت القارىء أول الامر فى جل المحتوى مفهومة الاستدلال ، معتدلة المضمون فى المشرب والمذهب ، دلت بالمجموع عن نبوغ كمين جذبته حيوية نشيطة فانبثق عن ذكاء وقاد وذوق أصيل نقاد بعقلية موسومة بارتقاء الذهن لتقدم الفكر فى اتجاهات عصرية امتلكتها اهتمامات علمية وشؤون ثقافية وقضايا اجتماعية ، عليها طابع الجدية المنتجة والجدة المبدعة أبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمان السائح الاندلسي اصلا من الجزيرة الخضراء (كما صرح بذلك فى أحد كتبه) نابغة الرباط الفهامة المحدث الاصولي الاديب النحرير المدقق الاستاذ مربي الجيل بالمسجد والمدرسة والمعهد ، السامي فى المعالي بمكانة ، السابح فى بحر المعالي باستحقاق «السائح» فى ميادين العلم بمدرك قوي فى رحابة محاطة ببصيرة ملهمة ، درة المحافل والمجالس العلمية فى المناظرة بين الاكفاء ، والمساجلة بين خصوم المعاصرة بنصوص ثابتة منقولة عن مراجع موثوق بها ، ودلائل مبنية عن راي خاص وجيهة فى الاقناع ردا او تاييدا . اخذ الجميع بشخصه الكريم الجذاب بالسمت والمنظر والمخبر المحفوف بوعي التبيان وصدق اللهجة فى حرية الاقوال المنفسحة عن زمت التقليد الخلقية بالمرامي التعليمية ، الصالحة لتشذيب حقول التربية من مبتذل الزوائد ، وتهذيب الغراس من ضار العوائد بقسم الدرس وحلقته او قاعة المحاضرة بمعاول متينة فى المفعول من افيد المعارف وأحدث الآراء وابدع النظريات . دعمتها معلومات نيرة من تليد المعقول والمنقول . ربطت المعاني الطليقة من قيود الجمود ، الماضي الاسلامي الخالد بالامجاد ، بالحاضر المدني المتقدم ، المقتدر بكفاية ممتازة على تناول شتى المسائل بالتحليل البريم للتعرف على المكنون وابداء جدواله فى بحوث مركزة شاملة باستيفاء . ولقد رزق موهبة فى اتقان كامل لمطلق التصرف بقيادة يراع سال مداده على الورق بسرعة فى التدوين دل أصح دلالة على ضلاعة طلعة استطاع ان يتملك بتفهم وثيق جوانب الموضوعات المتنافرة ، وتذليل صعوبة مواطنها المعقدة ، حتى تجلت منسابة فى تتابع رائع

الراغب المستفيد بمرتضى التحقيق والتدقيق ومبتغى المأمول ، ظهرت في الكثير منها سمة الصلاحية والجودة .

نعم فلقد أنارت على جبين المترجم الكريم ــ من مبدا العقد الاول من الحياة ــ بوادر النجابة والفطانة والميول الطيبة المنبعثة لنشاة علمية ، روعيت ملحوظة محظوظة ــ منذ البداية ــ مشمولة برعاية خاصة عائلية ، وعناية مقصودة في تعهد دائم ، ترصدت تطور نموه رقابة اب عطوف، وبرور ام حنون ، وتفقدت حالاته ــ بكرة وعشيا ــ في تكرار ، وتشبعت حركاته بالبيت وخارجه غير غافلة ــ الا لضرورة ــ بمقدار ، لما امد به ــ من علامة الخير ــ نظام حياته العفوي الرتيب المبين عن وجهة الاصل فيما ستسره الغيب لمستقبله السعيد الزاهي الطافح بالمكرمات ؛ فلقد كان من العادة الحميدة المجبول عليها بالفطرة السليمة ، اذا ما رجع ــ توا ــ من الكتاب ، اختلى بالغرفة المعهودة لاستقراره ملازما معاشرة القلم والكتاب . تاركا ــ وراءه ــ الرفقاء في الزقاق زاعقين متصارعين بالضراب ، لا هين بالتوافه ومتلاحقين جريا بالالعاب ، وأثناء هذه المدة القصيرة من ايام مرحلة الطفولة الاولى برز فيه النزوع المستحث ، وحب الطفرة الى الاعلى بشوق عرم رادته همة فعالة مقدامة في انتباه بين ، قذفت به الى الامام بتفوق متوثب ضامن لسبق الانداد بتعزيز استعداد النبغ ، فلقد كانت النظرة الابوية المتفرسة المتفائلة بيوم ازدياده الميمون الموافق لمولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبنية عن نية خالصة بريئة طيبة المغزى صادقة المأتى صادفت بالنزعة الشريفة محل الصواب في تتبع الخطوات عن كثب اينما حل ، واقتفاء الاثر خشية الوقوع في بؤرة الجهالة المبيدة ، متشبثة بالحدس الصحيح بنور البصيرة ، المندفع بالباعث الغريزي تحدوه عاطفة فطرية بحب محض مجرد عن العوامل لاكتساب المعالي واجتناء المكارم للاولاد افلاذ الاكباد . فلقد زاد في الابوين الحماس في الانهماك تماديا في تحمل تكاليف تنشئته المرومة ، والرعاية بكامل العناية ، وفسح المجال واسعا لصالحه اكثر من المعتاد ، حتى لا يصده عن السير المرعي للانخراط في ميدان العلم صاد ، ولا يبقى امام طريقه اى عائق مانع للاحراز على الشوط الاسنى لمزاولة المهمة الشريفة بنجاح المنتظرة بتشوف وامل ورجاء مرتقب .

هذا وبعد اتمامه لحفظ القرءان في عدة ختمات والشاطبية في القراءات ، والاجرومية ، والمرشد المعين لابن عاشر ، ورسالة أبي زيد القيرواني ، ومختصر خليل والفية ابن مالك ولامية الافعال له ، والفية العراقي في مصطلح الحديث ، وتحفة ابن عاصم في الفقه، والتلخيص القزويني في علوم البلاغة ، ومنظومة السلم المرونق في علم المنطق للاخضر . وما لحق هاته المتون المتداولة بين الطلبة ــ آنذاك ــ في مختلف الفنون ــ ذهب للمسجد بنفس طموحة ، مندهشة اول الدخول ، حدتها عزيمة قوية باندفاع نزعة استعدادية ، فأسرعت بها في استعجال ثقة تواقة لوضع القدم برسوخ على الباب المبارك طلبا لدراسة العلم والكرع من ينابيعه الاصلية في ارتواء لتحقيق الرغبة من الاستفادة باخذ عن مشايخه الاجلاء كالمعروف من امثاله النبغاء المتفرغين له من ذوي الحظ الذين ساعدتهم ظروف ملائمة للانفلات من قيود الوسط الخامل فانتموا الى حلقات طالبية فانتبهم الجد والكد والتنافس المحمود للوصول الى رتبة الانتساب للزمرة العالمة المحترمة ، فكان اول استاذ تلمذ عليه ، وببركته تفتحت ذهنيته ، وتيقظت مواهبه وتفتقت بالمعرفة مداركه الفقيه المفضال النفاعة محمد ابن أحمد العياشي ، وبعده المحقق الاديب بن المشارك المعطر الغربي ، والدراكة الفهامة المفيد محمد بن عبد السلام الرندي ، والمفتي النوازلي الثبت الجيلالي بن ابراهيم ، والفقيه المشارك عبد الرحمان بن ناصر بريطل ، والاديب الاريب احمد بن قاسم جسوس ، والفقيه العلامة الاصولي المدقق مفخرة العدوتين احمد ابن ابراهيم الجريري ، والمربي الكبير المقرىء الحجة الجيسوبي النحرير المهدي متجنوش ، والفلكي الشهير النابغة الالمعي محمد بن محمد العلمي ، وشيخ جماعة نخبة علماء الرباط النابه المشارك القوي المدارك الاديب الناقد المكي البطاوري ابو حامد (قد نوه بذكره كثيرا بافاضة في ثبته القيم « الاتصال بالرجال ») ، وحافظ المغرب ومسنده الاوحد بين الاكفاء ، باقعة النظراء السلفي الشهير الاكبر ابو شعيب ابن عبد الرحمان الدكالي ذلكم الشيخ الجليل القدر ، خزينة العلوم الذي يبخل الزمان بمثله كل عصر ، فلقد لازمه المترجم الكريم مدة سنين ، فاعجب بمجالسه العلمية، واغتبط بالحضور فيها اكبر اغتباط باعتبار خاص مقدرا قوة ملكته ، منوها باجادتها ، واصفا طريقته المثلى في املاء دروسه بتقدير زائد معبرا أبلغ تعبير عن هذه الشخصية العظيمة المحلقة بكفاية ممتازة في آفاق عزيزة المنال ، فلقد اخذ بلبه بما بهر من اشعة فكره الوهاج ، فلم يستطع محو اثر محصولها في نفسه، فعبر عن نتف منها في ترجمة حياته بقوله : « وقد

حضرت عليه صحيح مسلم ؛ ودرست عليه مقدمته ، ورايت من اماليه عليها وقوة ملكته في اجادة شرحها ما يعز مناله ، وكان الشيخ لا يهتم بمناقضات الشروح ولا بمناقشات الحواشي، ولا يرى بذلك قيمة ، وارى انه لو قضى شطرا من حياته في حل رموز تلك المختصرات ، وما عليها من كتابة متشعبة (الامر الذي يراه علماؤنا مقياس العلم والذكاء ... !) ؛ لو كان خلته كذلك لضعفت ملكته ، وتضاءلت اشعة فكره الوهاج » . اما المجيزون له في الاخذ عنهم من علماء المغرب وغيره فهم عدد كبير اسهب الكلام عنهم وما اجازوا له من مرويات في الفهرسة « الاتصال بالرجال» الغزيرة الفائدة . منهم القاضي المفتي المشارك العدل الصدوق احمد بن محمد البناني الرباطي بما اجازه الشيخ دحلان مفتي الشافعية ، والمتمكن الاصولي الفرضي المفتي الكبير علامة فاس احمد بن محمد بن احمد بن الخياط اجازة شاملة مطلقة عامة ، وقبل التصدي لمعاطاة التدريس كان يتقن جميع الفنون المطلوبة باستكمال شروطها المسلمة وفق المناهج التعليمية ـ وقتذاك ـ للاعتراف بالتخريج بكفاءة لازمة مخولة لاستحقاق التربع على كرسي الدراسة ، والسماح في تكوين حلقة وسط الحلقات العلمية للمشايخ الكبار ذوي الشهرة المكينة .

حقا لما ظهر في الاوساط العلمية ، وعرف العموم وجود مكانه بين صفوف العلماء المبرزين المتمكنين فيما حصلوه ، والادباء السليمي الذوق فيما نقدوه ، اشرأبت لطلعته البهية ـ وقوامه القويم ـ الاعناق ، وتطلعت صوبه الاعين بتحديق الفحيص . فاقتنعت بامتياز كفايته واقتداره المشاهد ماخوذة بسحر البيان ومتانة التبليغ ورجاحة المنطق المزدان بتكامل الشخصية ، فاختير ـ اولا ـ بالموافقة في تعيينه استاذا بالمدرسة الثانوية اليوسفية بالرباط في اقسام اللغة العربية تبعا لحصة المقررات المسموح بها لهاته الاقسام ، فقام بواجبه التعليمي التربوي احسن قيام ، ساد القسم ـ بوجوده ـ الوقار في امتثال النظام ، واعان في انتباه التلاميذ ـ بانصات جماعي ـ تجلله بالهيبة والاحترام ، امتلك الباب التلاميذ بسماحة الالقاء الفصيح التعبير في نطق الكلمات بحروف كاملة طبق المخارج صحيحة الاعراب فلا ادغام ولا تلعثم يذهب بجمال الكلمة وروعة رنتها المتناسقة ، لوحظ ذلك في مستواهم العربي تلاوة واملاء خلال الدراسة لهم الفقه بلواحقه والنحو بتوابعه ، ومقتطفات شعرية ونثرية مصحوبة بتعاليق لغة ومعنى وتاريخا عن ظروفها ومختارات من عصور الازدهار الادبي في المغرب والاندلس وغيرهما والتعريف ببعض الاعلام في ايجاز على قدر ما يسع المقرر الملتزم . وبهذا النوع من الاختيار المحبوك المبلغ باوعى طريقة وابين قول كان له اثرا محسوسا مجديا في التكوين والتمكين ، وبه تذكرت هنا قولة كريمة صادرة عن نية صادقة كنت سمعتها منذ زمان غابر غير ، كان التحصيل فيه ارسخ الاثر ، من بعض الاصدقاء تلمذوا عليه بهذه المدرسة ، وكانت حينذاك للغة الاجنبية حصص اوفر عددا في الساعات باتم منهج واقوم تعليم واجدى في النتيجة وادق في الموضوع باوفى بيان واوضح دليل ، ورغم ذلك كانوا يتقنون اللغة العربية اتقانهم لهذه اللغة الاجنبية ، فصارحتهم بقولي من اين كسبتم هذا ... ؟ ، وقد ذهب جل اوقاتكم في تعلم اللغة الاخرى تحت اشراف مفتشي برامجها برقابة عتيدة ، فاجابوا بلسان واحد « ذاك من بركات الفقيه السي السايح »! ، بلى لقد كان يحفظه اطار خاص ، فلا تحفه ماهية المستوى ـ محلى بالتقدير والاعجاب والاكبار من تلاميذ المدرسة والزملاء الاساتذة والمعلمين وموظفي ادارة المدرسة بمديرها . دائما تنصب النظرات عليه بالتعظيم اذا اجتمعوا به او مروا امامه للمقام المحترم الذي كان يحتله بين كبار العلماء ، احاطته وجاهة قومية بلباسه الوطني الفضفاض الابيض الجميل ، وهو يسير في تؤدة وسكينة ووقار في اعتدال قامة ببقعة الساحة لدى وقت الاستراحة فكنت ترى الاساتذة مغاربة واجانب يمضون فيها ويثوبون وهو ـ ضمنهم ـ يمشي على ارضها هونا مفتر الثغر بابتسامة تذوب لطفا في حملها للجميع تحية وسلاما ، قد ابعدته عما شان حوله من خواطر النقص العصبي المتعاظم ، وارتفع بما ملأ الاعين ولفت الانظار من شخصه المهيب السامي عن لواحظ الترفع والكبرياء ، فانمحت بحضوره في الساحة عوامل المفارقات الزائفة المقيتة المزورة ، وكأن الشاعر قد عناه عند الوقوف وسطهم بقوله :

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فلا يكلم الا حين يبتسم

هذا وفي بعض السنوات بمناسبة نجاح بعض تلاميذه في الامتحانات بتفوق عند انتهاء السنة الدراسية اعطيت لهم منحة تنويها باجتهادهم ، وتنبيها للغير بالابتعاد عن التكاسل قصد اللحاق قبل الفوات بطلب ادارة المدرسة من الدولة في القيام برحلة للتجول بالمراسي الجنوبية والحاضرة المراكشية . وطولب من جانب هؤلاء التلاميذ برجاء في المرافقة لهذه الرحلة العلمية بتأييد

من الادارة لتحقيق الرغبة ـ ان امكن ذلك ـ فاجاب بالقبول حينا دون تردد ـ لما عهد فيه أثناء المهمة السامية من اهتمام كبير بشؤون التلاميذ المتعلقة بالاعمال المدرسية بالمنزل او فترات العطل ؛ ولما رجعوا من الرحلة كتب عن جولاتها وصفا لطيفا مركزا منسقا كشف به عن المعالم العمرانية والمآثر الحضارية الاثرية التي زاروها بانجاز غير مخل بهذا الوصف ؛ قال في بدايته : « ومعلوم أن من نتائج الاسفار اكتساب العلوم وتهذيب الافكار . وكيف بوفد علمي همته نظر الاشياء على وجه التدقيق بقصد الادراج في سلك القواعد والتطبيق » . وفي نهايته قال : « ولو افضنا في أحاديث تلك المدن وما شاهدنا بها ؛ ولنقل كلام المؤرخين والجغرافيين والاقتصاديين وغيرهم عليها لاستدعى ذلك الاوقات والظروف ؛ وقد حالت دونها الحوادث والصروف ؛ على أن القصد انما هو الوصف، والحكاية لا تحقيق ذلك على الوجه العلمي وتبليغه الغاية » . وأرخ تقييده يوم الثلاثاء 28 ذي القعدة عام 1337 هـ الموافق 26 غشت سنة 1919 م .

حقيقة لقد كان برنامج هاته المدرسة في ذلك العهد مثقلا بعدد وافر من التراجم عن رجالات الغرب المشهورة من القديم والحديث ادبية علمية عسكرية وغيرها ؛ وليس في مقرراته ادنى ذكر لشخصيات مغربية او عربية اسلامية كان لها صدى في الغابر الزاهر يدوي أثرها الحميد في الاصقاع تعلوه هالات من الجلال العريق المجد في انصع صفحات التاريخ العالمي المتمدن ؛ مما اثار الحمية الاسلامية العربية في انفس بعض المثقفين الواعين فابدوا ملاحظاتهم عن هذا النقص المزري ـ الواجب تدارك خلله ـ في أوساط حكومية ؛ كما اذاعوا أمره الجلل في المجتمعات الشعبية لمساسه بقومية البلاد في مشاعرها الحساسة ذات الطابع العربي الاسلامي ؛ وبلغ رجال السلطة الخبر ومبلغ مدى وقعه في النفوس ؛ فامرت مدير المدرسة بتاليف كتاب مساعد في الموضوع على تسكين الحملة الانتقادية ووادها في المهد تفاديا لانتشار ذكرها ؛ فطلب المدير من المترجم الكريم الاستاذ الكبير القيام بهذه المهمة فلبى قبول الطلب بلا توقف أو تعلل . ولا ادنى تامل بل بارتياح زائد ممزوج بتنفيس مكروب عن رغبة مكبوتة ؛ حيث أن همته الابية العالية المدارك المندفعة بالنظر البعيد،كانت تتوق ـ في سابق الايام ـ لتاليف كتاب يعالج هذا الموضوع مهتما بتعريف اعلام مغربية وغيرها من اعاظم الاسلام يكون معينا على تكوين نشء صالح متشبث بروح القومية وحب الوطن ؛ كي يصبح خير خلف لمن سلف من الابناء الابرار ؛ ولكن الظروف يومئذ لم تكن صالحة لاثارة هذه الرغبة ؛ ولا المجال في حالة وضعية المغرب ـ آنذاك ـ بلون الحكم الذي كان يعيشه في جو ليل ظليم من الاستبداد سامحا لتبرير طلبه، وفعلا ـ قدس الله روحه ـ سدا لهذه الثغرة في الفراغ الملحوظ بمقررات المدرسة الف كتابه القيم سماه « المنتخبات العبقرية » الدال بعنوانه علانية عن المقصد النبيل في مغزى ما خطه لهذا السبيل من الفوائد الجمة والفرائد الغنية بالالتفاتات التاريخية ـ في محتوياتها حول شخصيات ادبية من المغرب والاندلس ذات الاثر الفعال في التوجيه التربوي والتكوين الادبي اللغوي العربي المتين المعلن بحسن اختيار مقتبساته من انتاج أعلامه وفق الغاية المطلوبة في ايجاد شباب يشب بطلاقة لسان في لغة قومه بالاسلوب القويم ، في قالب سليم المبنى حسن المعنى منسق التركيب في اوعب تعبير ؛ طبع ونشر سنة 1920 م لطلاب المدارس الثانوية . ولقد عرف ـ رحمة الله عليه ـ كيف يستغل موقف تاليفه بمرونة لبيب وحكمة اريب وبراعة أديب للعمل على ترويجه وذيوع نشره وتشهيره بين اوساط الطلبة ومحبي الاطلاع ككتاب ثقافي لمستواه الادبي الطريف . وحول بمراميه السامية البعيدة المدى ـ في تكوين جيل صاعد متمسك في تشبع بقومية خالصة ـ مطلوب السلطة المنشود الى سبيل معبد محمود ؛ تحت ستار مغلف بالوان فنون من الادب انبنت بموجز عن بعض الرجالات مردفة بمقتطفات من انتاجهم شعرية ونثرية. اظهرت مدلولاتها المختارة في اساليب متينة عربية سليمة ـ المصطبغة بروح اسلامية صميمة ؛ ما دعا لخيبة امل مدير المدرسة ـ آنذاك ـ في تحقيق رغبة قادة الاحتلال بكتابة الموضوع في نطاق التغطية والتضليل ؛ كما لو كتبه احد المستعربين المحترفين باسلوب سقيم ليس له نسب باللغة العربية الا الاسم والحرف المنحرف عن الهدف ـ ولقد وضعه في حجم متوسط اتسمت عبارات منتقياته بالوضوح والاشراف واكتناز الفائدة مع سلامة البيان في عرض التراجم وسبكها منسقة في نهج سهل لا تعثر في جمله ولا غموض في بيانه ؛ وليس بالمسهب الممل ولا المختصر المخل . امتاز بالذوق الاصيل في الاقتباس شعرا ونثرا ؛ والتعليق على ذلك بايجاز يغني عن المراجع ؛ ومن مقاصد المترجم الكريم الطيبة ذات الابعاد الاصلاحية ـ في تربية شباب قوي بروحه الاسلامية السلفية متين العقيدة الخالية من شوائب الرجعية ورواسب الجمود المتحجر ـ اقحامه التفاتات

استطرادية ذات الاهمية فى هذا الكتاب المدرسي – اعطت نموذجا حيا عن نهجه فى التعليم الذي يغـــزو العقول بالصالح من القول لتنقية معاقلهــا من ادران المناقشات اللفظية والاحتمالات الوهمية ، وتطهيـــر اركان زواياها من ترهات الشعوذة والخرافات لايجاد مواطنين صالحين للاعمال الايجابية الدافعة الى الامام والمؤهلة للسير فى الصف المدني المتقدم ، ذاكرا لها لادنى فرصة داعية – ففى ترجمة ابن القاضي «صاحب جذوة الاقتباس» لما كان يتكلم عن نشاطه الفريـــد المثال ، وقوة طاقته العلمية قال : « وناهيك بهمة رجل كان من ديدنه وعادته انه يختم مختصر خليل فى كل اربعة اشهر ، قلت وهذه غاية قصوى فى الشغف بنشر العلوم وبذل المعارف ، ودليل قاطع على كبر همـــة الرجل وغزارة عقله وشعوره بقيمة العمر ، وانها مما لا يستهان ببذلها امام تلك المناقشات اللفظية والاحتمالات الوهمية ، تلك المناقشات التي قضت وبالاسف على عدد غير قليل من شبابنا واضطرتهـــم الى الرجـــوع للقهقرى ، تلك المناقشات التي ما آب ولـــن يئـــوب المعانون لها الا بصفقة الحرمان، لاسيما ان دفعوا الى ميادين العلوم الصحيحة ، فبينما ترى العلماء وهـــم يتدبرون كتاب ربهم ، ويستخرجون من بحوره الزاخرة دررا ونفائس يقتنونها لمعاشهم ومعادهم واجتمـاع كلمتهم واتحادهم وتهذيب فلذ اكبادهم ، وتربيتهـــم تربية صحيحة علمية دينية اجتماعية خلقية الى غير ذلك، ويعون احاديث نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستطلعون معارفها ويتحلون بآدابها ويتهذبون بتهذيبها ، كل هذا والشريعة تتمثل امامهم غضة طرية فى ابهى مظاهرهـــا مجلي سرها كأنهم يتلقونها من فم ابي القاسم صلى الله عليه وسلم ، اذا اخوك المغربي يذوب عرقا لحل جدول يتضمن صورا وهمية لا وجود لها الا فى عالم الخيال ! بينما الامم تشتغل بعلومنا الكفائية من طب وهندســـة وميكانيكية وفنون حربية وتجارية واقتصادية وجغرافيا وتاريخ وغير ذلك من العلوم النافعة اذا صاحبنا يقتحمه تقدير مضاف او تقويم عبارة او تطريق احتمـــال ، او نحو هذا من المناقشات السقيمة ... !

نصحتك علما بالهوى ، والذي ارى
مخالفتي ، فاختر لنفسك ما يحلو

وايضا ففي ترجمة المؤرخ الكبير الاديب الاريب الواعية المشارك سيدي احمد بن خالـــد الناصـــري صاحب « كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » المفيد الكبير فى بابه – لما علق على تحرر فكره من شوائب الشعوذة والخرافات الملصقة بالدين القويـم الحنيف قال : « ان للرجل حرية فكر وغيرة على الدين، وتفوقا الى اصوله المتينة السبك المحكمة السمـك التي تمثل حالته فى العصر الاول تلك النقطة التي لو واصل ائمة الاسلام النضـج عنهـــا (اي الدفـــاع) لاصبحوا من الوحدة على مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهـــم وتعاطفهم مثل الجسـد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . ومن الاجتمـــاع على مثل قوله صلى الله عليه وسلم ايضا : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ويشبك بين أصابعه ، ومن القانون على دستور ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن الحكومة على الديمقراطية الخالصة التي ذهب اليونان والرومان والفـــرس ، ولم تطـــأ حوافرهم ظلها رغما عن سيرهم الحثيث فى أثرها الى غير ذلك من الاصول الحية الراقية التي لا تتزلزل ما دامت السموات والارض وما يعقلها الا العالمون » .

اجل فعلاوة على هذا النشـــاط الفعـــال فى الدراسة بهذه المدرسة لم يكن مقتصرا عليها فحسب بل كان كذلك يشغله بمعهد الدروس العاليـــة بالرباط (كلية الاداب حاليا) فى الفقه والاصـــول والنحـــو واللغة والادب بلواحقه ،ونحو هذا من المرغوب فيه هناك وفق المقرر ، وكان يلقي احيانا محاضرة بقاعته لدى افتتاح دور المحاضرات السنوي ، ومن جملـــة المحاضرات التي كان القاهـــا بهذا المعهـــد فى الاول محاضرة فى « رسو الارض بالجبال » حلل فيها أسباب الرسو تحليلا علميا فى ابراد كلام منطقي مؤيد بالاستشهاد بآيات من القرءان الكريم والاتيان ببعض الاحاديـــث المشيرة بتنبؤ لبعض هاته الاسباب ، وذلـــك فى 27 جمادى الاولى سنة 1343 هـ – موافق 24 دجنبر سنة 1924 م . ومن آرائه الدالة على فكر ناضج ووسع فى الاطلاع والاعتزاز بالراي المعزز بفروض علمية مصحوبة بسناد صحيح آيات قرءانية واحاديث نبوية . قال فى البداية كتمهيد للموضوع : « قد تكرر فى كتـــاب الله العزيز ذكر رسو الارض بالجبال ، وانه لولاها لمادت الارض ولم تكن مهادا وقرارا ، قال تعالى – فى عـــدة آيات – « والقى فى الارض رواسي أن تميد بكم » ، « وجعلنا فى الارض رواسي أن تميد بهم » ، « قـــل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، الآية » ، « الم نجعل الارض مهادا والجبـــال اوتادا » ، وقد استشكل وجه رسوها بها مع ما هـــو مقرر فى علم الجغرافيا والهيئة وغيرهما من أن [illegible]

الجبال الى الارض كنسبة التضاريس الى البرتقالة ، واذن فما هو وجه الرسو بها ، وكثر ما اجاب به الناس ووجهوا ، وجميع ما وقفت عليه من ذلك لا يثلج له الصدر ، لاسيما اذا عرض على محق النقد ، وقيس بمقياس العلوم ، وقد اهتديت بفضل الله الى جواب منطبق تمام الانطباق على الاصول المحررة فى علم الجيولوجيا (علم طبقات الارض) رافعا النقاب عن وجه ما ذكر ، بل تصير الآيات الواردة فى ذلك الموضوع اصلا لتلك الاصول التي تعتبر من اعظم اركان ذلك الفن » . وزاد فقال : « من المعلوم أن الارض قبل ان تكون الجبال فوقها كانت فى حالة ميد واضطراب ، بمعنى انه يرتفع منها ما يرتفع ، وينخفض منها ما ينخفض ، وذلك من هيجانها بالزلازل والبراكين النارية ... » الى ان قال وقصارى القول ان الارض كانت فى حالة هيجان واضطراب ، وان ذلك من النار الكامنة فى جوفها ، سواء جرينا على القول بأنها منفصلة عن الشمس التي هي من مادة الاثير . وانها كانت كتلة نارية ملتهبة ، ثم لما بردت القشرة العليا منها تقلصت عنها المادة داخلها ، والجاذبية تستلزم ان وجه القشرة الداخلي يلحق المادة الداخلة ، ويبقى متصلا بها ، وذلك يستلزم تضييق مساحتها وتضييق مساحة قشرة جامدة حتى تلحق مادة داخلة تقلصت عنها يستلزم تكسير القشرة وتحريفها ، ورفع مواضع منها وتجعيدها وتغضينها وركوب بعضها فوق بعض ... ولا يبعد (والله اعلم) ان يكون الاثير هو المعنى بالدخان فى آية (ثم استوى الى السماء وهي دخان) لما نص عليه اهل التفسير من انه ليس دخان النار التي هي احدى العناصر ، أم لم نقل بذلك المذهب لانه فرض علمي فحسب لا انه حقيقة علمية ... فالارض لا محالة كانت فى حالة ميد واضطراب وتزلزل يقينا ، عرفنا السبب ام جهلناه . ولما تم امر الارض بتجعيدها وتغضينها وذلك بظهور الجبال فوقها سكنت حينئذ ، وصلحت لان تكون مهادا وقرارا ولم يبق من هيجانها الا النادر الذي لا يؤبه له » .

كما القى ايضا محاضرة اسماها : « الولد سر ابيه » عرض فيها نظريات متباينة فى علم الوراثة واثرها فى النسل طبيعة واستعدادا ، مبديا رأيه الخاص فى فروض معقولة تشير على ما ارتآه فى الصحيح منها ، ومؤكدا وجهته بما انتقاه بعزو عن دراسات عنها بمجلة « المقتطف » وبعض الكتب المتضمنة لهذا الفن ككتاب « ملقى السبل » لاسماعيل مظهر ، وبحوث فى الموضوع مجموعة بكتاب للدكتور مشمل اللبناني . ولن تنسى ذاكرتي يوم الحضور لاستماعها بداع وحيد أكيد وكاف لرسوخ ذكري القاها فى الذهن الى الان الا وهو وقوع دهشة غمرها استغراب فى تقدير واعجاب ظهرت على ملامح بعض المرافقين لي من الشباب المثقف بلغته العربية كتمكنه من اللغة الاجنبية العصرية النزعة المتفتح الفكرة المتحرر من « عقدة النقص » ، حينما خرجنا من القاعة لما تمت المحاضرة ، فلقد اثنى أجل الثناء العاطر ــ بما معناه ــ عن فصاحة المترجم البليغة فى الالقاء القوي الرنة ، المبين الكلمة الصادق اللهجة ، المعرب من جهة أخرى عن حدة ذكاء واتقاد نباهة وقوة ملكة امتزجت بحسن التصرف فى تنسيق التبويب ، والادلاء بالمحجة وتقديم الراجح فى الاستدلال . وصرح هذا الصديق ــ امام فوج من الرفقاء الآخرين بحماس وتأثر شاهده العيان ، فى أن المترجم الكريم لا يفضل عنه اي استاذ جامعي تخرج من المعاهد العلمية الغربية ، فى استخراج خلاصات عن علم او فلسفة محضرة مرتبة المواضيع حسب المعاني واضحة صالحة لافادة العموم ، فضلا عن الاستحقاق فى عرضها امام الخصوص ــ عدا فى التعبير باللغة الاجنبية فحسب حيث يفهمها ويدرك مضامينها وما تحمل كلماتها من مفاهيم حقيقة ومجازا وتضمينا ــ عدد من المستمعين فى هذه القاعة استغرق اغلب المثقفين الحاضرين بها .. كتعبيره آنذاك ... !»
كما القى فيها كذلك محاضرة قيمة ذات المستوى العالي فى كيفية الدراسة الموسومة بوضوح فى التحليل للتعرف عن حياة كبار الشخصيات العلمية وابراز مكانتهم فى صور جلية زاد ظهور مخايلها ــ نهج سلس فى الابانة ، سهل الاقتطاف ، اكتنزت علما مليئا سبكته دراية وسبغة مكينة فى عمق وامعان موثوقة النتائج، وذلك عن حياة الامام العبقري الشهير عملاق الفكر فى عصره « الفخر الرازي ونظرياته الفلسفية » عام 1362 هـ ــ 1943 م ، وللاجماع على استحسانها طولب باعادتها بمدينة فاس تلبية لرغبة قدماء تلاميذ المدرسة الادريسية الثانوية فى قاعة المحاضرات بناديهم . واليك ايها القارىء العزيز افادات منتقاة منها تريك طريق دراسته عن هذه الشخصية العظيمة تزيدك تعريفا بمكانته العلمية بلون آخر اتسع افقه وارتفع مستواه . فقال فى البداية كتمهيد للبحث : « واني اعرض هنا صورا مصغرة تشخص ذلك العصر الذي كان يعيش فيه الرازي ، ويستمد منه حياته العقلية بقصد ربط افكاره بعصره فاقول : لا يعزب عن الفكر ما بلغه الملك العربي من الاتساع وترامي الارجاء والاستيلاء على اطراف المعمور شرقا وغربا وان ملك

العرب قد امتد من نهج الثلج غربا الى نهر الكانج شرقا، مع ما كان يقوم به من نشر الدين والثقافة العربيـــة ، وضروري ان اتساع جوانب هذا الملك العظيم ، يقضي باندراج شعوب كثيرة فى بحبوحته وتحت ظل رايته . وضروري ان هذه الشعوب الكثيرة من فـــرس وروم وترك وسريان وغيرهم لها اديان تدين بها وآراء تتبع امزجتها ، ومعلوم ايضا ان منهم من اعتنق الاسلام ، ومنهم من بقي على دينه تحت حكم الاسلام ، ومعلوم ما كان بينهم وبين العرب من الامتزاج والاتصال المباشر لا سيما فى عصر بني العباس . لا شك ان هذا التلاقح الفكري ينتج افكارا وآراء لم تكن معروفة للعرب وهم بين الشيح والقيصوم ــ وكذلك كان ــ فقد ظهرت فيه آراء مختلفة ومذاهب متنوعة ونظريات ونحل ولا سيما فى العلم الالهي . وكان موضوع البحث والجدل فيما بينهم ، كما ان ذلك الامتزاج راض اذهانهم ، وحبب اليهم البحث والنظر ونبههم الى علوم الامم التي كملت فيها العلوم . فكان مما اهتموا به علوم اليونان وهـــي امة كملت فيها الحكمة فى الاحقاب المتطاولة فدرسوها وحذقوا فيها وافرغوا جدلهم فى اساليب منطقيـــة ، وقوالب منظمة . كما كان البحث عنـــد اليونـــان . واصبحت الفلـــفة لديهم موردا لا ينفد لهذه الابحاث ونشا فيهم عباقرة مثل الجاحظ والنظام وابي الهذيل العلاف . وكان لهم بذلك جهاد فكري واسع » . وبعد هذا قال : « وان فطاحلة المستغرقين فى البحـــوث العميقة . كثيرا ما تلقي بهم بحوثهـــم فى مجاهــــل شاسعة لا يقف الطرف منها الى غاية . وكثيرا ما تقف فى وجوههم سدود لا يستطيعون لها نقبا فما يسعهم اذذاك الا ان يردوا الامر الى ربهم . ليستمـــدوا مـــن حضرته ما فيه سكن لارواحهم . كما يظهر لنا أن ذلك الشك كثيرا ما كان يستجره الى الامعان فى النظـــر الذي يتبعه الوصول الى الحقيقة . شان كل فكر حر بحاث على الحقائق فيكون هذا الشك وسيلة الى اليقين كما هو تفسير شك « ديكارت » الفيلسوف الشهير . كان يشك ليستيقن . وقد ادرك ابو حامد الغزالي هذه الحقيقة قبل ديكارت بعدة قرون . كما يعرف ذلك من رسالة « حي بن يقظان » لابن الطفيل ، وقبله الجاحظ واجاد شرحها فى كتاب الحيوان » . وانظر اليه أيها القارىء فى رده على راى الرازي فى اعتقاده ان الطريقة المثلى فى الدعوة الى الحق هي طريق المنطق . فقال: « ونحن اذا فكرنا فى هذا الموضوع بصفاء فكر واخلاص وجهة ندرك جليا ان دعوة الرسول صلى الله عليـــه وسلم المعتمدة على براهين القرءان ، تناجي الفطـــرة وتتصل بالقلب اتصالا مباشرا لقيامها على التنبيه على آيات الله فى الانفس والآفاق : اما الجدل المنطقي فلا يكاد يقوى على ادراكه الا من راض بالنظر . وليس كل الناس بمتاهل لذلك ، وانما كان فى عصور قد خلت كان ذلك مقتضى الحال فيها لمقابلة الخصم بالمثل . وقد هلك كثير من تلك الطوائف فى الدهر الغابر فليس اليوم لاحياء تلك الخصوم من داع، على انه قد انكره فى تلك العصور نفسها كثير من السلف لما فيه من تحويل العقيدة الاسلامية البسيطة السهلة الى عقيدة نظريـــة معقدة » . ثم زاد فقال : فى الـــرد على الـــرازي فى محاولته الجمع بين الدين والفلـــفة : « اما نظري فى هاته المحاولة فهو انها من الاعمال العقيمة ، فان ما كان ثابتا ثبوتا يقينا لا يمكن ان يتصادم مع الدين بحال . وما كان من خير الآراء والظنون التي قد تطفو اليـــوم وترســب الغد . فالقرءان اعلى منه مثالا ، فلا معنـــى لهذه المقارنة ، ولا سيما ووجهة الدين غيـــر وجهـــة الفلـــفة، فهذه مـــالة الافلاك، وما ارتاى اليونانيون فى حقائقها . واثبات النفوس لها اصبح ذلك من الاوهام والخيالات فى نظر العلـــم الصحيح ، علـــى ان جملـــة معارفهم اصبحت اليوم كهباء منثور فى زوايا العلم . والاحظ بخصوص على « رسائل اخوان الصفاء » فقد اشتملت على فلسفة فيتاغورس التي هي اركـ المذاهب الفلـــفية وارذلها . وربما اشتملت على ما هو كفر مع تزيينه والاحتجاج له » .

أجل فرغم هذا النشـــاط الملحـــوظ فى حيويـــة متحركة باستمرار ، المنبعث عن طاقة متقدة لا تعرف الهدوء فى حياة رتيبة بالفراغ فى سكـــون خامـــد بالاستقرار ــ الاخذ من حق راحته بقسط وافر مـــن الليل ، وزوائد من ساعة النهار فى رحاب ميدان التعليم بالمدرسة والمعهد ــ لم يوهن قواه ولا اخمد عزيمتـــه الفعالة للتخلي عن الواجبات التعليمية الاكيدة المنوطة بأمثاله القيام بها لافادة طلاب حلقات المسجد . فلقـــد قام ببعض مساجد مدينة الرباط بدروس فى التفسير عن بعض السور من القرءان الكريم القى منها ما تيسر فى الاذاعة عام 1360 هـ ــ 1941م، وامالي حديثيةعلا مستوى مجالسها فى سمو الايضاح مع الاجادة والاكتناز فى تقرير ما يرتبط بها من فقه واصـــول ، الى غير ذلك من الفنون المقترحة عليه تدريســـها من الطلبـــة ، ولا احـــب أن ملازمي حضورها من خاصتهم ، قد سقطت صفحتها الخالدة من ذكرياتهم ، والقيت مآثر أيامهـــا العامرة الغمرة فى مخبا الذهول والغفلة ، او نسوا ما جرى فيها من مطارحات علمية ادبية ، وما راج فيها من

ثمين الافكار ببارع الاتقان في التحرير المحكم ، والتحري في تحقيق المسائل بابداع ممتع الاسماع . كما استبعد ان يكون قد ذهب من الاذهان ما عقلوا — في السابق — من روعة تلك الدروس التي كانت تكتسيها حلة من البيان المكتنز بالمفيد من القول معقولا ومنقولا في جودة اختيار وحبك في دموج مبرم بخاطر حاضر بالالتفاتات التاريخية والادبية والفلسفية التي قد تزيد العقل نموا والاستعداد نضجا والذهن تفتحا والفكر تحررا من رواسب ماض متحجر .

اما ابتداء دروسه بجامع القرويين ذي التاريخ المجيد الاصيل ، فلقد كانت أيام توليته قضاء الجماعة بمقصورة الرصيف عام 1355 هـ — 1936 م . وفي نفس هذه الفترة من الزمان كانت مدينة فاس — الجميلة الذكريات في مختلف المجالات — لا زالت بحق — حينذاك — تعد عاصمة العلم ؛ تنبع من جدران مساجدها ومدارسها الاصيلة ينابيع المعرفة ؛ حاملة مشعله المنير — بدون منافس قرين — الى مختلف الجهات في القطر بواسطة الآفاقيين المتخرجين . وكانت اغلب الجوامع مملوءة بطلاب العلم وفي المقدمة جامع القرويين ، احتل الكراسي جلة من كبار العلماء ، وبينهم تربع على كرسيه المترجم الكريم ، واجتمع حوله بالحلقة الدراسية نخبة من نجباء الطلبة البلديين والآفاقيين ذوي الحذق والنباهة الفارين من قداسة نصوص المتأخرين الجامدة لجانب الركون الى اقوال السلف الصحيحة المصدر المتواترة الاثر المعقولة في النظر ، ولقد كان يعطي اهمية كبرى للاعتناء بدراسة الحديث لما راى قلة من يعتني بدرسه في العهود الاخيرة سواء بفاس او غيرها وقد عبر عن هذا في رسالته « الحركة السلفية بالمغرب » بقوله : « وقد امليت بالقرويين من الدروس الحديثية، وما يرتبط بها من فقه وأصول وخلاف عال واسبابه مع التدريب على التطبيق بكل ما في الوسع الامر الذي يكفي لمن اراد ان يتخرج في الفن ، ولم يظهر لذلك اثر الا في القليل خصوصا في بعض الآفاقيين في مكناسة الزيتون ؛ ومنذ سنين ؛ وانا في لجنة امتحان العالمية بالقرويين، وقل أن أجد متخرجا يعتني بالحديث اعتناء يثلج الصدر، ولا ارى الرغبة الا في فقه المعاملات بنتائجه المادية ، ولله الامر من قبل ومن بعد » . ولقد ترك — رحمه الله — بهذه المدينة العلمية ذكرا محمودا اتسم بمروءة مثالية، وأخلاق في المعاملات كريمة . كما خلف سمعة طيبة في مختلف اوساطها لعمله المشكور سواء في خطة القضاء او مجلس العلم بقي اثر ذلك في انفس شخصيات عالمة لها حصافة « في الراي ، واحباك » في النقد بمعيار دقيق في الوزن ، اتصفت بروح الانصاف في دائرة الاستحقاق . منها من تلمذ عليه وانتفع به وتملى باحاديثه ، ومنها من سبر غوره ونجده عن كثب ؛ واستيقن بفضله بما شاع عنه في المجتمع ، وغير ما مرة سمعت الثناء الجميل على احواله اذا ما عرض — في مجلس — ذكره لهم بادنى مناسبة .

هذا ولقد كانت نتائج تدريسه الحميدة — التي استنفدت قوة جهده المتواصلة بما يربو عن ثلثي عمره — ايجاد تراث علمي قيم وقع تدوينه حسبما تدعو اليه عوامل لا تعدو في المجموع عن ثلاثة : اولا عن مسائل وجيهة لفتت نظره قد أثيرت في محافل او ندوات جمع احسن ما فيها مرفقا باعطاء النظر وتحكيم الراي والادلاء بالحجة استنادا على القوي منها . ثانيا اجوبة عن اسئلة ذات الجدوى جره تدقيق البحث عنها للاسهاب . ثالثا قضايا مستحسنة تفسيرية حديثية . فلسفية ؛ او غيرها ؛ طرا — اثناء الدرس — حولها توقف اقتضاه البحث بالتعقيب على ذلك لزيادة الايضاح بالتقييد استيفاء للعناصر المطلوبة ؛ وهذه العوامل الثلاثة هي في القالب الحافز الداعي لوضع الكثير من انتاجه بهذه الصبغة العلمية المنسقة التبويب بمنهج منطقي وتحليل مقبول ؛ فمن ديدنه المعهود التثبت والتاثر والتروي في المقارنة بين الصحيح والزائف ، فلم يرغب قط في الارتجال ولا التسرع في الجواب اعتمادا على ما خزنته الذاكرة وتراكم في الحافظة . ولو تعود ذلك لضاعت ثمار علمه باقبارها معه. كما وقع لبواقع من جلة كبار العلماء ذهب بموتهم ما روجوا من العلم الكثير اتكالا على الحفظ الغزير ؛ وشبيه بهم في ضياع الجهود علماء طغى عليهم التقليد وقيدهم الجمود فاخمدوا القرائح بتوالي لوك المحفوظ ، كما اتخموها بالاكتظاظ من كثرة النقول المتضاربة التي حشروها في تآليفهم دون تعليق عن الاقوى او رد عن الاضعف او تصويب لخطا في الفهم . فكانت تلك النقول نسخا مكررة ، لم ترد علما عمن سبق . فكان عملهم المضني هدرا لم يفيدوا به شيئا الا ما اعادوه مكررا، ما دام لم يحظ منهم بتعليق او رد ، او تصويب .

والى قارئي العزيز عرضا باسماء طرف وافر من هذا الانتاج الجيد الكلم ، العذب المعين ، الغني الثمين مصحوبا بالمستفاد من الاقوال والآراء ، مبتدا بالمطبوع من الكتب : « المنتخبات العبقرية » ؛ وقد تقدم الكلام عن ذكرها . ثانيا « سوق المهر الى قافية ابن عمرو » طبع بالمطبعة الاقتصادية بالرباط عام 1357 هـ — 1938 م

جعله في حجم متوسط وضع له مقدمة حافلة جامعة قبل المشروع في شرح القصيد المطول الادبي اللغوي — عن تاريخ بناء الموحدين لمدينة الرباط ، ونزول الجاليات الاندلسية به في موجات بشرية متتابعة بمراحل اولى ، وردفتها اخرى بعد سقوط غرناطة ، وسبب اجلاء القشتاليين للعرب من الاندلس ، وعدتهم يوم الجلاء وذكر مهاجر الاندلسيين وتفرقهم في البلاد، وتمحيص ما نسب اليهم من جفاء الخلق وضعف الدين واتقان الصناعات الاندلسية ورواجها بصناع مهرة في العمارة بالمغرب ، واتخاذ طرق الفلاحة الاندلسية ، وذكر امر جهادهم في البحر ، وغزو ملوك المغرب بالجزيرة الاندلسية ، وتسمية بعض الاسرات الاندلسية ممن نزل بالرباط ، والآداب الاندلسية ، ثم تعريف موجز بابن عمرو صاحب القصيدة المشروحة المعارضة للشمقمقية المشهورة .. وهذه المقدمة في الحقيقة قد استقلت — بموضوعها التاريخي الطريف المفيد — عن الشرح لما تضمنت الكلام عن الاندلس والمغرب — زيادة على ما ذكر — في نطاق العلاقات بينهما الوثيقة العرى بارتباط محكم الصلات جعلتهما في فترات زمانية — من تاريخهما الحافل بالاحداث والوقائع — وحدة متماسكة الحلقات في النواحي العلمية والسياسية والاقتصادية . هذا فضلا على ما اظهره في الشرح من براعة دقيقة في تيسير المعاني الصعبة ، وتذليل الطريق الوعر في القافية الملزوء بالفاظ غير مستألفة مالوفة . وتحقيق ما اشكل من مبانيها الجافية ، مما افاد من جهة اخرى على تفوقه الادبي الباهر وتضلعه الكبير في تفهم مفردات عصية مجمدة غير مستعملة في اللغة العربية . وثالثا من المطبوع : « تحقيق الامنية مما لاح لي من حديث انا امة امية» طبع سنة 1351هـ — 1932م في حجم صغير المتوسط . ومن المفيد مشاركة القارىء العزيز بتعريف عن هذا الكتاب بمضمن من محتوياته في اجمال بمقتطفات مختارة من بين الاقوال . ففي المقدمة — اثناء الكلام — على ان الشريعة المحمدية هي اكمل الشرائع واعمها قال : « تتناولها كل العقول عن كثب، وترتقي لسمائها باقرب سبب ، يستوي فيها البدوي الغر والفيلسوف الرائد الفكر ، فهما يكرعان معا في كف، ويقفان لعبادة ربهما في صف ، والى هنا فهذا بفضل الله تعليق على الحديث المقرر لهذا الاصل العظيم ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم ، انا امة امية لا نكتب ولا نحسب ... حدالي الى مغناه منافشة بعض الفضلاء في مرمى اشارته ومغزاه ، فتمهد في نشي معناه الكبير ، وبعد هذا قال : « ومعنى لا نحسب ولا نكتب ، ان امر ديننا من صلاة وصيام وحج وغير ذلك لا يرتبط بالامور الحسابية التي لا يدركها الا الخواص الدارسون لها والرائضة اذهانهم بها ، وانما يرتبط بامور عن كثب الفيلسوف الالد والبدوي الغر التي ما بين المكلف وبينها الا ان ينظر نظرة في السماء كاناطة الصوم والافطار ووقت الحج برؤية الهلال او اكمال ثلاثين يوما ، ومواقيت الزوال وبالظل او بغروب قرص الشمس او حمرتها او اقبال ضوئها من قبل المشرق ، وكمعرفة مدة الحمل وانقضاء العدد بالاهلة وغير ذلك » وزاد فقال: «ولو ارتبط الامر في العبادات بالحساب والتعديل لضاق النطاق ، ولكان في ذلك غاية الحرج والتعنيت ، كالفلاسفة ذوي العقول الرائضة بالنظر فيفوت المقصود من عموم البعثة وشمول الدعوة الى ان قال في خاتمته : « وليس المراد ما يتراءى من ظاهره من التزهيد في العلوم والترغيب عنها وتثبيط العزائم . كلا ثم كلا ، فهذا علم الكتابة المنفي عن العرب في هذا الحديث . قد وقع التنويه به في كتاب الله تعالى في اول ما نزل في القرءان ، قال جل علاه : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » . فدلت هذه الآيات الشريفة على ان الكتابة هي النعمة الاولى بعد نعمة الايجاد ، اذ هي المقدمة الكبرى للعلم». وعلى هاته الوتيرة بهذا النوع الممتع في البحث قد مشى الكتاب حاملا الفوائد الجمة والفرائد المنضمة في استطرادات كسبت محلها فلن تبعد عن الموضوع تخللتها نقول شرقية وغربية قديمة وحديثة . مظهرا بادلائها مبلغ العرب الكبير في علوم الفلك . ولم يقتنع لافادتك بما اورده فيه من المستحسن الطريف — الذي اعطى صورا عريضة غير مطولة . مشرقة لامعة زاهية، قد حكت بزهوها — ما وصلت اليه الحضارة العربية من اتقان ودراية وابداع في ميدان العلوم — بل احالك لتزيدك علما بها عن مؤلفه القيم « اشراف الحلك في علوم الفلك » ، كما تعثر فيه — ايضا — على مسائل فقهية ذات الاهمية بالنسبة لاقضية حدثت في صور نوازل لم تكن معهودة قبل في نوع المعاملات ، تشعرك بوجهة رايه المصطبغ بروح اجتهادية مستأنسة بنقول الغير عن وعي لصلاحية غير متقيد بها في تقليد « اعمى » ، منها قوله : « ومما لا يرتاب منصف في انه من التشدد في هذه الشريعة ما تراه في كتب كثير من المتاخرين من القضاء على صور كثيرة في المعاملات باحكام لا يتراءى فيها وجه حكمتها ، ولا يقع عليها ظل شاخص علتها ، كما تراه فيما يعرف بالذرائع الربوية ،

مع ان اعتبار ذلك انما هو فيما يكثر قصد الناس له فيمنع للتهمة ، وان تغيرت الاجيال واستحالت الاحوال وزالت تلك القصود زال ذلك الحكم معها لانه لم يرد على مفسدة قائمة ، وانما ورد على الاتهام فقط » . . وزاد بعد هذا فقال : « نصيحتي الى المغرمين بالفقه بان يرجعوا الى كتب فقه السلف الواضحة المناهج الواسعة الفجاج المسفرة عن مقاصدها لاول نظرة ليروا كفاحا كيف يكون الفقه في الدين ، وتترجى فيهم ملكة العلم الصحيح ، ويشرفوا على الخلاف العالي بين الائمة ويعرفوا استمداد كل قول وتوجيه كل راي، ويرتقوا الى مستوى تشرف عليهم فيه اسرار الشريعة ومقاصدها ، كل ذلك في اقرب زمان ، وبذلك يفضل لهم وقت واسع لقضاء حقوق العلوم الاخرى ، ولا سيما الصناعية والفلاحية والتجارية التي اصبح الجاهل بها في هذا العصر بخس القيمة معدودا من سقط المتاع » ومن الانتاج المخطوط : الثبت القيم الثمين الجدوى المسمى « الاتصال بالرجال » فهرسته التي جعلها معجما لبعض اعاظم الشخصيات من جلة علماء المغرب وغيره من مشايخه ومشايخهم ، والمجيزين له بذكر سند من اجازهم ، افاض في تراجمهم وما لديهم من مؤلفات وما اخذ عنهم من مرويات . وكتاب « الغصن المهصور بمدينة المنصور » وضعه تاريخا مختصرا لمدينة الرباط ، تكلم فيه عن احداث بناءه ، ومن بناه حياة ودولة ، واعماره ومعالم آثاره . وكتاب « لسان القسطاس في تاريخ مدينة فاس » وجزء في تفسير سور النصر والمسد والاخلاص والمعوذتين » . و « المفهوم والمنطوق مما ظهر من الغيوب التي انبأ بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم » و « المصباح الأجوج الكاشف عن سد ذي القرنين وياجوج وماجوج» و « منهل الوارد في تفضيل الوارد » و « نجعة الرائد في ابتناء الحكم والفتوى عن المقاصد والعوائد » . و « اثمد الجفن في عدم اعادة صلاة الجنازة الناقصة التكبير بعد الدفن » . و « سبك الذهب واللجين في سر افتقار التناسل الى الزوجين » تضمن بحثا غريبا في علم « الفسيولوجيا » . « رضاب العذراء في سير اظهار احداهما في آية شهادة النساء » . و « رقة الصبابة » . و « الخمار المذهب في أحكام التعامل بين مختلف المذهب » . و « الرحلة الباريزية » . و « الطلاق في كتاب الله » . و « تنبيه ذوي الاحلام الى صفة الحجاب في الاسلام » . و « طريف الخبر في رد مبادىء ديكارت الى راي من غبر » . و « القاف فيما روي في جبل قاف » تضمن القول على ما روي فيه وما يعنيه العرب بجبل قاف ، وانه جبل القافقاس ، ومعلومات العرب القدماء في الجغرافيا وما الى ذلك . و « اعجاز القرءان » . و « العلوم في الحديث النبوي» و « التنبيه الى احكام التشبيه » . و « الترف المروم باحاديث فتح مدينة الروم » . و « حسن البيان للجاحظ في كتاب الحيوان » . و « الطراز المذهب في طريق رفع الخلاف بين مختلف المذهب » . كان الباعث له على تاليفه هو بحث في مسالة التعامل في البيع والنكاح والطلاق وغيرها اثار الحديث عن هذه المسالة مع جراب العالم الواعية المتفلسف نابغة صقع الجديدة وعصروبها الفريد في وسطه محمد بن احمد الرافعي (المتوفى سنة 1360 هـ ـ 1941 م) . لما زار المترجم الكريم مدينة الجديدة سنة 1337 هـ ـ 1919 م اثناء الرحلة للتجول بالمراسي الجنوبية والحاضرة المراكشية رفقة التلاميذ المتفوقين ـ التي مر الكلام عنها ـ فاجابه عن الموضوع كتابة ، ومن ذلك قد اعاد النظر فيه فاتسعت ـ عنده بمعلومات أخرى ـ القضية فابرز فيها هذا التاليف . وجل ما تقدم في هذا العرض من انتاجه صغير الحجم وغزير العلم الموقد للفهم . وله غير ذلك من الرسائل الكثيرة المتضمنة مسائل علمية ، تبودل ـ ايضا ـ الراي فيها مع جلة من كبار الشخصيات العالمة في المغرب وخارجه ، كذلك التقاييد العديدة تفسيرية ، حديثية ، فقهية ، اصولية ، فلكية ، ادبية . ومن الممكن ان تكون للمترجم كتب مخطوطة غير السابقة في أول عرض الانتاج ، قد تخطى القلم ذكرها جهلا بالعناوين حيث لم يسبق الاذن سماعها ، ورجائي مؤاتاة بعض الصدف السعيدة تتيح العلم بها وبالمذكور منها ـ قصد الاستفادة ـ بزيادة معلومات اخرى تلقي اضواء عن بعض الجوانب من مراحل هذه الشخصية العظيمة ـ في نضج الفكر وتفتح المدارك والدعوة الى الاصلاح ـ المغمورة بين سطور انتاجها الدفين ـ ليضاف ذلك في القريب ـ ان شاء الله ـ في ترجمة حياته المفصلة في كتاب « اعلام من رواد النهضة بالمغرب » .

نعم فلقد كان المعلوم عنه في حياته الخاصة ـ قدس الله روحه ـ بعد الفراغ من اعماله الدراسية أو مهامه القضائية وغيرها ايام وظيفته بالمحكمة العليا ومجلس الاستئناف الشرعي ـ لزوم المكوث في معتكفه محاط برفوف الكتب للانكباب المستديم الجدي على الدراسات المختلفة الفنون في المظان العالية المستوى ذات الكيف الجيد والجدوى النافعة من الكتب القديمة والحديثة . وكبريات المجلات المعروفة بالطرائف العلمية ، مبديا الراي فيها بتعاليق مركزة في

الموضوع امتازت بخلاصات محبوكة معبرة عن وجهة نظره الصريح الواضح في التعبير عن المقصد ، لا غموض فيه ولا التواء ولا تعقيد ؛ تراها اشتاتا في البحوث مجتمعات بالعناوين في هذا العرض المتقدم . ولقد يغنيك – ايها القارىء العزيز – الاقتصار على دراسة محتوياتها في تدبر وتامل وتركيز ذهن على المرغوب منها فيتجلى – امامك – طوع ذاكرتك في ابهى حلة قد استنارت بالذوق السليم في حسن الاختيار ، فيعرفك أكبر تعريف بمكانته السامقة في آفاق بعيدة المدى في التفكر والوعي وانتقاء الاصلح باكمل واعمق مما تحظى باستماعه ممن تلمذوا عليه او لازموه عن كثب ، او درسوا عليه بجلسات معدودة – وبهذه المناسبة اغتنم الفرصة لاعبر عن سروري ، وبالنيابة عن سرور عدد من الآخذين عنه ، والمعترفين باثره الحسن المستحسن في نشر طرف منه ببحوث صغيرة بهذه المجلة الغراء ذات الايادي البيضاء في المساعدة لسير نشاطها في حركة الذيوع لفائدة العموم بمثل هذا التراث المثمر اليانع في الانتاج . واصارح لهذا المعنى – اسرة المترجم الكريمة – وفي مقدمتها الاخ الحميم الاستاذ السيد الحسن، والاخ الاستاذ السيد الصديق ، بان دور المجلة السامي في تسهيل اطلاع القراء على بعض آثاره – احيانا – لاثارة اذهانهم للاهتمام بشخصه كعالم مفكر ذي اهداف طيبة ليس بكاف ولا مؤدي النتيجة المطلوبة في العلم بمكنونات هذه الشخصية الراسخة في التمكين بالمعرفة ، بل الواجب ايجاد حل ممكن لازم لاصدار ثروتها الفكرية ذات الثقافة الحق ، ولتيسير الامر بصفة تدريجية مجموعة في شكل كتب كي تكون اوقع اثرا وابلغ مفعولا واملك تحصيلا لادراكها في اجمال متصل بعرب بتماسكه عن المقاصد الاصلاحية في اشمل وجهة . ولذلك ترى في الشرق والغرب كبارا من العلماء والادباء صدر انتاجهم – اولا – في بحوث مقسطة في كبريات الصحف والمجلات . ولكن لم تبرز مكانة شهرة اصحابها بصورة ادق لاستحضار القائل بمجلاته المختلفة باوضح فكرة في اوسع مضمون حتى ضمت بين دفتي كتاب ، وليس بين المجموعة ادنى حاجز معبر عن الغير ، ولا توقف بزمان يشتبث جمع الاشخاص في انتظار منشور منه تابع تاجز .

هذا ولزيادة التعريف بالمترجم الكريم بما هو اكثر وضوحا في التعبير ، وابين لمسالك منازعه الى الاسمى من القول لفظا ومعنى ، اقتطف لك شذرات ذهبية غالية القيمة قوية « العملة » مما نشر له بهذه المجلة منذ سنواتها الاولى ، ففي رسالة « اعجاز القرءان» اعطى نظرته عن احدى المثيرات للحروب التي كانت السبب الرئيسي في حل عرى الامة الاسلامية وفكاك وحدتها الوثيقة ، وخلق نزعة ضالة زائفة المشرب تائهة المذهب ، مصطبغة بالعنصرية الشعوبية التي قضت على الدولة الاموية للادالة من العرب وقيام رجال من الفرس بالدولة العباسية الى غير ذلك مما قررته تعاليم القرءان « المرشد الابدي للبشر » من المسائل ذات الاثر العظيم في ربط المجتمعات بعلاقات متينة فنية على الاخلاص وتبادل المصالح في نطاق المساواة ؛ وما قرره عن مسائل اجتماعية تعلقت بالعائلة لحفظها من الانحلال – فقال : « واوما القرءان الى ان الربا من مثيرات الحروب بذكر التحذير من اثر الحديث عن الحرب وذلك في سورة آل عمران ، وقرر ان المعاهدات والاتفاقات بين الامم يجب ان تبنى على الاخلاص دون الدخل الذي يقصد به التوصل الى ان تكون امة هي اربى من امة وازيد منها نفعا ، وبذلك تحصل ثمرتها . ففي سورة النحل قال تعالى : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة) . وقد افاد هذا النص من كتاب الله ان المعاهدات يجب ان تكون مبنية على الصدق والاخلاص . وان تكون واضحة البنود بعيدة عن الاجمال وطرق الاحتمال ، الى ما قرره القرءان من المساواة بين الشعوب : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) « سورة الحجرات » وان باهمال العمل بهذا الاصل وحصول الجفوة والنبوة من بعض العرب نشات الشعوبية وكانت من العوامل في هدم دولة بني امية وقيام الفرس بدعوة بني العباس للادالة من العرب الى ما قرره في مسائل الطلاق والحجاب وتعدد الزوجات مما هو اعدل شيء في تلك المسائل الاجتماعية المهمة لو استمسكنا فيه بهداية القرءان ، الى ما تم من الحكمة البالغة في تحريم الربا والميسر وما ينشا عن تعاطيهما من استئصال اموال ذوي الثروة واليسار مع التقاعس عن اكتساب الاموال من الطرق المشروعة من فلاحة وصناعة – الى ما فيهما من فساد الاخلاق وشكاسة التعامل وجفاف العاطفة » وفي « الحركة السلفية الاسلامية بالمغرب » خلال الكلام على ما الم بالمغرب من الركود الداعي لتضييق الفكر باستحكام حركة التقليد المقيدة بعوامل الجمود – قال: « وقل المفسر الذي يرشد الناس الى روح الهداية القرءانية ، والمحدث المتمكن من السنة الذي يقرر

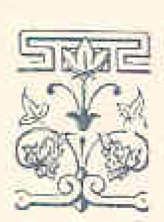
للناس حقيقة الاسلام وبروزه في صورته الصحيحة غضا طريا وانما هي كتب المقلدين والمختصرات ذات الفقه الجاف التي لا تربي ملكة ، ولا تبدي للتشريع حكمة ، فأصبح العلم عبارة عن معلومات معينة تحول من دماغ الى دماغ ، واغلق باب الاجتهاد ، وضلت مفاتيحه وحيل بين العقول وبين التفكير الحر فغدا لا يعرف من الاسلام الا من وراء وبعد العهد عن روح الاسلام وهداية سيد المرسلين ، وتركت كتب السلف ذات الفقه الواضح والعلم الصحيح ، وحتى ان وجد عالم صحيح العلم ضلت معارفه في هذا الخضم ، وتبخرت مواهبه في هذا الجو ، وان العالم الحر الصحيح العلم ليدرك بونا كبيرا وفرقا شاسعا بين تلقي الاحكام من ينابيعها ، وبين اخذها من وراء » ، الى ان قال : « ولكن الناس اقبلوا على المختصرات التي يضيق بها نطاق البيان والتي تشتت على المتعلم فكره ، وتمتص من عمره الزمن المديد ، والتي لا يصل الى المراد منها الا وقد انكسرت حدة ذهنه ولانت غرارة عزمه بما يعالج من سبك وتقويم العبارات » . وفي « نجعة الرائد في ابتناء الحكم والفتوى على المقاصد والعوائد » قال فيه : « كثير من الناس يتناول ما في كتاب الفروع والنوازل على انه فقه صالح لكل زمان ، ومنطبق على كل حادثة في اي آوان من غير التفات الى ما كان من النصوص مبنيا على عادة حكمة او مصلحة اعتبرت او لسد ذريعة تنوسيت واغفلت وما هو سبب خاص قد زال وما هو في قضية عينية كان ذلك فيها هو مقتضى الحال ، على ان كثيرا من الروايات ورد على موضوع مخصوص يجب ان يقصر عليه ، ويساق حديثه اليه ، واخذ النصوص مع قطع النظر عن مواردها من الخطا العظيم في الدين . . . ولقد كان اهل العلم رضي الله عنهم يبحثون عن سبب ورود الحديث كما يبحثون عن اسباب النزول ليهتدوا الى مواضعه والمراد منه . وقصارى القول انه لا يجوز للقاضي والمفتي ان يكتفي من المنقول بمجرد المفهوم والمدلول ، بل لا بد له من معرفة كاملة وزماع تام ليقف على مقاصد الائمة والغايات التي تضمرها افكارهم وترمي اليها انظارهم » — وهنا اكتفي باقتطاف هاته الشذرات من المنشورات خشية الاطالة وخروج المقال عن المعهود لان القصد الاكيد ليس في ايراد المختار من كلامه العديد بل فقط الاثارة والانارة لاعارة نظر القاريء لياتع انتاج هذه الشخصية الكريمة الفني الخصب الموقظ للمشاعر الخامدة .

حقيقة ان هذا النشاط السريع الخطوات المتزن الحركات الراسخ الاسس في ميدان العلم تدريسا وتدوينا لم يؤثر ادنى تأثير على سيره الجدي في اوقات منظمة رتيبة ساد جوها الفعالية باتقاد الحيوية في اعمال دلت على خبرة واقتدار ، سواء في توليته خطة القضاء بعدة اماكن من القطر او تكليفه بوظائف « مخزنية » ، ففي سنة 1348 هـ — 1929 م ، رشح للقضاء بمدينة الجديدة وما تبعها من النواحي . وفي سنة 1350 هـ — 1931 م نقل الى وادي زم وخريبكة وما اليهما . وفي سنة 1352 هـ — 1933 م ولي قضاء شراكة ، وحجاوة بناحية فاس . ثم ارتقى بظهير شريف سنة 1355 هـ — 1936 م لقضاء الجماعة بمقصورة الرصيف بفاس ، وفي هذه الفترة عين عضوا في لجنة الامتحان لشهادة العالمية بجامع القرويين ، كما زاول العمل قاضيا بالمحكمة العليا ثم نقل عضوا بمجلس الاستئناف الشرعي . وبمناسبة تاسيس مسجد باريس رشح بأمر مولوي يوسفي عام 1341 هـ — 1922 م للرحلة اليه لاستخراج سمت القبلة لدرايته بهذا الفن في تمكين وبمعيته احد الكتاب محمد الهواري كرفيق في الطريق . ورغم قصر المدة التي قضاها في تلك البقاع الزاخرة بمعالم الحضارة الغربية في اجمل مغناها واكمل معناها فقد دون عنها رحلة خلدها بين كتبه ذات الجدوى والاجادة شحنها بلطائف الطرف وروائع المستملحات وغرر الفوائد تحدث — باقتضاب — عن اطرف مجتمع ، وابدع مستحدث ، واغرب عادة . استعرض فيها صورا مثيرة ببيانه السلس عن هاته المدينة فيما لها من خير كسبت ، او شر قد اكتسبت ، واهاب فيها بابناء الوطن في اجتناء الصالح القويم منها واجتناب الطالح الوضيع ، وكذلك تقديرا لمكانته العلمية المحترمة بين مختلف الاوساط عين بامر ملكي محمدي لرئاسة وفد الحجاج عن عام 1366 هـ — 1946م ولم ادر هل ترك مكتوبا عن هذه الرحلة المباركة ام لا ! وان تنسى ذاكرتي ما قال عن رفقته احد اعضاء الوفد المنعم بكرم الله وفضله الاستاذ الجليل المربي الكبير مؤرخ سوس « المعسول » والحجة في تعريف كبار رجالاتها المختار السوسي الذي كان ملازما له هنالك غالب الاوقات . لقد حدث بما معناه : جلساته المفيدة المعيدة — باقوالها ذات الطابع الاصلاحي السلفي — ذكريات خالدة عن ايام التلمذة عليه والاخذ عنه علما وادبا وحكمة وفلسفة : كنا نتملى بما كان يلقيه علينا وهو في « زهرة العمر » بلسان عذب المنطق طلق البيان يحتل الالباب قبل الاستيعاب . اما في هذه

اللحظات القصيرة السعيدة التي قضيتها بجانبه فلقد كان يظهر على ملامحه عياء غير معتاد ، ووراءه الم يخفيه بابتسامة معبرة عن ارتياح أو نكتة ندية تلطف حرارة الجو ، او تعليق موجز عن سؤال يحكي بمضمونه المركز عن عهد زاهر سابق حييته في كنف مجالسه العلمية . وزاد فقال : ولقد اثبت ترجمة حياته في كتاب « اساتذتي الخضريون » دونت فيها ما اثار فكري وايقظ ذهني من هاته المجالس » . وبعد الاياب من الحجاز اسندت اليه ولاية القضاء بمدينة مكناس ؛ فبقي فيها بضعة أشهر حتى وافاه الاجل المحتوم يوم الاثنين 16 ذي القعدة عام 1367 هـ ــ 20 شتنبر سنة 1948 م . وبعد اقامة الشعائر الدينية على جثمانه حمل لمسقط الراس الرباط فما اصبح غده حتى عم النبا المؤلم في العدوتين وبلغ صداه المدن المغربية وتوارد الناس على منزله بشارع تمارة وفي الطليعة العلماء ورجال « المخزن » الوزراء والمندوبون والكتاب، ومن ورد من فاس ، مكناس ، الدار البيضاء ، مراكش، الجديدة ؛ وضم الوفود عددا كبيرا من العلماء وتلاميذه الكثر ، فتحرك موكب الجنازة وسطه محمل فقيد العلم والعدالة والاصلاح في جم غفير الى مرقده الاخير بروضة مولاي احمد بن علي الوزاني . وبعد الصلاة عليه بضريح مولاي المكي وعلى اثر مواراته قام لتابينه اثنان من نجباء تلاميذه الذين ارتووا من ينابيعه العلمية الدافقة ، قد تخرجا من جامع القرويين العامر وهما الاستاذان الالمعان السيد عبد الهادي التازي ، والسيد احمد لحلو ــ فاتيا بما يشفي الغليل من الوفاء والاعتراف بالجميل . وكان تاثير الالقاء ظاهرا على الوجوه الخاشعة معلنة عن ذلك بتأثر العيون الدامعة . كما كانت رنات الكلمات مثيرة بوقعها في سريان اللوعة . فكنت تسمع في خفوت محزن همسات البكاء في زوايا الروضة .

وختاما فلقد أجهد مترجمنا الكريم نفسه الكبيرة في سبيل المعالي واقتناء الفضائل ونيل المكرمات ، واوهن صحته في الصالح من الاعمال بتوالي الانتقال المصحوب بأعباء العائلة ومشاق الارتحال . واتعبها سعيا فيما انيط به من مهام غير مبال بالمعاب، واضناها في الليالي الحوالك الطوال بالانكباب على الكتابة والكتاب حتى انهد بنيانه فعزته الادواء بما اعجز الاطباء . فاستسلم ملبيا للاجل المحتوم . تغمده الله بالرحمة واسكنه في مقعد صدق مع العاملين لنفع العباد .

الرباط : مصطفى الغربي





سمح الزمان بجلسة قصيرة ممتعة . مع الاستاذ الجليل الدكتور امجد الطرابلسي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق . والاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس : . .

وكان الحديث طريفا ممتعا تناول شؤوننا وشجوننا . . . واثناءه لفت نظر الدكتور المحترم انني حينما اتحدث عن ابي العباس المقري صاحب نفح الطيب انطق بكلمة « المقري » بفتح الميم وسكون القاف . . ! مع ان المعروف الجاري على الالسنة والاقلام خلاف ذلك . . . !

وقد اجملت اجابتي اذذاك حسب ما سمحت به تلك الجلسة القصيرة الممتعة . . . واعود اليوم الى هذا الموضوع . . . ولعل في ذلك فائدة . . . ! يذكر الرحالة ابن حوقل مدينة مقرة . . . ويجعلها بين مدينتي ميلة . . . والمسيلة . . . وقد عرف ابن حوقل الشمال الافريقي والاندلس وصقلية اثناء رحلته الواسعة التي قام بها في النصف الاول من القرن الرابع الهجري (1) .

ويذكرها ايضا الجغرافي اللغوي ابو عبيد البكري المتوفى سنة 487 هـ في كتابه : « المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب » مرتين . . . والمستغرب ان طابع الكتاب جعل شدة على القاف عند ذكر مدينة مقرة . . ص 51 . واهمل ذلك عند ذكر وادي مقرة ص 144 . .

اما ياقوت الحموي فقد ذكرها في كتابه : معجم البلدان . . . قائلا : « مقرة » بالفتح ثم السكون . . . ! وتخفيف الراء . . . كأنه ان كان عربيا من الاستقاع . تقول مقرت السمكة في الماء والملح مقرا اذا انقعتها فيه . . . ومقرة مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد ، بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ . . . كان بها مسلحة للسلطان . . . ضابطة للطريق . . ينسب اليها عبد الله بن محمد بن الحسن المقري . . . ذكره السلفي في تعاليقه . . . (2) » .

فياقوت الحموي المتوفى سنة 626 هـ عرف هذه المدينة معرفة سماع واطلاع . . . وضبطها كما ضبط اسماء مدن اخرى في المشرق والمغرب وهو بهذا الضبط يكون ـ فيما نعلم ـ اقدم نص عندنا معروف نجد فيه اسم مقرة . . . كما نجد ضبطها . . . والنسبة اليها . . . !

والشخصية العلمية التي انتسبت الى هذه المدينة خلال القرن الثامن الهجري وكان لها طنين ورنين . . في بلاد المغرب العربي والاندلس والمشرق . هي شخصية ابي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد

1) كتاب صورة الارض لابن حوقل ص 67 . ط . بيروت .
2) معجم البلدان . ج . 5 . ص : 175 . ط . بيروت وعبد الله المقري مذكور في صلة الصلة لابن الزبير ص: 5 . ط . الرباط 1937 .

المقري . من اسرة المقري المعروفة في تلمسان منذ انتقالها من مقرة ...

وانتقل ابو عبد الله المقري هذا الى مدينة فاس وجعله ابو عنان المريني قاضي الجماعة بها وبنى له المدرسة العنانية ليكون المدرس بها ... !

والمقري هذا اتصل به جماعة من اقطاب العصر ... في المغرب العربي ، والاندلس ، والمشرق ، كابن خلدون ، وابن الخطيب ، وابي الوليد ابن الاحمر ، وابن قيم الجوزية في دمشق .. وابي حيان في مصر .. وبذلك نجد له ترجمة حافلة .. وشهرة واسعة ... عند اهل المشرق والمغرب ... وتوفي بفاس سنة 759 ه ونقل جثمانه الى مدينة تلمسان وبها دفن ... !

وهنا تبتدىء قصة المقري . والمقري ... فالمقري هكذا عرف في حياته . كما عرف في اقلام الذين خالطوه او اتصلوا به مباشرة باسم محمد المقري التلمساني ... بفتح الميم وتسكين القاف .. !

والدليل على ذلك :

1) ان ابن خلدون المتوفى سنة 808 ه وهو ممن اتصل بالمقري واخذ عنه وصاحبه ... وعرف مدينة مقرة ... وذكرها في كتابه « العبر » مرارا (3) ضبط بقلمه كلمة « المقري » بفتح الميم وسكون القاف . وكسر الراء ... ! كما جاء ذلك في النسخة الخطية التي طبعت عليها النسخة المطبوعة من كتاب : « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » بتعليق الاستاذ البحاثة المحقق محمد بن تاويت الطنجي (4) .

2) ان ابا الوليد اسماعيل ابن الاحمر المؤرخ النسابة المتوفى بفاس سنة 808 ه او سنة 810 ه . وهو ممن اتصلوا بالمقري في حياته بفاس ... ضبط في فهرسته كلمة « المقري » بفتح الميم وسكون القاف ... كما نقل ذلك عنه الشيخ احمد بابا التنبكتي في كتابه « نيل الابتهاج » (5) .

3) ان ابن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842 ه وهو وان لم يتصل بابي عبد الله المقري ... ولكنه اتصل بتلامذته في تلمسان وغيرها اتصالا وثيقا الف كتابا في ترجمة المقري سماه :

«النور البدري ، في التعريف بالفقيه المقري» (6)

4) ان ابا عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي المعروف بالمنتوري الرحالة المحدث صاحب الفهرسة المفيدة المتوفى سنة 834 ذكر في فهرسته المخطوطة بالخزانة الملكية عدد 1578 كتاب الحقائق والرقائق لابي عبد الله المقري ... وضبط كلمة المقري بسكون القاف ... !

والنسخة المذكورة من الفهرسة هي بقلم ناسخها علي بن قاسم بن علي البياضي الانصاري وقد كتبها بمدينة (بتش) حرسها الله في 26 جمادى الاولى عام 873 ه كما في آخر الفهرسة .

بعد هؤلاء صرنا نسمع نغمة اخرى عند مؤلفين آخرين ... فالشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر المتوفى سنة 875 ه ... (7) والشيخ ابو العباس الونشريسي دفين فاس المتوفى سنة 914 ه ... (8) ينقل عنهما الشيخ احمد بابا السوداني المتوفى سنة 1036 ه في كتابه « نيل الابتهاج » انهما ضبطا كلمة المقري بفتح الميم ، وتشديد القاف المفتوحة ... (9) وينقل عن الامام زروق المتوفى سنة 899 ه انه ضبطها كما كان يضبطها ابن خلدون ، وابن الاحمر وابن مرزوق ، يعني بفتح الميم وسكون القاف ... ! (10)

وظهرت بتلمسان من اسرة المقري شخصية علمية ثانية اشتهرت بين الناس ، وهي شخصية سعيد ابن احمد المقري المتوفى سنة 1010 ه فصرنا نجد

---

3) انظر الجزء السابع من طبعة بيروت ص 324 . وص 326 .
4) انظر ذلك ص : 450 .
5) ص : 249 . ط . مصر سنة 1351 ه .
6) البستان . ص : 164 . ط الجزائر سنة 1908 م
7) تعريف الخلف ، ج 1 ، ص : 63 . ط . الجزائر سنة 1907 م .
8) المصدر السابق ج 1 ص : 58 .
9) انظر ص : 249 من نيل الابتهاج .
10) انظر ص : 250 من نيل الابتهاج .

في ترجمته امثال ما نقله عن المؤرخ ابى العباس ابن القاضي فى كتابه « درة الحجال » حيث يقول : (11)

« نسبة الى مقرة .... ! بفتح القاف المشددة ..! مدينة بين الزاب والقيروان .. كذا ضبط نسبهم الونشريشي كما تقدم .... وقيل بسكون القاف ... والاول اصح ... اذ الونشريشي اعلم الناس بنسبهم .. !! »

ونبغت الشخصية الثالثة من اسرة المقري ... وهي شخصية ابى العباس المقري صاحب كتاب نفح الطيب المتوفى بالقاهرة سنة 1041 هـ فوجد الخلاف قد نضج فى السنة العلماء واقلامهم ... !

طائفة تقول وتكتب المقري .... وطائفة اخرى تقول وتكتب المقري ... وعوض ان يرجع الى الاصول القديمة .. وهو الحافظ المطلع الواعية المتبحر ... ويعرف المستند الذي استند عليه المتاخرون فى ضبط كلمة « المقري » بتشديد القاف ... بعد ان كان المتقدمون يسكنون القاف اعتمادا على نص ياقوت الحموي ... جارى الواقع الذي وجدوه ... ! ان لم نقل ايده . ودعمه ... !

وقال فى كتابه نفح الطيب :

« هما لغتان ... !!! » (12)

كما قال عن الكتاب الذي الفه ابن مرزوق الحفيد فى ترجمة جد المقري ... وسماه :

« النور البدري فى التعريف بالفقيه المقري » ما نصه :

« وهذا بناء منه على مذهبه ... ! انه بفتح الميم وسكون القاف ... ! كما صرح بذلك فى شرح الالفية عند قوله :

« ووضعوا لبعض الاجناس علم » .(13)

ثم صارت المسالة عند الذين كتبوا فى هذا الموضوع من اهل المشرق والمغرب ـ وما اكثرهم ـ مجرد نقل لهاتين ... « اللغتين (14) ... !! »

بل وقع ما هو طريف فى الموضوع ... وذلك اننا صرنا نسمع من يحاول التفرقة فى النسبة : بين ابى عبد الله المقري قاضي فاس المتوفى سنة 759 هـ فيسميه هكذا المقري بفتح الميم وسكون القاف ... ! وبين حفيده ابى العباس المقري صاحب نفح الطيب المتوفى سنة 1041 هـ فيسميه المقري بفتح الميم وتشديد القاف ... ! مع ان الاسرة كلها تنتسب الى مدينة واحدة وهي مدينة مقرة ...

فكيف يكون الجد مقريا ... والحفيد مقريا .

وكما راينا الحفيد ابن مرزوق يؤلف فى المقري الجد كتابه : « النور البدري فى التعريف بالفقيه المقري » . راينا المؤرخ ابا عبد الله محمد الصغير اليفرني مؤلف كتابي : الصفوة .. والنزهة ... المتوفى بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري ..(15) يؤلف كتابا فى ابى العباس المقري صاحب نفح الطيب يسميه : « الوشي العبقري فى ضبط الامام المقري (16) »

هذا صلب الموضوع ... ـ فيما نعلم ـ وهناك هوامش وذيول .. ! طويناها لئلا نعطي المسالة اكثر مما تستحق ... !

غير انه ينبغي ان ناخذ بعين الاعتبار ان « مقرة » كانت معروفة قديما عند سكان ذلكم الاقليم باسم « مقرة » بالقاف المعقودة ... ! وما زالت معروفة بهذا الاسم الى الان ... فيما بلغنا .

فاذا ثبت هذا ، فان النسبة الى مقرة تكون قد بدات هكذا : المقري ... ثم تحولت الى المقري ... ! ثم الى القري ...

ولله فى خلقه شؤون ...

فاس : عبد القادر زمامه

---

11) انظر ج 2 . ص : 473 . ط . الرباط 1936 م .
12) انظر ج 5 ، ص : 205 . ط . بيروت سنة 1968 .
13) نفس المصدر السابق .
14) انظر سلافة العصر فى آخر ترجمة المقري ص : 591 .
15) انظر المقصد الاول خاتمة كتاب التقاط الدرر للقادري « مخطوط » .
16) فهرس الفهارس ج 2 . ص : 15 .



- 3 -

غادر ابن العربي دمشق ، متوجها الى بغداد ، في شعبان (1) سنة تسع وثمانين واربعمائة (489 هـ) واهل هلال رمضان ، والقافلة على اطراف العراق ، فكبر الناس وهللوا ، فرحا بمقدم هذا الشهر الميمون ، ولكن فتانا ، لم يعرف لذلك ادنى اهتمام ، فكل امله ان يدخل دار السلام ، ويستمع الى حلقات العلم ، ويرى وجوه العلماء ، لا ان يرى طلعة هلال رمضان او شوال ، ويسمع ولولة النساء واهازيج الولدان ، « .. فلما نزلنا ضميراء ، آخر العراق (2) واول السماوة ، سقينا واستقينا ، ثم خرجنا عنه مصحرين في السماوة ، عشي يوم الاحد ، منسلخ شعبان ، سنة تسع وثمانين واربعمائة ، فبينما نحن نقطع المفازة الى ماء يقال له الاطواء ، اهل علينا هلال رمضان، فكبر الناس والتفت الى ابي ـ رحمه الله ـ يكبر بتكبيرهم ، فما صرفت بصري اليه ، كراهة في جهة المغرب التي كان بها ، وتشوقا الى جهة المشرق التي كنت اؤملها .. »

وكانت بغداد في ذلك الوقت ، من اكبر مراكز العلم في العالم الاسلامي ، وكانت محط رحال العلماء ، يفدون اليها من اقصى الشرق والغرب ، اسس بها نظام الملك المدرسة التي تنسب اليه ، والمعروفة بـ (النظامية) ، جلب اليها من شيوخ العلم ، وحفاظ الحديث، ما جعلها اكبر جامعة في الشرق الاسلامي .

ويصادف دخول ابن العربي الى بغداد ، خروج الخليفة لصلاة الجمعة ، وقد حضرها العلماء ، وكبار رجال الدولة ، وكان يبدو على عين الفتى بريق ، وكأنه يرمز الى شيء ، وقد عادت به الذكرى الى ايام دولة بني عباد ، وهم في عز ملكهم ، وشامخ دولتهم ، ووالده اذ ذاك ، من كبار الوزراء ، عليه شارة الملك ، وابهة السلطان ، ولكنه سرعان ما أفاق من غفوته ، فاسترجع واستغفر ، وتلا هذه الآية : « قل اللهم مالك الملك ، توتي الملك من تشاء ، وتنزع

---

(1) تقدر ان خروجه من دمشق ، كان اواسط هذا الشهر، فقد ذكر انه حضر كسوفا بدمشق في شعبان ، يعني في نفس هذا الشهر ، من سنة (489) انظر العارضة 176/3 .

(2) ويرى الدكتور حسين مؤنس ان دخول ابن العربي بغداد ، كان حوالي سنة (490 هـ) ولعله لم يقف على هذا النص الذي اوردناه لابن العربي نفسه في قانون التاويل (ص 142 ـ أ) انظر بحث مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد م ـ 11 ـ 12 ، ص 120 وما بعدها . وابعد محب الدين الخطيب ، فذكر انه دخلها في خلافة المقتدر بالله (ت 487 هـ) ـ انظر مقدمة الخطيب للعواصم ص 17 .

(3) قانون التاويل (142 ـ أ)

الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء..» ثم التفت الى من حوله ، يسأله عن اول حلقة لاهل العلم في هذا اليوم ؟ فدلوه على المدرسة النظامية ، وكان اول درس تلقاه ، من نصيب خليفة الرئيس ، الشيخ ابي محمد الحسين بن علي الطبري ، فقيه شافعي ، من كبار اساتذة المدرسة النظامية (ت 498 هـ) (4) — وموضوعه : « اخبار السيد عبده .. » (5) . فاستمع الفتى الى الدرس بكل اهتمام ، ووعى منه كل شيء ، وانصت طويلا لما يجري في الموضوع من مناظرات ومناقشات ، وادرك نواحي القوة والضعف فيها : « وقلت لبعض الطلبة الذي كان يحاورني : كلام المستدل ، اقوى من كلام المعترض ، فرمقني — منكرا — وقال لي : لما راى علي من صغر السن ، — : انى لك هذا ؟! فقلت : امر ظهر لي ، واعرضت عنه ، لئلا يتصل الكلام ، فيفطن لي (6) » .

وهنا يعود ابن العربي القهقرى ، وينظر الى الماضي البعيد والقريب ، ويقارن بين اول درس سمعه بالقدس ، فما كاد يفقه منه شيئا ، وآخر يستمع اليه ببغداد ، وقد فهم كل شيء ، وفي استطاعته ان يعبر عن رايه بكل صراحة ، وبيده الحجة ، « .. فسمعتهم يتكلمون في اخبار السيد عبده .. ولا يفوتني من كلامهم شيء من الفساد والصلاح ، ونظرت الى حالي اول دخولي الى بيت المقدس ، وانا اسمع مجلي في مسألة الحرم ، وحالي حين دخولي بغداد ، وسماعي مسألة اخبار العبد ، فهم قلبي يفيض ، ولساني يفيض ، ثم تماسكت وليتني تكلمت (7) .. » .

ثم حضر الفتى مجلس ابي سعيد يحيى بن علي بن حسن الحلواني ، من ائمة الشافعية ، ومن حسبة بغداد ، ودرس بالنظامية ، (ت 520 هـ (8)) . ولم يرض ابن العربي هذه المرة ، بالقعود في حاشية الحلقة ، بل جلس قريبا من الشيخ ، يتصدر المجالس ، ويزاحم مناكب العلماء ، وطالب الكلمة ، كعالم متناظر ، لا كطالب مستمع ، وربما احتقرته العيون لصغره ، ولكنه برهن بالحجة ، على انه فوق ما كانوا يظنون ، وقد صرح له الشيخ امام الجمهور ، — منوها بكفاءته قائلا — : « .. كذلك — والله — اعربت عن نفسك ، وابنت عن مكانك .. (9) » .

ومنذ ذلك الحين ، عرف علماء بغداد قدره ، واشاعوا فضله . ولكن الغريب في الامر ، ان نرى ابن العربي ، ولاسباب نجهلها — يتوقف — فجاة عن زياراته للعلماء ، وتطوافه على مجالس الشيوخ ، ويغير اتجاهه الى جهة اخرى ، فلم يكد ينتهي الشهر الثالث من دخوله الى بغداد ، حتى رايناه يرتبط بمواعد ، مع ركب الحاج العراقي ، ويولي وجهه شطر الحجاز ، ولعله لبى بذلك ، رغبة والده الملحة في اداء فريضة الحج ، وقد تقدمت به السن ، ويخشى ان تضيع عليه الفرصة ، التي من اجلها رحل من المغرب .

2 — في الحجاز :

كانت رحلة ابن العربي الى الحجاز ، اواخر ذي القعدة من سنة تسع وثمانين واربعمائة (489 هـ) (10) ، وكان طريقه على الشام ، وقد نزل ضيفا بالعريش (11) على احد حفدة النعمان بن المنذر (12) ، فيبالغ في اكرامه ، ويسأله عن بني لخم بالاندلس ، فينتهي ابن العربي الى قحطان ، ويفيض في القول عن جاليات اللخميين ، والقحطانيين (13) — عموما — ببلاد المغرب ، وهو جهينة اخبارهم ، يتقصى آثارهم ، ولا يكاد يغيب عنه شيء من احوالهم في الشرق والغرب ، وقد

(4) طبقات السبكي ، 3 / 152 ، الذهبي ، العبر 3 / 301 .
(5) قانون التاويل ، (142 — أ)
(6) نفس المصدر .
(7) نفس المصدر .
(8) طبقات السبكي ، 323/4
(9) قانون التاويل ، (142 — أ)
(10) انظر الاحكام 2\5 ، و 76 . والعارضة 4 / 41 ، و 153 .
(11) انظر العارضة 13 / 285 .
(12) لم يسمه ابن العربي .
(13) انظر العارضة 13 / 292 .

اتصل بفروعهم فى رحلاته ، وعاين مساكنهم بالشام واليمن (14) ، وقلما يخلو له كتاب عن الحديث عنهم، وربما اتهم بالتعصب لاصله اليمني .

ولنترك ابن العربي يحدثنا عن هذه الرحلة ، ويصف مشاهداته بها :

« .. لما كانت سنة تسع وثمانين واربعمائة (489 هـ) (15) ، اهل علينا هلال ذي الحجة ليلة يوم الخميس بالدبرة ، فرحلنا عنه ، وقد فرح الناس بوقفة الجمعة ، ليجتمع لهم فضل اليومين، فضل يوم عرفة ، وفضل يوم الجمعة ، فبتنا بمكان يقال له المسجد ، ثم رحلنا سحرا ، فلما صلينا الصبح ، واشرقت الشمس ، اذا بقافلة البلقاء ، ترى فيها النفر المحرمين بالثياب البيض بين الناس ، فقلت : ما هذا ؟ قال لي بعضهم : هم الشيعة ، لا يحرمون من ميقات عمر (ذات عرق) ، قلت فمن اين لهم هذا ؟ قال هم يزعمون ان عليا خرج من الكوفة ، فأحرم من هذا الماء ..) (16)

أ ـ بمكـــة :

ويذكر ابن العربي أعماله فى الحج ، ويحاول ان يكون اداؤه لها دقيقا ، وكما اداها الرسول ـ عليه السلام ـ يوم الحج الاكبر ، ويلاحظ ان الناس يهملون بعض مناسك الحج ، ويفوتون على انفسهم خيرا كثيرا ، فهم يتركون المبيت بمنى يوم التروية ، ويؤثرون أن يبيتوا ليلة عرفة بعرفة ، « .. مررت من ذات عرق ، فالفيت الحاج كله بائتا فى عرفة ، وليس على من فعل ذلك شيء ، ولكنه ترك فعل رسول الله (ص) ولقد خاب فى تركه (17) .. اما أنا فجئت مراهقا من ذات عرق الى الموقف ، ليلة عرفة نصف الليل ، فاصبحت بها ، ووقفت من الزوال يوم الجمعة ، سنة تسع (18) وثمانين واربعمائة ، ثم دفعت بعد غروب الشمس الى المزدلفة ، فبت بها ثم اصبحت ، فوقف بها الامير ، حتى طلعت الشمس على قدم ، فلما عممت الجبال ، دفعنا ، فرمينا الجمرة ، وحلقت وذبحت ، لفدية كانت علي ، ثم دخلت مكة ، وطفت وسعيت ، وصليت بها الظهر (19) .. وكنت أشرب ماء زمزم كثيرا ، وكلما شربته ، نويت به العلم والايمان ، ففتح الله لي ببركته ، فى المقدار الذى يسره لي من العلم ، ونسيت ان اشربه للعمل ، ويا ليتني شربته لهما، حتى يفتح الله لي فيهما ، فلم يقدر ، فكان صفوى الى العلم ، اكثر منه الى العمل ، واسأل الله الحفظ والتوفيق (20) »

نشاطه السياسي بموسم الحج

وقد اغتنم ابن العربي ، فرصة حضوره هذا المؤتمر الاسلامي العام ، فاتصل بسائر الوفود ، التى تقاطرت على هذا الموسم ، وقام بدعاية واسعة النطاق ، للمغرب بلده ، ولاميره يوسف بن تاشفين ، فكان يذكره فى كل محفل ، ويدعو له بكل مشهد ، ويشيع بين الناس سيرته وعدله ، وجهاده وفضله (21) .

---

(14) العارضة 12 / 100 ـ 101

(15) تردد الدكتور احسان عباس فى خروج ابن العربي الى الحج هذه السنة (489) ، لانه ـ كما يقول ـ كان منهمكا فى الاخذ عن شيوخ بغداد ، والوقت لا يسمح له بذلك ، ويرجح ان حجه انما تم سنة (490 هـ) . ـ انظر مجلة الابحاث اللبنانية م 1 س 1 ص 59 وما بعدها .
وينفي الدكتور حسين مؤنس فى بحثه الآنف الذكر ان يكون ابن العربي ادى فريضة الحج ، لان المعلومات الموجودة الى الآن ، لا تدل على ذلك لا من قريب ولا من بعيد ، وهو قصور غريب من الدكتور مؤنس ، العالم المطلع .
وخير ما نحيله عليه كتب ابن العربي نفسه ، فليرجع ان شاء الى :
1 ـ الاحكام 2 / 5 و 76 . والعارضة 4 / 41، وص 49 ـ 50 ، و ص 110 و 153 .

(16) انظر العارضة ، 4 / 49 ـ 50 .

(17) نفس المصدر ص 110

(18) وتصحف فى بعض النسخ المطبوعة من العارضة بـ (سبع ـ بالموحدة)

(19) العارضة 4 / 153 .

(20) احكام ابن العربي 2 / 5 .

(21) انظر رسالة الغزالي الى ابن تاشفين التى سنوردها بعد .

شيوخـــه بمكـــة

واتصل بجمهرة كبيرة ، من شيوخ العلم واهل الفضل، وفى جملة من سمع عليهم بالحرم الشريف، شيوخ بغداد ، الذين حضروا هـذا الموسم ، كأبـي الفوارس طراد بن محمد الزينبي ، مسند العراق ، ونقيب العباسيين ، وكان اعلى الناس منزلة عنـد الخليفة (ت 491 هـ) (22) .

وابي محمد الحسن بن علي الطبري (ت498 هـ)، الآنف الذكر ، وقد جاور بمكة ، وحدث بالحرميـن الشريفين (23) .

وابي المعالي ثابت بن بندار الحمامي المقـري (ت 498 هـ) (24)، سمع عليه نسخة دينار ابن عبد الله الاهوازي عن انس بن مالك (25) .

ومن الشيوخ الذين لقيهم بمكة واخذ عنهم ، ابو محمد عبد الله بن طلحة اليابـري الاندلسـي ، وهو من شيوخ الزمخشري ، اخذ عن كتاب سيبويه، كان فقيها نحويا أصوليا ، له ردود على ابـن حـزم (ت 518 هـ) (26)

ب ـ بالمـــدينـــة :

وفى زيارته لمدينة الرسول ، كان يقضي جـل اوقاته ، فى الروضة الشريفة ، بين القبر والمنبر ، ويستمع الى أحاديث شيوخه ، وهم يقولون : قال صاحب هذا القبر .. وسيحدث ابن العربي تلاميذه بكل ما سمع فى الروضـة الشريفـة بيـن القبـر والمنبر (27) ، وهو فخور بذلك .

ولم تطل اقامة ابن العربي بالحجـاز ، وربمـا كانت المدة التى قضاها بمكة ، اطول منها بالمدينة .

ولعل المهمة التى كانت تنتظره ببغـداد ، هي التى حدت به الى العودة على نوع من الاستعجـال، وهي مهمة مزدوجة ، علمية وسياسية ، كان قد أعد لها مشروعا حافلا، يتضمن ــ فى جملة ما يتضمنه ــ نقطتين اساسيتين ، هما :

1 ــ التعـرف على كبـار مشايـخ بغـداد ، والاكتراع من مناهلهم .

2 ــ القيام بمساعي لدى الخليفة العباسي ، فى سبيل وحدة المسلمين ، وانضوائهم تحت لـواء واحـد .

فلنودع ابن العربي بدار السلام ، وهو يعمل لانفاذ مشروعه الهام .

والى اللقـاء

تطوان ـ سعيد اعراب

---

(22) ابن تغرى ، النجوم الزاهرة 5 / 162 .

(23) فهرسة ابن خيـر 983

(24) انظر الذهبي تذكرة الحفاظ 4 / 1233 .

(25) انظر فهرسة ابن خير ص 161 .

(26) السيوطي ، بغية الوعاة ، ص 284 .

(27) انظر فهرسة ابن خير ص 163 .

من أنباء العالم الإسلامي

المـغـرب :

※ في نطاق الخطة الرشيدة التي يسلكها صاحب الجلالة مولانا امير المومنين دام له النصر والتمكين لتمتين أواصر الاخوة بين بلدان المغرب العربي الكبير اصدر حفظه الله امره المطاع لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بصنع منبر فاخر من الطراز المغربي الرفيع واهدائه الى المسجد العتيق بالقيروان الذى قامت الحكومة التونسية الشقيقة بتجديد بنائه .

وقد توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش الى مدينة مكناس مصحوبا بسعادة سفير الجمهورية التونسية ليسلم لسعادته باسم صاحب الجلالة نصره الله هذه الهدية التي جاءت آية في الروعة والبهاء كرمز للاخوة الاسلامية التي تجمع بين المغرب وتونس تحت راية القرآن وبقيادة قائديهما العظيمين مولانا الحسن والحبيب رعاهما الله لخير الاسلام والمسلمين .

— ※ —

※ تنفيذا للتعليمات الملكية السامية ، قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية باعادة بناء وتوسيع مسجد القرية الحسنية بالرباط .

وقد قام السيد الوزير الحاج احمد بركاش بتدشين هذا المسجد حيث ادى فيه صلاة الجمعة صحبة سعادة العامل ورجال السلطة المحلية وجمهور غفير من المومنين الذين رفعوا اكف الضراعة الى المولى العلي القدير بأن يحفظ للبلاد راعيها الامين ويبقيه ذخرا للاسلام والمسلمين ويحفظه وولي عهده المحبوب سيدي محمد بما حفظ به الذكر الحكيم .

— ※ —

※ كما قام سيادته صحبة سعادة عامل الرباط وسلا بوضع الحجر الاساسي لبناء المسجد الذي يبنيه المحسنان السيدان علال وعبد الحفيظ كراكشو ، بحي التقدم بالعاصمة .

وقد شكر معاليه المحسنان على عملهما الجليل، وصنيعهما المبرور .

وان هذه المبادرة الطيبة التي اقدم عليها هذان المحسنان لتدل على قوة الايمان التي تزخر بها قلوب المغاربة في عهد سيدنا المنصور بالله ادام الله عزه وعلاه .

— ※ —

※ وفي اطار التعليمات الملكية السامية التي تستهدف تجديد واصلاح بيوت الله عز وجل واظهارها بما يليق بها من القداسة والاجلال قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش بتدشين مسجد سيدي قاسم بالعاصمة بعد ان قامت الوزارة بتجديد بنائه .

وقد ادى فيه معاليه صلاة الجمعة وسط جمهور غفير من المومنين الذين كانت ألسنتهم رطبة بالدعاء لمولانا امير المومنين الحسن الثاني نصره الله وايده الذي يولي لشؤون الدين جميل عنايته ، وكريم رعايته بأن يحفظه سبحانه وولي عهده المحبوب سيدي محمد ذخرا للاسلام ، ومفخرة في جبين العصور والايام .

— ※ —

※ وتنفيذا لتعليمات مولانا امير المومنين جلالة الحسن الثاني ، قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ببناء مسجدين باقليم فاس ، الاول بقبيلة بن ابراهيم ، والثاني بقبيلة بني مكة ، وقد انتدب السيد الوزير الاستاذ السيد محمد التائب السعيدي لينوب عن سيادته في تدشين هذين المسجدين ، حيث ادى صلاة الجمعة في مسجد

بني ابراهيم وصلاة العصر بمسجد بني مكة صحبه رجال السلطة المحلية وناظر احواز فاس وجماعة من المومنين .

— * —

* استقبل معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش سماحة القديس نيكولا السادس رئيس الكنيسة الارتودكسية بالاسكندرية وافريقيا ، وقد جرى الحديث في جو ودي تناول موضوع وحدة الديانات حول مبدا التعاون على صيانة المقدسات والمحافظة على المثل العليا بين البشر .

— * —

* سافر الاستاذ عبد الله كنون الى القاهرة في منتصف شهر يبراير الماضي للحضور في مؤتمر مجمع اللغة العربية والمشاركة في اعماله ، وقد قدم سيادته بحثا للمؤتمر عن الكاف التمثيلية نال موافقة المؤتمر بالاجماع . كما قام باستقبال عضو المجمع الجديد الاستاذ الشاذلي القليبي نيابة عن المجمع .. الى غير ذلك .

وعاد الى المغرب في اوائل مارس ثم رجع الى القاهرة لحضور مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذي افتتح يوم 26 مارس وقدم الاستاذ فيه بحثا موضوعه ((**الدولة الاسلامية دولة انسانية**)) . وفي الوقت نفسه قام بنشاط هام ءاخر فقد بدا بالقاء محاضرات في معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية والقى محاضرة في معهد الدراسات الاسلامية وحضر في اجتماعات المجلس الاسلامي الاعلى ، وقد انتخب عضوا في رعاية العلوم الحديثة وتطبيقاتها بالبلاد العربية .

— * —

* افتتح في طهران مؤتمر وكالات الانباء في الدول الاسلامية . وذلك لوضع التوصيات ومشروع انشاء وكالة اسلامية دولية للاخبار .

ومعلوم ان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي كان قد انعقد في كراتشي في دجنبر الماضي قد اوصى بانشاء مثل هذه الوكالة .

ومثل المغرب في هذا المؤتمر وفد هام ضم السيد المختار الحاج ناصر رئيس قسم الصحافة والانباء بوزارة الخارجية والسيد محمد الدكالي رئيس المصالح الثقافية بوزارة الانباء والسيد عمر بنونة المدير العام بالنيابة لوكالة المغرب العربي للانبا والسيد عبد الجليل فنجيرو رئيس قسم التحرير بالوكالة .

— * —

* في نطاق البحث الذي يعده السيد زين العابدين الكتاني في موضوع « الصحافة المغربية » عثر بمدينة تطوان بخزانة السيد الطيب بنونة على عدد من جريدة « طنين سبتة » مطبوعة باللغة العربية .

وهذا العدد يحمل تاريخ 8 شتنبر سنة 1883.

ولقد كان معروفا حتى الآن ان جريدة (المغرب) الصادرة سنة 1889 هي اول جريدة عربية مطبوعة صدرت بهذه البلاد .

وبحسب هذا الاكتشاف تكون جريدة « طنين سبتة » هي اول جريدة عربية طبعت بالمغرب اذ لم يكن هناك ما سيمكن التوصل اليه فيما بعد .

الجزائر :

* اصدرت وزارة الاعلام والثقافة في الجزائر مجلة «الثقافة» مرة كل شهرين موقتا ويراس تحريرها الاستاذ الدكتور صالح حرفي ، وقدم لها د. احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة .

ووزارة الثقافة والاعلام في الجزائر ترمي من ورائها الى تعزيز الثقافة القومية ، وبعث الثقة باللغة الوطنية واثراء الفكر الجزائري باتاحة الفرصة له للانطلاق ، والتجاوب مع الفكر الخارجي اخذا وعطاء.

وفي هذا العدد باب في الاخير تحدث عن الحياة الثقافية في العوالم العالمية حيث تحدث الدكتور عباس الجراري عن الحياة الفكرية في المغرب، واحمد الهواري عن القاهرة ..

تونس :

* تنظم اللجنة الثقافية للجهوية بسوسة مسابقتها السنوية الرابعة بين الشبان الحافظين لثلث القرآن الكريم (عشرة اجزاء تقريبا) من

أسيابي ولاية سوسة الذين تتراوح اعمارهم بين 15 و 20 سنة ويستحسن ان يكونوا من بين تلاميذ وتلميذات التعليم الثانوي بمعاهد الساحل .

وقد خصصت جوائز مالية للفائزين على النحو التالي :

50 دينارا للفائز الاول، 40 دينارا للفائز الثاني، 30 دينارا للفائز الثالث ، 20 دينارا للفائز الرابع و10 دنانير للفائز الخامس الى جانب المصاحف القرآنية والهدايا التذكارية والملابس للاطفال الصغار الفائزين .

كما تنظم اللجنة مسابقة ثانية يشارك فيها الكهول والشبان نساء ورجالا الذين يتابعون دروس الاملاءات القرآنية بمساجد ولاية سوسة وسيقع ضبط الاحزاب المقررة للمناظرة من طرف المشرفين على هذه الاملاءات .

وقد خصصت جوائز مالية للفائزين على النحو التالي :

30 دينارا للفائز الاول ، 20 دينارا للفائز الثاني ، 15 دينارا الفائز الثالث ، 10 دنانير للفائز الرابع وخمس جوائز ذات 5 دنانير لبقية الفائزين .

وستخصص اللجنة الثقافية الجهوية بسوسة جائزة تشجيعية قدرها 25 دينارا لاحسن مشرف على الاملاءات القرآنية على ما بذله من مجهود في سبيل تحفيظ كلام الله العلي القدير وتفسيره الى اكبر عدد من المتنفعين .

— * —

* اعلن في تونس تعيين السيد مامون الشطي المسؤول عن العلاقات الخارجية في الحزب الدستوري الحاكم مديرا عاما للتلفزيون والاذاعة . ويحل الشطي الذي سبق أن ترأس تحرير صحيفة « لاكسيون » التي تصدر بالفرنسية محل محمد بن اسماعيل الذي استقال بعد توليه المديرية العامة للاذاعة والتلفزيون لمدة 9 اشهر .

— * —

* صدرت في تونس الكتب التالية « تكميل الصلحاء والاعيان لمعالم الايمان» لمحمد الكتاني تحقيق وتعليق محمد العنابي منشورات المكتبة العتيقة . « بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق » لحسن حسني عبد الوهاب طبعة ثانية تقديم محمد المروسي المطوي مع فهرس للاعلام وضعها محمد المرزوقي منشورات مكتبة المنار . وصدر عن الدار التونسية للنشر «وردة ورصاصات» مجموعة قصص لعبد الرحمن عمار (ابن الواحة) « العمل في نظر الاسلام » للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة « ابعاد » مجموعة شعرية لعلي عارف .

— * —

* وصل الى تونس وفد يضم عددا من المسؤولين عن التعليم في الولايات المتحدة برئاسة الامين العام للمجلس القومي لمندوبي التعليم بالولايات المتحدة وذلك في زيارة لتونس تستغرق اسبوعا سيجري خلالها اتصالات مع المسؤولين عن التعليم في تونس .

ويتالف الوفد من عشرة مندوبين عن ولايات الاسكا واريزونا وجورجيا وماريلاند وونتانا ونيفادا وداكوتا الشمالية وبنسلفانيا .

— * —

* سرنا ان نقرا بحثا منهجيا للاب جون بونتان حول الادب التونسي في جريدة لوموند بملحقها الخاص بتونس ونهضتها (يوما 11 و 12 افريل الماضي) ونحن نقول بحثا منهجيا نظرا لان الاب بونتان لم يشمل في خلاصته النقدية الا بعض الادباء الشبان في تونس قائلا انهم يتجهون بنظرهم نحو الشمال أي نحو فرنسا ، وقد غفل عن ذكر اهم التيارات الادبية التى مهدت الطريق لظهور الحركات الحديثة في الشعر والنثر ، وكان تعليقه منقوصا لا يعطي فكرة نزيهة وواضحة عن الحركة الادبية في بلادنا ، وهي لا تتجه كما قال الاب بونتان باكملها نحو الشمال بل كانت مخلصة للارض التونسية واتجهت نحو نفس هذه الارض .

ليبيا :

* طرابلس — ليبيا — من المتوقع ان يعد قريبا مشروع لانشاء مركز للبحوث والدعوة الاسلامية بمدينة طرابلس .

* طرابلس ـ نادي الاتحاد الثقافي الرياضي يعتزم اصدار مجلة تعنى بشؤون الرياضة والثقافة.

— * —

* اصدر مجلس قيادة الثورة الليبي قانونا حظر فيه على اي شخص استيراد او تصدير او بيع او شراء المواد المخدرة دون ترخيص . كما حظر القانون الاتجار فى المواد المخدرة الا بعد تصريح بذلك من الجهات المختصة .

— * —

* طرابلس ـ ليبيا ـ اعلنت الحلقة الدراسية لتوحيد نظم التعليم بين دول ميثاق طرابلس توصياتها . وقد تركزت على ضرورة توحيد المناهج التعليمية فى مختلف مراحل التعلم بدول الميثاق اعتبارا من العام القادم .

مصـــــــر :

* الاديب المصري رضوان ابراهيم قام بترجمة عدة كتب قيمة ، واعدها للطبع ، وهي ذات علاقة بالتراث العربي منها « العمران البشري فى مقدمة ابن خلدون » للدكتورة سفتيلانا تسبيفا » . « الادب التونسي » لبانتوتشك .

وسينشران فى تونس. كما يقوم بترجمة كتاب جديد عن البحرين .

— * —

* فى القاهرة صدر كتاب « اتحاف النبلاء بفضل الشهادة وانواع الشهداء » للمحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري .

— * —

* وجه الدكتور مهدي علام مقرر « لجنة سجل ادباء القرن العشرين» الدعوة الى الكتاب المعاصرين للمساهمة فى اصدار السجل خلال شهرين .

* حددت اللجنة المعلومات الخاصة بكل مفكر فى حدود 400 كلمة وتشمل تاريخ ميلاده ودراسته وما يتصل بحياته العملية نشاطه الفكري والتعريف باهم آثاره واهم الكتب التى كتبت عنه وعن اعماله .

يصدر فى اجزاء .. الجزء الاول منها عن .. « المفكرين فى مصر » .

— * —

* القاهرة ـ قرر مؤتمر علماء المسلمين فى جلسته التى عقدها يوم السبت ارسال وفدين عن المؤتمر الى الباكستان والاردن لمناشدة المسؤولين فيهما وقف القتال حفاظا على الدم المسلم .

وقد شكل المؤتمر لجنة برئاسة الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر لاختيار اعضاء الوفدين على أن يسافرا فى اقرب وقت ممكن الى عاصمتي البلدين.

وكان المؤتمر قد استمع فى تلك الجلسة الى بحث مقدم من الاستاذ مصطفى الرافعي من « لبنان » كشف فيه عن مخططات اسرائيل التوسعية كما استمع الى كلمات ممثلي كل من سيلان وماليزيا وتونس والسودان حيث طالبوا فى كلماتهم بضرورة وقوف المسلمين يدا واحدة للدفاع عن مقدساتهم وتحرير اراضيهم .

هذا وقد أكد الدكتور سيد جعفر شاهيدي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة طهران وممثل ايران فى مؤتمر علماء المسلمين المنعقد حاليا بالقاهرة ان الشعب الايراني يؤيد الشعوب العربية فى مطالبتها باسترداد اراضيها المحتلة

— * —

* القاهرة ـ قرر ابراهيم الطحاوي الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين اعداد شهادات لتوزيعها على تلاميذ المراحل الابتدائية والاعدادية من اعضاء نادي المسلم الصغير الذين ينجحون فى امتحان القرآن الكريم .. ثم اعداد مجموعة فاخرة من المصاحف الذهبية وبعض الجوائز الاخرى لتوزيعها على الناجحين بتفوق .

بدأ امتحان 200 تلميذ من أعضاء نادي المسلم الصغير وتشكلت لجنة الامتحان من الشيخ محمد

زكي ابراهيم واللواء عبد الرحمن حسني والشاعر الصوفي عبد الله شمس الدين والدكتور محمد عبد الله صبري المشرف على جماعة القرآن الكريم .

ويقام في الاسبوع المقبل حفل لتكريم التلاميذ المتفوقين والناجحين يحضره السادة الوزراء .

— * —

* فتحي رضوان صدر له في القاهرة « اعلام مشهورون منسيون » وهي جماعة من كبار الشخصيات العربية والمصرية وصدر له في نفس الوقت كتاب عن « طلعت حرب » وآخر عن « التشريع الاسلامي » .

— * —

* « رحلتي من الشك الى الايمان » كتاب جديد للدكتور مصطفى محمود صدر في القاهرة .

— * —

* القاهرة — احتفل مجمع اللغة العربية في القاهرة باستقبال الشاذلي القليبي وزير الاعلام والثقافة السابق في تونس عضوا في المجمع في المكان الذي خلا بوفاة المؤرخ الاثري حسن حسن عبد الوهاب . ورحب المهندس وكيل المجمع وعبد الله كنون عن المغرب بالعضو الجديد . القى الشاذلي القليبي عن مشكلات اللغة العربية والفصحى العامية ودعا الى نشر التعليم باعتباره من وسائل تعميم الفصحى .

— * —

* يؤكد رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ما جاء في قرارهم الصادر في 16 — 6 — 70 من ان المصلحة العربية تقضي بتدعيم العلاقات العربية الفرنسية بوجه عام .

ويؤكدون كذلك ما جاء في ذلك القرار من ان بنك اتحاد المصارف العربية الفرنسية ضرورة لازمة لتنمية العلاقات الاقتصادية والمالية بين الدول العربية وفرنسا وانهم يوصون الدول العربية بالتعاون مع هذا البنك وتدعيمه وتشجيعه بحيث يصبح اداة قوية وقادرة على تدعيم الاقتصاد العربي في كافة المجالات .

* القاهرة — ابراهيم الطحاوي رئيس جمعيات الشبان المسلمين اقام حفلا لتكريم 200 عضو من اعضاء نادي المسلم الصغير بمناسبة نجاحهم في امتحان « جزء عم » .

— * —

* القاهرة — افتتح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشؤون الازهر المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية .

ويحضر المؤتمر الذي سيرأس جلساته الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر 120 عالما يمثلون مختلف الهيئات والمنظمات الدينية الاسلامية في العالم ويستمر انعقاد المؤتمر ثلاثة اسابيع ويبحث المؤتمر قضية فلسطين وازمة باكستان الحالية الى جانب القضايا الاسلامية الاخرى .

— * —

* القاهرة — قرر علماء الازهر وائمة المساجد تنظيم كتائب جديدة من علماء الدين للعمل مع القوات المسلحة في الجبهة ، وتأييد بيان رئيس الجمهورية الذي حدد فيه حتمية المعركة ودور الجيش والشعب . واعلن العلماء ثقتهم الكاملة بالقوات المسلحة في تدريبها وتسليحها وقدرتها القتالية ، ووقوفهم خلفها في الجبهة الداخلية صفا واحدا لحماية ظهرها ودعم جهادها .

— * —

* صدر عن دار الفكر العربي بالقاهرة كتاب « انباء الهصر بابناء العصر » للمؤرخ علي بن داود الجوهري الصيرفي ، نشره وحققه وعلق عليه الدكتور حسن حبشي الاستاذ بكلية الاداب بجامعة عين شمس في 560 صفحة حجم كبير ، وهو اول كتاب عن الفترة السابقة مباشرة للفتح العثماني لمصر والشام .

— * —

* اصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة بمناسبة دورته السابعة والثلاثين الجزء الاول من « المعجم الكبير » ويشمل حرف الهمزة ويقع في

700 صفحة . وهذا العمل اللغوي العظيم لون جديد في عالم المعجمات العربية . كما يقول الدكتور ابراهيم مدكور الامين العام للمجمع . ففيه تأصيل وتحقيق وجمع واستيعاب ورجوع الى المصادر الاولى .. وتعويل ما امكن على النصوص الثابتة .

يقول الاستاذ عبد الكريم القرباوي مدير مجمع اللغة العربية : ان كل مادة من مواد هذا المعجم الكبير تحيط بكل ما جاء في معاجم اللغة العربية كبيرها وصغيرها ، فضلا عن الشواهد الكثيرة التي تشمل : القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر في عصوره المختلفة ، هذا بالاضافة الى المادة العلمية الوفيرة التي تتعلق بحياتنا ، والمصطلحات الفقهية ، والتعريفات الفلسفية والنحوية .

اما عن موعد الانتهاء من اتمام هذه الموسوعة اللغوية فيقول :

من المنتظر ان يتم تأليف هذا المعجم الكبير باجزائه العشرين التي ينتظر ان يحتويها خلال 15 عاما على اكثر تقدير .. وبين يدي المجمع الآن المادة التي تكفي لاخراج الجزء الثاني منه .

ولا شك ان طول التجربة التي مرت سيكون لها اكبر الاثر في الاسراع باخراج باقي الاجزاء .. بعد ان استقرت الطريقة وتدرب المحررون على تأليف المادة وما ينبغي ان تكون عليه .

— * —

* « مسافر في التاريخ » : ديوان شعر جديد للشاعر الاستاذ محمد احمد الغزب من العربية المتحدة . يمتد من عام 1963 م الى عام 1969 يصور فيه الشاعر كما نقرأ في تعريف الديوان بعذوبة غنائية محببة جو الحالة النفسية التي يعيشها .. يستعيدها القارىء مشاركا بتجربة اللحظة : شعر جدير بالتأمل والدرس .

— * —

* موسوعة حديثة للفقه الاسلامي ظهر منها جزآن للشيخ محمد ابو زهرة وقامت بنشرها هيئة الدراسات الاسلامية بالقاهرة .

* القاهرة — استقبل الاستاذ محمد توفيق عويضة رئيس عام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية عمر الحاج موسى وزير الارشاد القومي السوداني حيث تم بحث العلاقات الثقافية الاسلامية بين البلدين ووسائل تدعيمها .. وتم الاتفاق على تزويد اذاعة القرآن بالسودان بالمصاحف المرتلة والمصحف المجود واسطوانات تعليم الصلاة باللغات السواحلي والهوسة والانجليزي ومكتبة اسلامية من 1.000 كتاب ومجلد اسلامي من كتب التراث الاسلامي والمصاحف الشريفة الى مكتبات وزارة الارشاد القومي السوداني .

— * —

* نعى مجمع اللغة العربية في القاهرة فقيد اللغة والادب الاستاذ عبد الفتاح الصعيدي عضو المجمع الذي قدم له من الخدمات الجليلة ما لا يستطيع نسيانه خلال ثلث قرن قضاها فيه محررا فرئيسا للتحرير فمراقبا اداريا ثم عضوا عاملا . وكان الفقيد في طريقه الى المجمع لحضور جلسة المصطلحات الطبية وحفل تأبين الدكتور مصطفى نظيف عندما صرعته سيارة .

— * —

* اهدى الوفد البرلماني لالمانيا الديمقراطية برئاسة جيرلي جوتنج رئيس مجلس الشعب الاعلى ونائب رئيس الجمهورية ورئيس الهيئات بالمانيا الديمقراطية ، الى فضيلة د . محمد الفحام شيخ الازهر مرجعا فلكيا نادرا عمره 200 سنة تذكارا لزيارته لشيخ الازهر في مكتبه .

المرجع يضم 336 ورقة مصقولة كل ورقة بها « ساعة فلكية متحركة » تحدد في هذا اليوم من السنة مواقع الشمس والقمر والكواكب وتعين على تحديد فصول السنة خلال اي عام من الاعوام السابقة او الاعوام القادمة .

وقد حرص مؤلفه الالماني الاصل على ان يحل العقدات الحسابية الفلكية . ويمكن ان يضبط الوقت الفلكي للشروق والغروب .. واوقات الصلاة في المناطق المختلفة ..

اكد شيخ الازهر لرئيس الوفد الالماني اهتمام الازهر قديما وحديثا بعلوم الفلك وطلب الى

سكرتير فضيلته الخاص د. محمد هلال المدرس بكلية اللغة العربية فى جامعة الازهر الاتصال بفضيلة الشيخ محمد ابو العلا البنا « 80 سنة » كبير علماء الفلك بالازهر وترجمة المرجع الالماني للارتفاع به علميا ... والاحتفاظ بالنسخة الاصلية «الالمانية» لمكتب فضيلته .

— ❊ —

❊ صدرت عن دار مصر للطباعة رواية جديدة لنجيب محفوظ اسمها « حكاية بلا بداية ولا نهاية » وهي مؤلفه الثالث والعشرين فى 284 صفحة .

— ❊ —

❊ تكونت جمعية ادبية لشعراء جامعة القاهرة تضم الشعراء : احمد عز الدين وحسين علي محمد ونصر حامد رزق وصلاح الراوي واحمد عبد العزيز وزين العابدين فؤاد والسيد جعفر ويشرف على الجماعة الدكتور عبد المنعم تليمة مدرس الادب والنقد بكلية الآداب .

— ❊ —

❊ صدرت فى القاهرة الكتب التالية : ادب الدراويش لمحمد قنديل البقلي . اليابان لمحمد السيد ايوب. المجاهدون فى الله للشيخ توفيق محمد سبع . من اخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان . الجزء الاول والثاني من كتاب صون المنطق والكلام للامام السيوطي تحقيق الدكتور علي سامي النشار والسيدة سعاد علي عبد الرازق . مع القرآن للشيخ احمد حسن الباقوري . القاهرة فى الف عام اعداد الدكتور حسن الباشا . مع العقاد فى ظل العقيدة الوطنية لمحمد طاهر الجبلاوي . الهجرة فى القرآن لمحمد الدسوقي . الدعاء لمحمد سيد طنطاوي . الرواية العربية فى رحلة العذاب لغالي شكري . صلات بين العرب والفرس والترك دراسة تاريخية ادبية للدكتور حسين مجيب المصري . مومس تؤلف كتابا ومسرحيات اخرى لفتحي رضوان .

❊ تمكن اربعة عشر طالبا من طلبة المدارس الثانوية ، وهم فى نفس الوقت اعضاء فى احدى نوادي العلوم بالجمهورية العربية المتحدة ، من وضع قاموس للعلوم وقد خرجت الطبعة الاولى لهذا القاموس تضم ما يزيد على 300 كلمة باللغتين العربية والانجليزية مزودة بالشروح والتعليقات ويتم فى الوقت الحاضر اعداد طبعة ثانية مزيدة ومنقحة .

وهناك ما يزيد عن 700 طالب وطالبة وعامل من ابناء الجمهورية العربية المتحدة يشتركون فى نوادي العلوم التى تكونت منذ اقل من عامين . وينصب نشاطهم على تركيب الالات العلمية ودراسة مشروعات العمران ومكافحة الافات . ولقد اقيم اول معرض علمي للشباب بالقاهرة تحت رعاية هذه النوادي فى بداية شهر سبتمبر سنة 1970 وكان يضم عدة مشروعات قام بتنفيذها ما يزيد عن 150 من الفتيان والفتيات ممن تتراوح اعمارهم بين 12 و 22 سنة .

— ❊ —

❊ القاهرة ـ بدات فى القاهرة مسابقة وزارة الاوقاف المصرية بين ائمة المساجد والتفتيش فى القراءة الحرة .. يمنح الفائز فى المسابقة جائزة مالية تتراوح بين 25 و 50 جنيها حسب الدرجات التى يتحصل عليها .

افــريقـــيـــا :

❊ نيروبي ـ قام المسلمون فى كينيا بعدة اتصالات بينهم لتأسيس جمعية وطنية ترعى مصالح المسلمين الدينية وتوفر لهم المتطلبات اللازمة من خلال ايجاد تعاون بينهم جميعا وجعل المقر الرئيسي لها مدينة نيروبي العاصمة .

وفى اول اجتماع لمجلس الجمعية قام السيد ميناغا وزير الاعلام الكيني بافتتاح الجلسة التى حضرها جمع غفير من المسلمين ؛ وقد لخصت الجمعية اهدافها الرئيسية فى النقاط التالية :

1 ـ تكتيل الجمعيات الاسلامية المتعددة .

2 ـ تنسيق امر الدعوة الى الله ونشر الاسلام

3 ـ المساهمة الفعالة فى الانشاءات الاسلامية من مساجد ومدارس وتقديم العون لكل مشروع يستهدف صلاح المسلمين .

* ممباسا — اجتمع حوالي 500 مسلم في مسجد الازهر بممباسا للاحتفال براس السنة الهجرية وكان من بين الحاضرين السيد هادي الهوار قاضي زنجبار سابقا ، والقى بهذه المناسبة كلمة دعا فيها المسلمين الى الوحدة والتضامن والعودة الى حظيرة الدين الاسلامي .

كما القى الاستاذ علوي قاسم مدير مركز الدعوة الاسلامية كلمة حث فيها المسلمين على العمل الجاد لاعادة تراثهم الاصيل واعادة مآثرهم الحميدة والاقتداء بصاحب الهجرة عليه السلام .

— * —

* دكار — صرح رئيس الجمهورية السنغالية السيد ليوبولد سيدار سنغور في الكلمة التى القاها اثناء زيارته لورشة المعهد الاسلامي في دكار « بان رسالة المعهد الاسلامي الاساسية هي الاسهام عن طريق البحث واشاعة الثقافة العربية المكملة للثقافة الزنجية الافريقية ، في تحقيق الوحدة الافريقية » .

وقد ذكر ان اكثر من ثلث سكان افريقيا مسلمون وان لغات الكوشيين والسودانيين بالتعبير الديني ، بالعرب .

واضاف ان السنغال ابقى تعليم العربية في الكليات لان هذه اللغة تمكن من تنمية روح الرياضيات والاستعداد للتفكير السليم .

— * —

* ستقوم لجنة من المؤرخين تحت اشراف منظمة اليونسكو بكتابة تاريخ القارة الافريقية وستفاد من تصريحات اللجنة العلمية المكلفة بهذه المهام بان المنهجية الجديدة التى تستعمل في كتابة التاريخ العام للقارة الافريقية تشكل طريقة اصيلة في التاريخ لاحداث القارة لم يسبق ان اخذ المؤرخون بوسائلها من قبل .

ويراس اللجنة المذكورة، والتى تتركب من ثلاثين مفكرا مختصين في شؤون القارة الافريقية الدكتور اكليلو هابت رئيس جامعة هيلاسيلاسي باديس ابابا .

* قام المسلمون في نيجيريا في الآونة الاخيرة بانشاء جمعية اسلامية عاملة متعددة النشاطات .. اطلق عليها اسم « جمعية التضامن الاسلامي » واتخذت لها مقرا بمدينة لاغوس العاصمة .. ويعتبر قيام هذه الجمعية تجسيدا لردة فعل دعوة التضامن الاسلامي التى يحمل لواءها خادم الحرمين الفيصل بن عبد العزيز في الاوساط الاسلامية الشعبية والرسمية على السواء .

والجدير بالذكر انه قد تم في العام الماضي ايضا انشاء جمعية تحمل اسم — هيئة التضامن الاسلامي — في اندونيسيا يتولى رئاستها الشاب المسلم الدكتور عثمان هارون .

وتقوم الجمعية الجديدة بنشاط واسع النطاق على مستوى نيجيريا داخليا وعلى مستوى القارة الافريقية خارجا .. وقد بدات فور تاسيسها باجراء اتصالات مع الجموع الشعبية في نيجيريا ، والهيئات والمنظمات الاسلامية في افريقيا والعالم الاسلامي .

كما تقوم الجمعية بارسال الدعاة والمرشدين الى الارياف الافريقية الى جانب المدن الرئيسية للدعوة الى الاسلام بين الوثنيين ، والحث على التضامن والتعاون بين المسلمين .. ونبذ الخلافات المذهبية الجانبية تحقيقا لروح الوحدة الاسلامية .. وتحاول الجمعية الوقوف في وجه التوسع التبشيري المسيحي في البلاد والقارة بشكل عام بالطاقات التى تملكها .

تركيا :

* كتاب الحلال والحرام للشيخ يوسف القرضاوي اعيدت طباعته للمرة الرابعة .. وقام بترجمته الى اللغة التركية الاستاذ صالح اوزجان عضو المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي وصاحب دار « الهلال » وهي دار نشر مشهورة في تركيا بعنايتها بالمنشورات الاسلامية .

— * —

* انقرة — قام عدد من اساتذة الجامعات وكبار المتخصصين الاسلاميين في انقره بتركيا

بتأسيس جمعية للابحاث الاقتصادية والاجتماعية من وجهة النظر الاسلامية على المستوى الاكاديمي .

— * —

* اسس جماعة من الاساتذة الجامعيين وكبار الاسلاميين المتخصصين جمعية على مستوى علمي عال لبحث المسائل الاجتماعية والاقتصادية على ضوء الاسلام .

لبنـــــان :

* صدر فى بيروت «لسان العرب المحيط» لابن منظور مع اضافة المصطلحات العلمية والفنية التى اقرتها المجامع العلمية وقد اعيد بناء القاموس على اساس الحرف الاول من الكلمة واعد فهارسه الاستاذان يوسف خياط ونديم مرعشلي وقد تولت نشره احدى دور النشر الحديثة فى بيروت المسماة بدار لسان العرب . ويقع فى اربعة مجلدات ويقع كل مجلد فى 500 صفحة من القطع الكبير .

— * —

* قالت مجلة الادب البيروتية : اوشكت مطبعة جامعة دمشق على الانتهاء من طبع الجزء الاول من موسوعة الفقه الاسلامي التى تصدرها كلية الشريعة بدمشق برئاسة عميدها الدكتور عبد الرحمن الصابوني .

— * —

* « الادب فى خدمة الحياة والعقيدة » كتاب جديد للاستاذ عبد الله حمد العويشق ، وتولت طباعته الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، صدر عن دار العربية للطباعة والنشر فى بيروت .

— * —

* بيروت ــ ذكرت مصادر اردنية ان الملك حسين دعا الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين السابق ورئيس الهيئة العربية العليا الفلسطينية الى العودة الى عمان من بيروت والانضمام الى حاشيته مستشارا خاصا للملك فى الشؤون السياسية .

— * —

* اوفد سماحة السيد محمد امين الحسيني رئيس مؤتمر العالم الاسلامي ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين مندوبين الى السفارة الاسبانية فى بيروت حملا رسالة شكر وتقدير الى الجنرال فرانكو والحكومة الاسبانية على موقفها المعارض للتدابير العدوانية الجائرة التى تتخذها سلطات الاحتلال الصهيوني فى مدينة القدس لتبديل طابع هذه المدينة المقدسة وتهويدها .

— * —

* المسألة الاجتماعية بين الاسلام والنظم البشرية تأليف عمر عودة الخطيب 232 صفحة حجم كبير . سلسلة لمحات فى الثقافة الاسلامية صدر فى بيروت .

— * —

* مسند امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم تأليف ابي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت . عني بدرسه ونشره الدكتور سامي حداد استاذ الجراحة ومؤسس مستشفى الشرق ببيروت ــ الجزء العاشر ــ الطبعة الثانية ــ تقديم الدكتور فريد سامي حداد .

— * —

* اعيدت طبعته الاولى لمسند الامام احمد بالتصوير فى ست مجلدات بواسطة احدى دور النشر فى لبنان .

سوريـــــا :

* الاديب والصحفي الحلبي اديب السيد يعد للطبع كتابه الجديد بعنوان « ارمينيا فى التاريخ العربي » .

* اقيمت بقاعة المركز الثقافي العربي بدمشق ندوة فكرية موضوعها « الفكر العربي المعاصر من خلال الادب » اشترك فى الندوة طيب تيزيني وخلدون الشمعة وصفوان قدسي .

— * —

* « عبد السلام العجيلي : دراسة نفسية فى فن الوصف القصصي والروائي » كتاب جديد لعدنان بن ذريل صدر فى دمشق عن مطبعة الآداب والعلوم فى 120 صفحة .

— * —

* القى المحامي السوري عبد اللطيف الحمزاوي محاضرة فى مقر جمعية الندوة العربية الثقافية بدمشق عنوانها « فلسفة الفراغ » .

— * —

* صدر عن دار الاجيال بدمشق رواية « بنداء الطوفان » تأليف نبيل سليمان فى 344 صفحة .

— * —

* العالم التونسي احمد بن ميلاد زار حلب بحثا عن المخطوطات التونسية بغية انجاز مؤلفه عن «الطب فى تونس من الفتح العربي الى الاحتلال الفرنسي » .

— * —

* العلامة الحلبي محمد سيرجية القى محاضرة بالمركز الثقافي العربي بحلب عنوانها « الغفران الجديد » .

— * —

* تم انتخاب الهيئة العامة لنقابة الفنون الجميلة فى القطر العربي السوري على النحو التالي: ممدوح قشلان نقيبا وفاتح المدرس نائبا للنقيب وغازي الخالدي امينا للسر ووضاح الدقر امينا للصندوق . والاعضاء هم : ممتاز الجرة ونجيب ارسلان وفيصل عجمي ومعد اورفلي ومحمد الروسي وتيسير حياش وعبد العزيز علوني .

— * —

* دعا المركز الثقافي العربي بحلب الى محاضرة باللغة الفرنسية عن الشاعر الفرنسي جاك بريفير قدمتها ماري جبرييل فيليب . ومحاضرة بعنوان « الاثر الاجتماعي للعمل » قدمها جميل الخوري . ومحاضرة بعنوان « الموسيقى العربية وحل رموز كتاب الاغاني » قدمها مجدي العقيلي .

— * —

* دمشق ــ بحث الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالي مع السيد العربي السعدوني سفير الجزائر فى دمشق الامور الثقافية التى تهم القطرين الشقيقين .

واستعرض ايضا الدكتور الفحام مع سفير اندونيسيا فى دمشق العلاقات الثقافية بين البلدين .

— * —

* فتاوي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الشهيرة قام الباحث الدمشقي المعروف الدكتور صلاح الدين المنجد باخراجها فى خمسة مجلدات ظهر منها ثلاثة حتى الآن .

الكويت :

* الكويت ــ اقامت جامعة الكويت وجمعية الاصلاح الاجتماعي ندوة موضوعها (حكم الربا فى الاسلام) تحدث فيها الدكتور محمد فاروق النبهان والاستاذ الشيخ حسن محمد ايوب والاستاذ احمد عبد القادر محمد وادارها الدكتور عيسى عبده ثم اشترك فيها الاستاذ عبد الله عقيل .

وقد افتتح الاستاذ شاكر مصطفى الندوة ثم تحدث المشتركون فى الندوة فعرف الدكتور عيسى عبده ما هو الربا ومعناه فى العلاقات التجارية وارتباطه بحياة الانسان ، وبعده تناول الشيخ حسن

ايوب تفسير الاحكام الـواردة فى القـرآن الكريـم وشرح الاحاديث النبوية الناصة على التحريم ملخصـا اسباب نزول الآيات ثم عرض الاستاذ احمد عبـد القادر تاريخ الربا فى اوروبا خلال العصور القديمـة وكيف اتخذ الربا طابعا رسميا بعد الثورة الفرنسـية، ثم قدم الدكتور فاروق النبهان آراء وفتاوي بعض من حال الربا من العلماء المعاصرين . وفى تعقيـب للدكتور عبده ذكر ان القانون الانكليزي لم يعتـرف بالربا صـراحة حتى الآن . .

— * —

* القى الكاتب الايطـالي البرتـو مورافيـا محاضـرة اعقبها نقاش حول ازمة الرواية المعاصـرة بقاعة المحاضرات بجامعة الكويت .

— * —

* مثل الكويت فى مـؤتمر علماء المسلميـن الذى دعا اليه مجمع البحـوث الاسلاميـة بالازهـر معالي وزير الاوقاف والشـؤون الاسلامية وسعـادة وكيل الوزارة المساعد .

— * —

* وافق مجلس الامة على مشروع قانون الوصية الواجبة واعلن المجلس استنكاره للمحاولات التى ترمي لضرب المقاومة الفلسطينية .

— * —

* قام وفد صومالي برئاسة وزير الخارجية بزيارة البلاد وقد اجرى مباحثات مـع المسـؤوليـن استهدفت تدعيم التعاون الاسلامي .

— * —

* صرح معالي وزير الاوقاف والشـؤون الاسلامية بان الحرب الدائرة بين العرب والصهيونية جهاد فى سبيل الله . وقال ان الاسلام كل لا يتجزا وان انحراف البعض لا يجيز للاخرين ان يتاخـروا عن واجبهم .

— * —

* شكلت لجنتان فى وزارة التربية لمقابلـة المتقدمين محليا لوظائف التدريس فى العام القادم .

الاردن :

عمان ــ تقرر اقامة اسبوع للنضـال ضـد العنصـرية فى الاردن .

وقد تم تشكيل لجنة محلية اطلق عليها اسم « اللجنة الاردنية للنضال ضد العنصرية والتفرقـة العنصرية » بناء على توصية لوزراء التعليم والشؤون الاجتماعية والثقافية والاعلام ، وذلك بهدف وضع برنامج للنشاط خلال هذا الاسبوع .

وسيتم بهذه المناسبـة ارسـال برقيـات الى السكرتير العام للامم المتحدة ورئيس مجلس الامن ومنظمة اليونسكو وجامعة الدول العربية يؤكد فيها موقعوها الطابع العنصري لاسرائيل وكذلك المعاملـة السيئة واعمال التعذيب التى تتعرض لها الطوائف الاسلامية والمسيحية فى اسرائيل .

— * —

* قررت وزرة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية فى الاردن منح مكافئات مالية لكل باحث اردني يعد بحثا اسلاميا قيما . وذلك ضمن جهـود الوزارة الرامية الى تشجيع البحـوث والدراسات الاسلامية . وستتولى الوزارة طبع هـذه الابحاث والدراسات ونشرها على نفقتها .

— * —

* « جذور البلاء » كتـاب جديـد للقائـد الاردني عبد الله التل قدمه رسالـة الدكتـورة فى جامعة الازهر فى موضوع اصبح من اشهر الثقاة فيه. وقد بذل الجهود الموفقة فى استخلاص مادتـه مـن اوثق المصادر فى اللغتين العربية والانجليزية يظهر ذلك واضحا من كثرة الاقتباسات والاستشهـارات ممن اشتهروا عالميا فى هذا المضمار . واهم ابحاث الكتاب الجذور فى كتاب اليهود المقدس . الجـذور فى التلمود . عداء اليهود الاول للمسيحية والاسلام. اسلحة التنفيذ . الفتن والمؤامرات . طرق التدمير فى المجتمعات غير اليهودية . الغزو الفكري . وثلاثة ملاحق مفيدة .

— * —

* عمان ــ ذكرت لانباء الواردة من الضفـة الغربية المحتلة لنهـر الاردن ان رجـال العصابـة

الصهيونية العسكريين قاموا منذاسبوعين بهدم مسجد في مدينة « الكوم » في منطقة الجليل .. في الوقت الذي تستمر فيه الحفريات المخربة في حرم المسجد الاقصى الشريف مضيا في خطة اعادة بناء الهيكل المزعوم .

— * —

* عمان — تنوي وزارة التربية والتعليم الاردنية تاليف كتب عن التعليم العالي والجامعي في الدول العربية والاجنبية ليكون معينا لمن يرغب في الالتحاق باية جامعة او معهد في ذلك البلد بحيث يحمل سلفا فكرة واضحة عن انظمة المعاهد والجامعات

وطلبت الوزارة من المستشارين والملحقين الثقافيين الاردنيين في الخارج تزويدها بالمعلومات اللازمة عن هذه الجامعات .

— * —

* عمان — قام رجال الامن في عمان بحملة على الشبان الذين يرخون شعورهم على طريقة البيتلز واخذوا يوقفون كل واحد منهم ويقتادونه الى مكان اعد لجز شعره .

— * —

* « الخروج من البحر الميت » الديوان الشعري الثالث للشاعر الاردني الشاب عز الدين المناصرة وكان الشاعر قد اصدر من قبل ديوانين اخرين هما : « الدم في الحدائق » ، و « يا عنب الخليل » وهو يسجل في هذه الدواوين الثلاثة شعوره الفياض واحساسه المرهف في سياسة التشرد التي كتبت عليه وعلى اهل بلده .

قـــطـــر :

* الدوحة — قطر — اعلن مهندس بريطاني اسلامه امام المحكمة الشرعية . وقال قاضي المحكمة ان براين ديفد وليام الذي يبلغ من العمر ثلاثين سنة ويعمل مهندسا في احدى الشركات القطرية كان في كامل ايمانه وحبه للاسلام عندما نطق بالشهادتين واعلن براءته من كل دين يخالف الاسلام .

وصرح براين — الذي اصبح يعرف باسم « عبد الله » — بأنه اشهر اسلامه بعد قناعته الكاملة بتعاليم الاسلام السمحة من خلال الكتب التي قراها واطلع عليها بدقة .

اليـــمـــن :

* صنعاء — قررت الكويت ربط كلية الشريعة والقانون كاحدى كليتين انشئتا هذا العام كنواة لجامعة صنعاء بزميلتها كلية الشريعة والحقوق في جامعة الكويت شرط توافق المناهج في الكليتين .

واعتمدت الكويت كذلك مساعدة سنوية لجامعة صنعاء قدرها 100 الف دينار ابتداء من العام القادم .

— * —

* تمشيا مع روح التعاون والصداقة مع جمهورية اليمن . فان وزارة المعارف السعودية قررت ارسال مطبعة حديثة لوزارة التربية والتعليم اليمنية وذلك ضمن برنامج المساعدات التي تقدمها الوزارة للاخوة في اليمن في نطاق الحقل التعليمي وقد اعلن معالي وزير التربية والتعليم اليمني بأنه تلقى برقية من زميله السعودي متعلقة بشحن تلك المطبعة وقد اشاد سيادته بهذه المساعدات وقال ان هذه المطبعة هي من احدث الانواع وستصل الى اليمن عن طريق ميناء الحديدة .

السعـوديـــة :

* تقوم رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة بتوزيع مختلف انواع الكتب الاسلامية القيمة الى طلاب العلم والضيوف وذلك لنشر المعرفة الاسلامية بين الشباب . كما تقوم الرابطة بدعم مختلف المراكز الاسلامية في العالم بمختلف انواع الكتب الثقافية والاسلامية .

ويتلقى معالي الامين العام للرابطة في كل يوم عددا كبيرا من الطلبات من مختلف انحاء العالم .

— * —

* اصدرت كلية الاداب بجامعة الرياض المجلد الاول من مجلتها السنوية منذ ايام .. وقد جاءت المجلة في حجم كبير وحافلة بالعديد من البحوث القيمة والمقالات الفنية بدسامتها الموضوعية .

وهي تعبر عن الجهد الكبير الذى بذله الدكتور منصور الحازمي ولجنة الاشراف على التحرير .. فشكرا للكلية على هذه الخطوة الثقافية القيمة .

— ※ —

※ قدمت رابطة العالم الاسلامي بمكة مجموعة من الكتب القيمة هدية الى المكتبة المركزية لكل من كليتي الشريعة والتربية بمكة .. وقد شملت هذه المجموعة بعض الكتب الاسلامية والتاريخية والادبية .. وقد عبر سعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الاستاذ عبد الله بغدادي عن خالص تقديره لمساهمة الرابطة فى دعم المكتبة المركزية بالكليتين .

ومن ناحية اخرى ، تقوم وزارة المعارف بدعم هذه المكتبة بمختلف الكتب التى يستفيد منها الدارس فى المراحل العالية وقد وضعت الوزارة برنامجا خاصا لتطوير هذه المكتبة .

— ※ —

※ قالت مجلة « قافلة الزيت » : ــ من رواد ادبنا المعاصر ــ كتاب يصدر قريبا للاستاذ البدوي الملثم ــ يعقوب العودات ــ يتناول فيه شخصيات ادبية معاصرة عرفها المؤلف وصادقها سنوات طويلة . ويصدر كذلك للاديب العراقي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين كتاب عنوانه : شخصيات من الادب المعاصر ــ يتناول فيه بالدرس والتحليل عشرة من الادباء العرب .

— ※ —

※ « منهج البحث التاريخي عند ابن بشار » دراسة كتبها الدكتور عبد العزيز الخويطر مدير جامعة الرياض بالنيابة صدرت مؤخرا .

— ※ —

※ « المكتبة التاريخية والجغرافية عند العلماء المسلمين » للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي صدر اخيرا .

ايـــــران :

※ طهران ــ اعلن فى طهران ان السيد تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة العامة الاسلامية سيحضر اجتماعا فى طهران يوم غد حول انشاء وكالة انباء اسلامية عالمية . وسيستغرق المؤتمر الذى سيحضره ممثلون وخبراء من الدول الاعضاء ثلاثة ايام . وسيبدا المؤتمر يوم الثلاثاء غدا ..

— ※ —

※ اختتم فى طهران يوم الخميس الماضي المؤتمر الذى عقدته 15 دولة اسلامية والذى استمر ثلاثة ايام حول الوسائل والامكانيات لتأسيس وكالة انباء اسلامية عالمية . وذكر بيان مشترك صدر فى نهاية المؤتمر جاء فيه ان وكالة الانباء الاسلامية ستكون فى مرحلتها الاولى اتحادا يضم وكالات الانباء الوطنية للدول الاسلامية .

وقال البيان ان الهدف النهائي لهذا الاتحاد هو تأسيس وكالة اسلامية عالمية .

وقال البيان ان قرارات المؤتمر وتوصياته ستعرض على المؤتمر المقبل لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذى سيعقد فى كابل عاصمة افغانستان.

وقد اشترك فى المؤتمر كل من المملكة العربية السعودية وافغانستان والجزائر وغينيا واندونيسيا وايران والاردن والكويت ولبنان وماليزيا والمغرب والباكستان وتونس وتركيا والجمهورية العربية المتحدة .

— ※ —

※ طهران ــ قام رجال البوليس بالهجوم على مراكز الهيبيين فى منطقة شمران بشمال مدينة طهران وقد اعتقلتهم حيث كانوا يدخنون الحشيش وقام بحلق شعورهم الطويلة بالموسى وذلك فى اليوم الاول من الحملة التى يشنها البوليس ضد الهيبيين . هذا وبموجب قانون ايراني جديد لمكافحة المخدرات فان اي شخص يحمل اكثر من عشرة جرام من الهيروين او كيلوين من الافيون سيكون عرضة لاطلاق النار عليه من قبل رجال البوليس ، ولفس القانون يقضي بالسجن لمدة سنة عن كل عشرة جرامات من الحشيش يتم ضبطها مع اي شخص .

❊ طهران – اعلن في طهران ان حوالي خمسين رئيس دولة ينتظر ان يحضروا الاحتفالات التي ستقام في طهران بمناسبة مرور 2500 عام على انشاء الملكية في ايران والتي ستجري في الفترة ما بين 14 و 17 اكتوبر القادم .

وذكر الاعلان بان 25 من رؤساء الدول قد قبلوا فعلا الدعوات التي وجهت اليهم لحضور تلك الاحتفالات .

العـــراق :

❊ بغداد – بدأت محافظة السليمانية استعمال اللغة الكردية كلغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المناطق الشمالية .

ويقضي بيان اصدره محافظ السليمانية بهذا الصدد بأن تكون المراسلات الرسمية بين المحافظة والاقضية والنواحي التابعة لها في الشمال باللغة الكردية على ان تكون النسخ المرسلة منها الى الوزارات في العاصمة بغداد باللغة العربية .

— ❊ —

❊ بغداد : ذكر في بغداد ان المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ستبحث خلال اجتماعها القادم موضوع استبدال الارقام العربية المستخدمة حاليا وهي هندية الاصل بالارقام العربية الاصل والمستخدمة الآن عالميا لانها اكثر اصالة واسهل تداولا !!

— ❊ —

❊ متخير الالفاظ : معجم لغوي قديم للامام ابن فارس يحققه وينشره لاول مرة الاديب العراقي الاستاذ هلال ناجي عن نسختين وجدهما في تراث اسرته ، واحداهما بخط جده الرابع المرحوم عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسيني البغدادي امير الخطاطين في عصره .

وقد راجع في تحقيقه لهذا المعجم نحو الاربعمائة كتاب ما بين مخطوط ومطبوع .

❊ « انشودة النصر » مجموعة شعرية للشاعر العراقي كاظم محمد حسين صدرت مؤخرا في بغداد .

— ❊ —

❊ « حكاية الادب العربي المعاصر » في المهجر والمغرب والجزائر وتونس والسودان ، كتاب جديد تأليف خالص عزمي صدر في بغداد .

— ❊ —

❊ كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ تحقيق احمد زكي باشا المطبوع سنة 1914 أعادت طباعته بالاوفست مكتبة المثنى في بغداد .

— ❊ —

❊ صدر بالعراق في الجمع والتحقيق : ديوان اسحاق الموصلي لماجد احمد العزي وديوان لقيط بن يعمر لخليل ابراهيم العطية وشعر النامي لصبيح رديف وشعر المرقش الاصغر وديوان الاسود بن يعفر للدكتور نوري حمودي القيسي . والجزء الاول من طبقات الشافعية للاسنوي تحقيق عبد الله الجبوري والمقابسات للتوحيدي تحقيق محمد توفيق حسين .

— ❊ —

❊ قدم الدكتور باقر سماكة الاستاذ بكلية الآداب بجامعة بغداد للطبع كتابين الاول في الادب الاندلسي والثاني في الادب العباسي .

— ❊ —

❊ يقام في مدينة البصرة بالعراق مهرجان للشعر سيسهم في احيائه عدد كبير من الادباء البارزين في العالم العربي كما ستحضره نخبة من المستشرقين .

— ❊ —

❊ صدر في بغداد للدكتور يحيى الجبوري « لبيد بن ابي ربيعة العامري » ولابراهيم الوائلي « اضطراب الكلم عند الزهاوي » .

※ « انتهى في بغداد الدكتور شاكر خصباك من تاليف كتاب عن « ابن بطوطة » والدكتور عبد الجليل الطاهر عن العشائر في العراق .

— ※ —

※ « عودة الطيور المهاجرة » مجموعة شعرية صدرت في النجف بالعراق لعبد الاله الصائغ في 80 صفحة .

— ※ —

※ تم انتخاب الهيئة الجديدة لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين كما يلي : الدكتور يوسف عز الدين رئيسا والدكتور عبد اللطيف البوري نائبا للرئيس ومحمود بهجة سنان سكرتيرا وعبد الرحمن التكريتي امينا للصندوق . والاعضاء هم : الدكتور احمد مطلوب والدكتور ضياء الدين ابو الحب والدكتور داود سلوم ونور الدين الواعظ والسيدة شرقية الراوي .

— ※ —

※ صدر ببغداد في القصة « بانتظار الزمن الآتي » لعبد الامير الحبيب . وفي الشعر : « ملامح من العصر المتكبر » لسلمان الجبوري و «ظما البحر» لزهير غازي زاهد و « حجاية جرح » (من الشعر الشعبي) لشاكر السماوي .

— ※ —

※ اطلقت كلية الاداب بجامعة بغداد اسم الدكتور مصطفى جواد على قاعة المراجع من مكتبتها.

— ※ —

※ الباحث العراقي الدكتور صبحي انور شديد صدر له في بيروت كتاب جديد بعنوان « تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم » في 374 صفحة حجم كبير مع عدة لوحات اثرية .

※ تستعد في العراق مجلة « الكلمة » لاصدار عدد خاص بالشاعر الجواهري ومجلة « الاقلام » بالقصة العراقية المعاصرة وقصاصو البصرة لاصدار مجموعة تضم النموذجين لكل منهم.

— ※ —

※ « شاعرية الصافي » كتاب جديد للاديب والشاعر العراقي خضر عباس الصالحي صدر عن مطبعة المعارف ببغداد في 288 صفحة حجم كبير .

— ※ —

※ عقدت في الشهر الماضي في المركز العام لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ندوة عن «التخطيط التربوي» اشترك فيها الدكتور مسارع الراوي والدكتور سعد الراوي وحكمة البزاز . وندوة عن « مشكلات المراة الجديدة » اشترك فيها الدكتورة نعيمة الشماع والدكتورة سلوى عقراوي وماهرة النقشبندي . كما القى الدكتور جواد علوش محاضرة عن « المثل العربية العليا في شعر عمارة اليمني » .

الهـــنـــد :

※ جامعة كبيرة لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده ، اسسها فضيلة الاستاذ الحاج مولانا كرم علي (رئيس الجالية الهندية سابقا في المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة) في مايح آباد بقرب لكهنؤ. ان فضيلته من كبار علماء الهند الذي عاش مدة طويلة في المملكة العربية السعودية وهو خبير الزراعة وغرس اشجار المنجة والجوافة والنبق في بستان الملك الراحل المرحوم له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود . وفي الظروف الراهنة طعن في سن الشيخوخة ونهكت قواه الجسمية فشغف بتعليم القرآن الكريم .

انه يحب اللهجة الحجازية لترتيل القرآن الكريم ويريد ان يدعو مقرئا حجازيا من مكة المكرمة لتعليم التلاميذ وتدريبهم تلك اللهجة الكريمة .

— ※ —

※ دلهي ــ حث اعضاء البرلمان المسلمون ــ ومن بينهم نائبان من الوزراء ــ على عدم اتخاذ أي اجراء يعدل وضع الجامعة الاسلامية في عليكرة

واكدوا الضرورة الى ابقاء ميزتها الاسلامية ، وحذروا من ان اي اجراء متطرف يتنافى مع دستور الجامعة التقليدية سوف يبعد الناخبين المسلمين من الحزب الحاكم ويضعف ذلك موقف الحزب من الانتخابات ، وقد ارجا الحزب اتخاذ اي قرار في هذا الصدد وحول مسودة المشروع الى لجنة خاصة للبت فيها .

— * —

* يقوم وفد من علماء الهند في جامعة بنارس الاسلامية في بعض الدول الاسلامية وامارات الخليج العربي

— * —

* قامت لجنة احياء المعارف العثمانية ببلدة حيدر اباد الدكن باحياء طبع كتاب — الحجة على اهل المدينة — للامام الحافظ المجتهد ابي عبد الله ابن محمد بن الحسن الشيباني

وقد صدر الجزء الثالث منه بعد ان رتب اصوله وصححه وعلق عليه العلامة المحقق السيد مهدي السيد حسن الكيلاني القادري

كــراتشـــي :

* كراتشي — زار باكستان مؤخرا السيد انطونيو غوزمان ربنا ، وهو رئيس بلدية قرطبة وقال السيد ربنا في حفل تكريمي اقيم له : ان لديهم في قرطبة تقاليد اسلامية، حيث عاش المسلمون والاسبان معا ثمانية قرون . وقال : اننا فخورون بالشعراء المسلمين امثال ابن هاشم ، والحسن ، وآخرين ممن ولدوا في قرطبة ، وتركوا تاثيرا قويا في العالم اجمع ، واعلوا اسم قرطبة الى مكانة عظيمة . واشاد بالشاعر الاسلامي العظيم محمد اقبال وقال ان اسمه قد اطلق على احد شوارع قرطبة لان الشاعر خلد اسم جامع قرطبة في قصيدته التي نظمها عنه .

ســيـــــلان :

* تعكف جمعية الشبان المسلمين في سيلان على تنفيذ برنامج تدريبي طموح للشباب المسلمين العاطلين عن العمل في هذه البلاد . والفكرة الكامنة وراء المشروع هي مساعدة الناشئة الاسلامية لاكتساب المهارة المهنية التي تساعدهم على الحصول على وظيفة . ولتحقيق هذه الغاية ستبدا جمعية الشبان المسلمين بتنفيذ برنامج يغطي النواحي التالية :

- دروس مجانية في قيادة السيارات .
- الحاق الطلبة بالكليات العمومية التقنية وبمراكز التدريب المهني .
- التدريب على مهنة البناء والنجارة .
- التدريب المهني لعمل الاسلاك الكهربائية ، وميكانيكة السيارات ، وتصليح اجهزة الراديو .

ماليـــزيـــا :

* اعلن السيد تنكو عبد الرحمن الامين العام لسكرتارية الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي انه سيقوم في المستقبل القريب بزيارات للمغرب وموريتانيا والدول الاسلامية في افريقيا لبذل مزيد من الجهد في سبيل تحقيق التضامن الاسلامي وتنسيق خطوات العمل الاسلامي بين الامانة العامة وهذه الدول .

واعلن السيد تنكو عبد الرحمن في مقابلة خاصة لوكالة الانباء السعودية انه سيعين قريبا ثلاثة مساعدين للامين العام سيكون احدهم من المملكة العربية السعودية .

وقد بدا الامين العام ومساعدوه العمل على تنظيم وتشكيل اجهزة السكرتارية والاجهزة الادارية للامانة العامة في مقرها بجدة . كما قام الامين العام بزيارة لوزير الدولة للشؤون الخارجية السيد عمر السقاف ظهر يوم الثلاثاء الماضي .

وقال الامين العام في حديث لمندوب وكالة الانباء السعودية انه سيعمل في المرحلة القادمة على القيام بمزيد من الاتصالات بالدول الاسلامية. وقال : ان علينا ان نعمل بجد وتفهم وان نصل الى تجاوب كامل لما يحقق اهدافنا الاسلامية السامية .

وقد اثنى الامين العام على المملكة العربية السعودية وماليزيا وايران والكويت لتجاوبها وتعاونها التام مع الامانة الاسلامية . وقال : انني امل ان تكون جهودنا بناءة وحاسمة في سبيل وحدة الامة الاسلامية وعزتها التي لو توفرت في العالم الاسلامي من قبل لما واجه المحن والمصاعب .

وقال : انني سأبذل كل جهدي لخدمة هــذا العمل الذي توليته وهناك كثير من المهام التي يجب القيام بها لتحقيق العمل الاسلامي المشترك .

واضـاف ان المـسؤولين لو اتحدوا لكانوا قوة كبرى ضـد اعداء الاسلام المتمثلين في الصهيونيـة العالمية .

— ✻ —

✻ بينانغ ـ ماليزيا ـ سيغادر الامير عبـد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا السابق بينانغ في 18 نيـسان الجاري لعقـد سلسلـة مـن الاجتماعـات والمحادثات بصدد عمله الجديد كرئيس للامانة العامة للمؤتمر الاسلامي .

وقال في معرض شرح خططه امام الصحفيين انه سيزور اولا بانكوك للبحث في خطط لانشاء وكالة انباء اسلامية .

وسيتوقف الامير بعد ذلك في بيروت لانشاء مكتب معلومات كجزء من وكالة الانباء ثم يسافر الى جدة حيث ستجتمع اللجنة الدستورية للمؤتمـر الاسلامي في الفترة الواقعة بين 6 حزيران واوائـل تمـوز .

وسيتوجه من جدة الى المغرب لاجراء محادثات مع اللجان الثقافية والدينية ، ثم يسافر الى القاهرة للاجتماع الى السلطات التجارية والمصرفية .

فـرنـسـا :

✻ في احصائية صدرت اخيرا في باريس بفرنسـا من قبل احدى الجهات الاسلامية العاملة هناك وردت حقائق مشرفة عن سيـر الدعـوة الاسلاميـة فـي العاصمة الفرنسيـة بشكـل خـاص ، وفي انحـاء فرنسا بشكل عام .. من تلك الحقائق .. وجـود نسبة كبيرة من المسلمين في انحـاء فرنسا يصـل عددهم الى ما يقارب المليوني مسلم .. ومن تلـك الحقائق ، ان المراكز الاسلامية والمنظمات الاسلامية تستقبل بشكل دائم العديد من الاشخاص الراغبين في اعتناق الدين الاسلامي .. والاطلاع على تعاليمه ومبادئه ، وذكرت الاحصائية ان عدد الذين يعتنقون الاسلام سنويا عن دراسة واقتناع لا يقل عن مائتي شخص .. وذلك على الرغم من افتقار العديد من تلك المراكز والجمعيات الاسلاميـة الى المتطلبـات الضرورية للدعوة والداعية .. وحاجتها الماسة الى التفرغ والتنظيم والدعم على نوعيه المادي والادبي .

— ✻ —

✻ صدر في باريس العدد الاول من مجلـة « لوموند اسلاميك » وهي مجلـة شهريـة تعنـى بالشـؤون الاسلامية ويشترك في تحريرها عدد من الكتاب الاسلاميين وغيرهـم من المستشرقيـن وسوف تصدر هذه المجلة قريبا باللغتين العربيـة والانجليزية .

— ✻ —

✻ قالت مجلة « المكتبة » العراقية : صدرت في باريس طبعة جديدة من رحلة ابن بطوطة باللغتين العربية والفرنسية وقد تولى تحقيقهـا وترجمتهـا المستشرقان «س. دفريميري» و «ب. رسانكنيتي» ومهد لها بمقدمة المستشرق « فينسال مونتيـل » وهي تقع في اربعة اجزاء طبعت على ورق صقيل .

— ✻ —

✻ توفي في مدينة (ايكـس آن بروفانـس) روجي لي تورنو الاخصائي الفرنسـي في تاريـخ الحضارة الاسلامية وتاريخ شمال افريقيا وذلك عن عمر يناهز 64 سنة وكان السيد لي تورنـو تعـرض منذ اشهر الى حادث طريق وتجدر الملاحظة الى ان السيد لي تورنو مدير الدراسات الاسلامية بجامعة بروفانس يعتبر عمدة في مادة التاريـخ وحضـارة المغرب العربي سواء في شمال افريقيا او في البلدان الغربية .

وكان السيد لي تورنو قد درس في فـاس وتونس وغداة الحرب في الجزائر وفي سنة 1958 سافر الى ايكس آن بروفانس حيث طـور دراسة اللغات والحضارة الاسلامية وكـان له ركـن فـي صحيفة « لوموند » .

اسبـانيـا :

✻ يبلغ عدد المسلمين في اسبانيـا في الوقت الحاضر حوالي ثلاثة عشر الف نسمة ، منهم ستة

آلاف طالب من شتى الاقطار الاسلامية والعربية . والباقون وهم سبعة آلاف مسلم اكثرهم من المغاربة. ويتمتع المسلمون بالحرية الدينية التامة فلهم مطلق الحرية في اداء شعائر الاسلام ، ولهم مركز طلابي اسلامي .

— * —

* التقى الاستاذ الدكتور خوان بيرنيت مؤلف كتاب (Litteratura arabe) محاضرة في المجمع الادبي ببرشلونة باسبانيا بتاريخ 18 مارس 1971 ، تكلم فيها على صديقنا الدكتور زكي المحاسني عضو المجمع المراسل في اعماله الادبية ومنزلته في الشعر العربي المعاصر . والاستاذ المحاضر عضو في المجمع العلمي المشار اليه واستاذ الادب العربي في كلية الآداب والفلسفة في جامعة برشلونة .

انجلتـــــرا :

* لندن ــ تقرر ان ينعقد المؤتمر السنوي للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية في لندن في شهر حزيــران .

ســـويســـرا :

* جنيف ــ ادانت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة اسرائيل لسياساتها في الاراضي التي احتلتها خلال حرب حزيران عام 1967 .

واقرت اللجنة باغلبية 14 صوتا مقابل صوتين قرارا يدين اسرائيل بخرق حقوق الانسان في هذه الاراضي .

واستنكر القرار بشدة سياسات اسرائيل التي قال انها تهدف الى وضع السكان بصورة عامة في حالة من القلق والحرمان والكبت .

وبين السياسات الاسرائيلية التي شجبتها اللجنة في قرارها بوجه خاص حرمان اللاجئين من حق العودة الى منازلهم والعقوبات الجماعية التي تطبق في المناطق المحتلة وابعاد الاشخاص وطردهم من منازلهم والاعتقالات التعسفية وسوء معاملة السجناء وتعذيبهم وهدم القرى والمنازل والاحياء السكنية في المدن ومصادرة الممتلكات .

وشجب القرار كذلك اجلاء اقسام من سكان الاراضي المحتلة ونقلهم من مناطقهم .. ووضع سكان مدنيين اسرائيليين مكانهم .

واستنكر مصادرة المستشفيات وتحويلها الى مراكز للبوليس ودعا اسرائيل الى تمكين جميع اللاجئين والنازحين من العودة الى منازلهم .

وحث القرار كذلك اللجنة الدولية للصليب الاحمر على المساعدة في تامين حقوق الانسان في الاراضي التي تحتلها اسرائيل .

روســـيــا :

* يقوم اكثر من 500 عالم واخصائي سوفياتي حاليا ، باعداد الطبعة الثالثة من دائرة المعارف الطبية التي تضم 30 مجلدا .

وتتضمن هذه الدائرة عرضا لمنجد العالم في العلوم الطبية في طريقة مبسطة ليستفيد منها القاريء العادي .

امريــكا اللاتينيــة :

* بريدجتون تون ــ اختتم في مدينة بريدجستون في بربادوس المؤتمر السنوي الخامس لمجمع البعثات للدعوة الاسلامية في دول البحر الكاريبي ودول امريكا اللاتينية

وقد وافق اعضاء المؤتمر على الاجتماع ثانية في فنزويلا في اغسطس من العام القادم .

وكان نائب رئيس وزراء بربادوس قد افتتح هذا المؤتمر الذي استغرق اربعة ايام والذي حضره 55 مندوبا يمثلون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة والباكستان واندونيسيا وعدد آخر من الدول الاسلامية والجمعيات الاسلامية في امريكا والكاريبي .

وقد وافق المؤتمر على اقامة مراكز اسلامية لتقديم المعونات المالية كما وافق على الاتصال بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لتقديم منحتين دراسيتين وتنظيم معسكر دولي للشبان المسلمين .

يوغوســلافيــا :

* لا زال المجلس الاسلامي لمدينة سراييفو في يوغوسلافيا يولي موضوع الآثار الاسلامية كل

اهتمامه ونشاطه .. وكان المجلس قد وجه قبل فترة نداء الى الامة الاسلامية للمساهمة الفعالة في الحفاظ على التراث الاسلامي .. وعلى الخصوص اربعة من المساجد القديمة التي تتطلب ترميما واصلاحا عاجلا وهي جامع جقرجي ، ومغربي ، وقرافرهات ، وطابجكا .

بلجيكا :

❋ تعرض الآن على مجلس الشيوخ البلجيكي لائحة قانون للاعتراف بالدين الاسلامي رسميا في بلجيكا قام باعدادها ثلاثة من اعضاء المجلس .. ويقضي الاعتراف الرسمي بالدين الاسلامي قيام الحكومة البلجيكية بتقديم اعانات مالية للمسلمين لتغطية نفقات ورواتب القائمين على النشاطات الاسلامية كالمؤذنين والوعاظ والمدرسين .. ويوجد في بلجيكا اكثر من مائة الف مسلم .

البرازيل :

❋ سان باولو — قد تم بحمد الله تعالى شراء أرض للمدرسة بها ثلاث بيوت وتبلغ مساحتها 8.500 متر مربع ، وكنا قد اشرنا سابقا الى ذهاب لجنة برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله عبد الشكور كامل مدير المركز الاسلامي بسانباولو لرؤية الارض حيث استحسن الجميع الموقع والثمن .

وتعتبر هذه المدرسة الثانية في سان باولو بعد المدرسة الاسلامية في حي فيلاكرون .

الامم المتحدة :

تؤكد البيانات التي جاءت في دليل الامم المتحدة بان مجموع سكان الكرة الارضية سيتضاعف في عام 2.000 اذا ما استمر معدل تزايد السكان على ما هو عليه الآن . فقد كان مجموعهم وفقا لآخر احصاء تم في عام 1969 هو 3552 مليون نسمة .

ويسكن نصف سكان العالم اي 1988 مليون نسمة في قارة آسيا ، اما اوربا فيسكنها 460 مليونا ، كما يسكن افريقيا 345 مليونا وامريكا اللاتينية وجزر الهند الغربية 276 مليونا والاتحاد السوفياتي 240 مليونا وامريكا الشمالية 224 مليونا وجزر الاوقيانوسية 18,9 مليونا .

وتعتبر الهند والصين من اكبر الدول كثافة بالسكان ، فالهند يسكنها 537 مليون نسمة ، كما ان السكان بالصين قد بلغوا 740 مليون نسمة .

